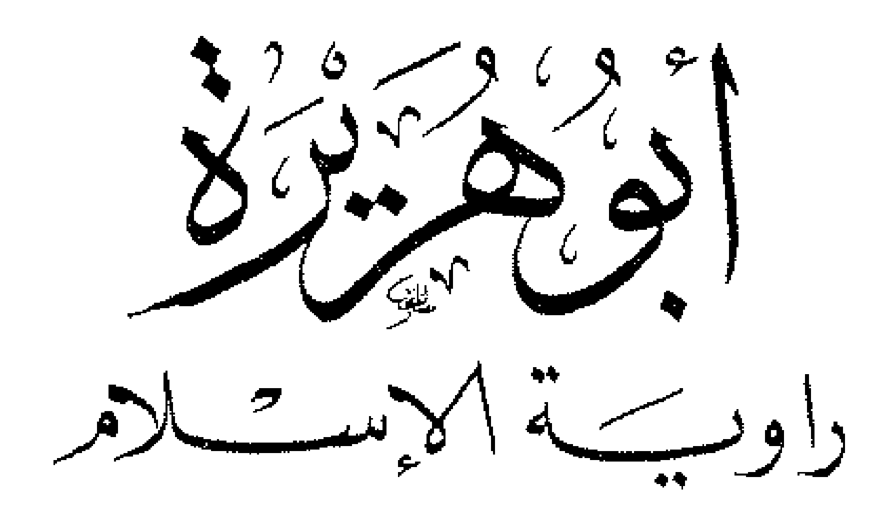
الدكتور محمد عجّاج الخطيب



يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعـة الثالثة

شعبان سنة ١٤٠٢ هـ — يونيه سنة ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله حمداً كثيراً يوافى نعمه ، ويكافىء مزيده ، حمداً كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، الذى بنعمته تتم الصالحات ، وتعم الخيرات ، سبحانك ربى لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، خير من اصطفى من خلقه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد .. فهذه هى الطبعة الثالثة لكتاب « أبو هريرة .. راوية الإسلام » أقدمها إلى أعزائى قراء العربية من العلماء والباحثين والطلاب والعاملين فى رحاب العلم عامة ، وميدان السنة خاصة . وكنت قد أقدمت على الكتابة فى الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه إثر الحملة المغرضة التى أثارها حوله وحول مروياته بعض أهل الأهواء ، وبعض المغرضين من أعداء الإسلام ، الذين قلبوا الحق باطلا والصدق كذباً ، ولم أخض لجج هذا الخضم إلا إنصافاً لهذا الصحابى ، ودفاعاً عن السنة ، وانتصاراً للحق ، وما أن ظهرت تلك الطبعة فى القاهرة — حماها الله وسائر بلاد الإسلام — سنة ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م حتى تداول القراء الكتاب ، وعم انتشاره بين أهل العلم وطلابه ، فى مصر وخارجها من بلاد العرب والمسلمين ، ونفدت تلك الطبعة بعد فترة قصيرة ، ثم أعاد بعض الأفاضل طبعه ثانية فى لبنان سداً لحاجة القراء ، ولم أتمكن آنذاك من زيادة ما عندى على الطبعة الأولى ، لكثرة واجباتى ، ونفدت الطبعة الثانية ، وكثر طلب الكتاب ، فكان لزاماً على أن أسد حاجة القراء بإعادة طبعه ، بعد أن أضفت عليه

في بعض أبحاثه ما رأيته هاماً ومتمماً للفائدة . سائلا الله عز وجل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه ، وأن يحقق الغاية المرجوة من هذا الكتاب ، وينفع به ، إنه خير مسئول ، وبالإجابة جدير ، وهو ولي التوفيق والسداد .

مدينة العين ١٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٢ هـ

٩ يناير سنة ١٩٨٢ م

محمد عجاج الخطيب
الحسني الدمشقي

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه ، الذين اتبعوه ، فوفقوا أعظم التوفيق فى حفظ الرسالة ، وأداء الأمانة ، ونشر الدعوة ، التى خلصت العرب من قيود الوثنية ، ومدتهم بقوة الإيمان ، وحملتهم مسئولية هداية العالم ، فما أن فتح العرب الأوائل عيونهم على نور الإسلام ، وفهموا القرآن ، وأبصروا طريق الحق بعد الضلال ، وسعدوا بالمعرفة بعد الجهل — حتى انطلقوا يحملون لواء الحرية ، ومشعل النور والعرفان ، يضيئون للإنسانية سبيلها ، ويوجهون نحو المجد والعزة ركبها ، وينقلون العالم إلى السعادة والخير ، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله .

وبعد.. فإنه لم يرق لأعداء الإسلام أن يروا هذا الدين ، قد صلب عوده ، واستوى ساقه ، وأثمرت أزهاره ، وأينعت ثماره ، مما حال بينهم وبين استغلال المسلمين ، واستنزاف خيرات بلادهم ، وقضى على مصالحهم الاستغلالية ، ولم تعد تجديهم وسائل القوة لتحقيق مآربهم والوصول إلى غاياتهم ، فرأوا أن يدسوا السم فى عقائد المسلمين ، ليسلخوهم عنها ، فعملوا على تغيير وجه الإسلام وتشويهه بمختلف طرق الدعاية الجذابة ، وافتنوا فى وسائل التبشير المغرية ، فشككوا بعض ضعاف القلوب — ممن يحسبون على الإسلام — فى تعاليمه وأحكامه ، وكان من الصعب عليهم أن يعبثوا بالقرآن الكريم الأصل التشريعى الأول ، عليهم فحاولوا أن يطرقوا باب السنة ، فاتهموا كبار نقلتها ، وأئمة حفاظها ، لإضعاف جانب عظيم من الحديث النبوى ، قاصدين من وراء هذا تشكيك المسلمين

فى السنة الطاهرة ، ليطرحوها — وهى المفسرة والمبينة للقرآن الكريم — فتبعد الشقة بين المسلمين وفهم قرآنهم ، ويبدو القرآن غريباً عنهم مع مر الزمن ، وبهذا يتم لأعداء الإسلام ما يريدون .

وقد شاعت هذه الأفكار فى أبحاث بعض المستشرقين ، وحملها عنهم بعض من ينسب إلى أهل العلم ، وروجها أشياعهم من أهل الأهواء .

ولكنا نعلم وجميع المنصفين يعلمون أن السنة انتقلت إلينا جيلا بعد جيل ، على أسلم طرق التثبت العلمى ، فقد بذل العلماء قصارى جهودهم فى سبيل الحفاظ على السنة ، فرحلوا فى طلب الحديث ، وتحملوا مشاق السفر ، وتركوا الأهل والأوطان ، وحفظوا الأحاديث بأسانيدها ، وذكروا طرق كل حديث ، وبينوا نقلته عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومازوا الضعيف من الصحيح ، ونقدوا الرواة ، نقداً علمياً دقيقاً ، ولم يقبلوا الحديث إلا عن الثقات :

وقد أجمعت الأمة على عدالة الصحابة ، الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتخرجوا فى حلقاته ، وبذلوا النفس والنفيس فى سبيل الدعوة إلى الله ، وإرساء قواعد الإسلام وحفظ الشريعة الحنيفة .

وكان الصحابى الجليل أبو هريرة أحد كبار الصحابة الذين رووا عن الرسول الأمين — عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم — الكثير الطيب ، وروى عنه كثير من التابعين ، فكان أكثر صحابى روى عنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك وجه إليه أعداء الإسلام ، وبعض أهل الأهواء سهام طعونهم فأعلنوها عليه حرباً شعواء لا هوادة فيها ، وتحاملوا عليه ، واتهموه فى بعض ما روى عنه ، واستهزأوا ببعض مروياته ، حتى أن بعضهم جعله فى مصاف الوضاعين والكذابين ، وفى زمرة أهل الجحيم .

وقد هالنى أن أجد راوية الإسلام تلوكه الألسن المغرضة ، وتتناوله أقلام الباطل ، فرأيت من واجبى كمسلم أولا ، وكمشتغل فى السنة وعلومها

ثانياً ، أن أكشف عن الحقيقة مهما تكن نتائجها ، غير منحاز ولا متحامل ، قاصداً فى هذا وجه الله العلى القدير ، لأنصف راوية الإسلام أبا هريرة ، وأضع الحق فى نصابه ، فأقدمت على هذا البحث ، تحف به الصعاب من كل جانب ، وتناولت أمهات المراجع : المخطوط منها والمطبوع ، فإذا بصورة أبى هريرة تبدو واضحة صافية ، لا شِيَة فيها ، تشرق بماض مجيد ، وبروح سامية وبنفس طيبة لتكوّن شخصيته العلمية القوية ، فيتجلى بطلان تلك الطعون التى وجهت إليه من خلال نظرات خاصة ، أو أهواء متبعة ، أو غايات هدامة ، وتتضح مخالفتها للواقع التاريخى ، وللحقيقة العلمية ، لهذا رأيت أن أستكمل دراسة أبى هريرة بتفنيد تلك الشبهات التى أثيرت حوله على ضوء دراستى إياه ، ولما كان الطعن فى أبى هريرة ذريعة للطعن فى غيره من الصحابة الكرام — رضوان الله عليهم أجمعين — لتوهين السنة ورفض العمل بها رأيت من الواجب أن أمهد للبحث بما يقتضيه فكان الموضوع فى تمهيد وبابين :

التمهيـــــد :

تناولت فيه العرب ورسالة الإسلام ، ثم تكلمت عن السنة والمقصود بها لغة وشرعاً ، ثم بينت مكانة السنة من القرآن الكريم ، وتمسك الأمة بها والمحافظة عليها ، والعمل بها ، ثم بينت منزلة الصحابة وعدالتهم ، وبعد ذلك تكلمت عن حفظ السنة وصيانتها وانتشارها ، وأهم ما صنف فيها . لأن فى هذا ما يرحض عن السنة الطاهرة أدران أعدائها .

الباب الأول : وفيه فصلان :

الفصل الأول : تناولت فيه حياة أبى هريرة فى مختلف مظاهرها ، الخاصة والعامـــة .

الفصل الثانى : حياة أبى هريرة العلمية ، بينت فيه نشاط أبى هريرة العلمى ، وطرق تحمله الحديث ونشره السنة ، ومنزلته العلمية ، ورأى العلماء فيه .

الباب الثاني : عرضت فيه ما أثاره بعض أهل الأهواء ، وبعض الكاتبين والمستشرقين من طعون حوله ، وناقشتها وبينت وجه الحق فيها .

وإني أرجو الله أن أكون قد وفقت بهذه الطريقة ، لعرض الموضوع بشكل يحقق الغاية منه . وأخيراً لابد لي من أن أتوجه بشكري العميق إلى أستاذي الجليل فضيلة الشيخ علي حسب الله ، أستاذ الشريعة الإسلامية والدراسات العليا في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، فقد تفضل على بقراءته هذا البحث ، قراءة دقيقة فأفدت من ملاحظاته ، مما شجعني على التفكير في طبعه ونشره ، دفاعاً عن السنة الطاهرة ، وعن رواتها الأمناء ، فجزاه الله خير الجزاء .

وختاماً .. أرجو كل من يطلع على هذا الكتاب ، فيجد فيه ما يحتاج إلى تعديل أو تبديل ، أن يفيدني بما عنده . .

والله الموفق إلى الصواب .

محمد عجاج الخطيب

القاهرة ١٠ رمضان سنة ١٣٨١ هـ

١٥ فبراير سنة ١٩٦٢ م

* * *

تمهيد

- العرب ورسالة الإسلام
- حول السنة
- السنة ومكانتها من القرآن الكريم
- عدالة الصحابة
- حفظ السنة وانتشارها

العرب ورسالة الإسلام

منذ أربعة عشر قرناً ، بينما كان يعيش العالم كله فى ظلام فكرى ، وتأخر علمى ، وظلم اجتماعى ، أشرقت فى أرض الجزيرة العربية شمس الهداية ، وعلت فى الأفق تطارد ذاك الظلام ، تنير للعالم سبيله ، وترسم له طريق التقدم والرقى والنجاح .

تلك الشمس شمس النبوة التى حملها محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ بعثه الله عز وجل . **« بالحق بشيراً ونذيراً »(١) ، « وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً »(٢).**

وشرفه بالرسالة السامية الخالدة ، إلى الناس كافة ..

« قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »(٣) .

وقال تعالى :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »(٤) ، « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً »(٥) .

وأمره أن يبلغ أحكام الإسلام وتعاليمه فقال : .

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين »(٦) .

ومن فضل الله على الأمة العربية أن بعث فيهم : **« رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين »(٧)**

---

(١) فاطر : ٢٤ .
(٢) الأحزاب : ٤٦ .
(٣) الأعراف : ١٥٨ .
(٤) الأنبياء : ١٠٧ .
(٥) سبأ : ٢٨ .
(٦) المائدة : ٦٧ .
(٧) الجمعة : ٢ .

فأمره أن يدعو أهله وعشيرته ، فقال :

« وأنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »(١)

وقال عز من قائل :

« وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير »(٢) .

أمره أن يدعو قومه إلى سبيل الرشاد ، ليحملوا عبء تبليغ الرسالة إلى الأمم الأخرى ، فيكون لهم شرف المبلغ الهادى ، ويخلد اسمهم أبد الدهر ، كما أراد الله للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وللأمة العربية التى تلقت الرسالة ، وانطلقت تحرر العالم من الظلم والطغيان ، وتوجه مركب الإنسانية إلى شاطىء السلام ، وتخرجه من الظلمات إلى النور ، سالكة سبيل الهداية والحق ، حاملة لواء التحرير . . . بعد أن تنكب الناس الصراط المستقيم ، وتخبطوا فى غياهب الجهالة والضلال .

إلا أن هداية العرب لم تكن سهلة ، بل تحمل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فى سبيلها المشاق الكثيرة ، وأوذى فى جسمه وماله ، وأهله وأصحابه ووطنه ، وكان يدعو ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً ، ويسأل الله السداد والرشاد ، متطلعاً إلى هداية قومه ليحملوا الرسالة ويؤدوا الأمانة .

لقد أوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقومه على دين آبائهم ، وثنية وأصنام ، يسودهم النظام القبلى ، وتربط بينهم صلة القرابة والدم ، لا يحكمهم نظام عام ، بل يخضعون للعادات والأعراف ، يدفعهم الشرف والمفاخرة بالأنساب إلى المنافسة فى المكارم والمروءات ، يعيشون فى حلقة الأسرة والقبيلة ، فى إطار الجزيرة العربية .

وكان لحياتهم تلك أثر بعيد فى صفاء نفوسهم ، ومحافظتهم على أمجادهم وعاداتهم ، وتفانيهم فى سبيل مثلهم الأعلى ، حتى كانوا يسرفون فى ذلك كله ، فهم كرام يبذلون مايستطيعون للضيف ، فيبلغون فى ذلك حد الإسراف.

---

(١) الشعراء : ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) الشورى : ٧ .

ويأبون العار ولو أدى بأعز ما لديهم إلى الردى ، ولهذا وأدوا بناتهم خشية الفقر والزلل . ويحبون تحقيق الأمجاد والبطولات فتغنوا بها ، ولكنهم ضلوا الطريق ، وحرموا العقيدة الموصلة إلى ذلك ، ترى العفة والكرامة من أخلاقهم ، والكرم والشجاعة من سجاياهم ، والحمية والثأر تسير فى عروقهم ، رضعوا هذا مع لبنهم ، وفطروا ونشأوا عليه ، فهم لا ينامون على ضيم ، ولا يرضون ذلا أو هواناً ، وويل لمن غضب عليه العرب ، إذ كانوا يثورون لأتفه الأسباب ، يكفى أن يستفز القبيلة فرد أهينت كرامته ، فتنطلق جميعها كباراً وصغاراً تدفع عنه ما أصابه ، لأن كرامة الفرد من كرامة القبيلة ، وإلى هذا يمكننا أن نرد أكثر الغزوات والغارات التى كانت بين القبائل قبل الإسلام .

وقد حفظت ذاكرتهم القوية أشعارهم وأنسابهم التى كانت بمثابة سجل تاريخى لهم ، وكان كل ذلك من المؤهلات التى أعدتهم لحمل الرسالة الإسلامية فيما بعد .

وإذا كان العرب قد عبدوا الأوثان آنذاك ، فإنهم لم يعبدوها على أنها هى الخالقة المدبرة لأمور الكون وشئونه ، بل رأوا فيها التقرب إلى الله :

« ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى »(١) .

ولم تكن عقائدهم معقدة مركبة ، كما كانت عليه عقائد سكان البلاد المجاورة من الفرس والهند والروم ، بل كانوا أصفياء النفوس ، ويمكننا أن نقول : إن عندهم فراغاً عقدياً — إذا صح هذا التعبير — تستره تلك العبادات والمعتقدات الأولية ، التى لم تقف على قدميها أمام عقيدة الإسلام المتماسكة الكاملة ، ولهذا كان العرب يمتازون عن غيرهم من الأمم بتلك الصفات التى أهلتهم فيما بعد لأن يكونوا رجال الإسلام ، وحملة لوائه إلى العالم .

ومع هذا لم يكن من السهل أن يستجيب العرب جميعاً إلى دعوة الرسول الكريم بادىء ذى بدء ، إذ كان من الصعب أن يتركوا دين

---

(١) الزمر : ٣ .

آبائهم وأجدادهم ، فإذا ما دعاهم إلى الله قال له أقرب الناس إليه : تباً لك ! ! ألهذا دعوتنا ؟ وأوذى صلى الله عليه وسلم فى سبيل دعوته كثيراً ، وقاسى الصعاب ، ولم يؤمن به إلا نفر قليل : زوجه ، وبعض ذويه ، وقليل من أهله . وكان لا يفتر عن دعوتهم ، ويسخرون منه فيزداد نشاطاً وحيوية وراء أمله ، ويصورهم الله تعالى فى قوله :

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون »(١) ، « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون »(٢) .

إلا أن الباطل لا يقوى أمام الحق ، فسرعان ما يتقوض ، ويظهر ضعفه ، كما يتلاشى الظلام حين يكون وراءه النور الساطع .

ومضى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فى دعوته ، وصبر الصبر الجميل مضطهداً حيناً ، مستهزءاً به أحياناً ، ومع هذا كان يتمنى لقومه الهداية والرشاد ، فيطيب الله خاطره ، ويخفف عنه ، مبيناً أن هدايتهم بيده عز وجل ، فيقول :

« إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين »(٣) .

ويصور الله تعالى ضيقه صلى الله عليه وسلم فى سبيل هداية قومه ، فيقول :

« فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً »(٤) .

ويؤكد له أنه على حق ، ولابد للحق من أن ينتصر ، فيشحذ عزيمته بقوله عز وجل :

« فاستمسك بالذى أوحى إليك ، إنك على صراط مستقيم »(٥) .

---

(١) البقرة : ١٧٠ .
(٢) المائدة : ١٠٤ .
(٣) القصص : ٥٦ .
(٤) الكهف : ٦ .
(٥) الزخرف : ٤٣ .

وهكذا بدأ الإسلام يستولى على القلوب فى مكة رويداً رويداً ، ثم انتشر بين بعض سكان يثرب (المدينة المنورة) ، وازداد إيذاء المشركين للمسلمين واضطروهم إلى هجر وطنهم فراراً بدينهم .

وفتحت المدينة المنورة صدرها رحباً للمسلمين ، وبدأت الدولة الإسلامية تنتظم أمورها برياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتشر خبر الإسلام فى أطراف الجزيرة ، ولم تمنع أضاليل المشركين العرب من الدخول فى دين الله ، دين العدالة والمساواة ، عقيدة سهلة سامية ، إيمان بالله ، وطاعة لرسول الله ، وعبادات تدخل السعادة والطمأنينة إلى النفوس ، نظام يضبط الجماعة ويؤمن حقوق الأفراد . . . كل هذا جعل القبائل العربية تتهافت إلى المدينة من كل حدب وصوب ، يعلنون إسلامهم ، وعم الإسلام الجزيرة العربية بعد الفتح الأكبر ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وانقلبت مكة والمدينة بل الجزيرة العربية إلى موطن إسلامى متماسك تنبع منه أشعة الهداية لتنير العالم .

وقد تم ذلك للرسول الكريم خلال اثنتين وعشرين سنة وبضعة أشهر .

وهكذا خرج العرب باعتناقهم هذا الدين الحنيف من نطاق القبيلة الضيق المغلق إلى صعيد الإنسانية الواسع ، ومن إطار الصحراء إلى العالم الشاسع ، وانقلبت رابطة الدم والقرابة إلى الأخوة فى الدين ، وانتهى نظام القبيلة وحل مكانه نظام الدولة الإسلامية فى مختلف مرافق الحياة ، وانتقلت حميتهم للقبيلة إلى نصرة الحق ، والأخذ بيد المظلوم وإنصافه ، وأصبح اعتزازهم بالإسلام وبما يقدمونه من تضحيات وخدمات فى سبيل ذلك بدلا من اعتزازهم بالأنساب ، واتجه حبهم للأمجاد والبطولات صعداً إلى تحقيق ما يرضى الله ورسوله ، وتحولت شجاعتهم وجرأتهم المحصورة فى النطاق القبلى إلى شجاعة وجرأة فى سبيل نشر الدين الجديد ، وتحول كرمهم الذى بلغ حد السرف إلى إعانة الفقراء وإغاثة الملهوفين ، وتزويد الجيوش للدفاع عن معتقداتهم وعن إخوانهم فى الدين ، وتحرير

الأمم من نير العبودية إلى الحرية وعبادة إله واحد . . . فكان الإسلام شرفاً عظيماً لهم ، كما قال تعالى :

« وإنه لذكر لك ولقومك ، وسوف تسئلون »(١) .

والذكر هو الشرف العظيم ، وكان العرب بحق كما قال الله تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(٢) .

يتبين لنا مما ذكرت أن هؤلاء العرب الأشداء ، الذين فرضت عليهم الطبيعة الصحراوية حياة خاصة ، قد انطوت نفوسهم على خصال طيبة ، وصفات كريمة ، وميول سامية ، وراءها دوافع قوية ، وحيوية فائقة ، ولكنه كان ينقصهم العقيدة الصالحة ، التي توجههم في هذه الحياة ، وتؤثر في جميع تصرفاتهم ، كما كان ينقصهم النظام الحسن ، فما أن وجدوهما في الإسلام دين الحنيفية السمحة ، والفطرة الصافية ، حتّى كانوا خير حافظ لها ، بعد أن آمنوا بها ، وتجاوبوا معها ، وأصبحوا أول داع إليها ، ومن ثم فتحوا قلوبهم للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وأصغوا إليه ، والتفوا حوله ينهلون من المعين الذى لا ينضب ، ويتلقون تعاليم الإسلام من رائده ، ليقوموا بدورهم في هداية الناس جميعاً ، وهكذا تضافر العامل الفطرى الذى تميز به العرب مع العامل المكتسب الجديد (الروحى) ، فظهر الرعيل الأول الذى حمل مشعل النور والحق إلى العالم ، وساهم في تحرير الإنسان من عبودية الظلم والجهـل والفقـر ، وأخذ بيده إلى سبيل السداد والرشاد ، ظهر ذلك الرعيل العظيم الذى نقل القرآن الكريم والسنة الطاهرة بكل أمانة وإخلاص .

بعد هذا نتكلم عن السنة وتعريفها ومكانتها من القرآن الكريم ، وعن الصحابة وعدالتهم بما يمهد لنا السبيل إلى البحث .

❋ ❋ ❋

---

(١) الزخرف : ٤٤ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

حـــول السنة

السنة في اللغة هي السيرة حسنة كانت أو قبيحة . وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده قيل هو الذى سنه . .

قال خالد بن عتبة الهـذلى :

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها (١)

وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده . من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سن فى الإسلام سنة سيئة . كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » (٢) .

وإذا أطلقت السنة فى الشرع فإنما يراد بها ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونهى عنه ، وندب إليه قولا وفعلا ، ولهذا يقال فى أدلة الشرع الكتاب والسنة ، أى القرآن والحديث ، ويطلق علماء الحديث لفظ السنة على كل ما يتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم من سيرة ، وخلق . وشمائل . وأخبار . وأقوال . وأفعال . سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا .

وأما علماء أصول الفقه فإنهم يطلقون لفظ السنة على أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله . وتقريراته التى تثبت حكماً شرعياً .

وأما علماء الفقه فقد بحثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى تدل أفعاله على حكم شرعى ، وهم يبحثون عن حكم الشرع فى أفعال العباد وجوباً ، أو حرمة ، أو إباحة . أو غير ذلك . فالسنة عندهم كل ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب .

---

(١) انظر لسان العرب ، مادة (سنن) .

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، ص ٧٠٥ ، ج ٢ . وص ٢٠٥٩ ، ج ٤ .

فأوسع الإطلاقات إطلاق المحدثين ، الذين يقصدون بالسنة كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خَلقية ، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء ، أم بعدها ، وسواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا .

والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوى .

أما القول فهو أحاديثه التي قالها في مختلف المناسبات ، كقوله : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى . . » ، وقوله : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ، وقوله : « لا ضرر ولا ضرار » ، وقوله في البحر : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .

وأما الفعل فهو أفعاله التي نقلها إلينا الصحابة ، مثل وضوئه ، وأدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها ، وأدائه صلى الله عليه وسلم مناسك الحج ، وما إلى ذلك .

وأما التقرير فكل ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال ، بسكوت منه وعدم إنكار ، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده ، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ما أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه خرج رجلان في سفر وليس معهما ماء ، فحضرت الصلاة ، فتيمما صعيداً طيباً ، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت ، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال للذي لم يعد : « أصبت السنة » وقال للآخر : « لك الأجر مرتين » .

وقد تطلق السنة في مقابلة البدعة ، فيقال : « فلان على سنة » إذا عمل على وفق ما عمل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، سواء أكان ذلك مما نص عليه الكتاب أم لم يكن . ويقال : « فلان على بدعة » إذا عمل على خلاف ذلك .

والبدعة لغة هي الأمر المستحدث ، ثم أطلقت في الشرع على كل ما أحدثه

الناس من قول وعمل فى الدين وشعائره مما لم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ » (١) .

وتطلق السنة أحياناً عند المحدثين وعلماء أصول الفقه على ما عمل به الصحابة ، وجد ذلك فى الكتاب أو السنة أو لم يوجد . ويحتج لذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين . تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » (٢) .

ومن أبرز ما ثبت فى السنة بهذا المعنى « سنة الصحابة » حد الخمر ، فقد كان تعزير الشارب فى عهده صلى الله عليه وسلم غير محدود ، تارة يضربونه نحو أربعين جلدة ، وتارة يبلغون ثمانين . وكذا فى عهد أبى بكر ، فلما كان آخر إمرة عمر رضى الله عنه ، ورأى الناس فى سعة من العيش ، وكاد الشرب يشيع بينهم — استشار الصحابة فى حد زاجر ، فقال على : نرى أن تجلدة ثمانين ، لأنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، وعلى المفترى جلد ثمانين . وقال عبد الرحمن ابن عوف : أرى أن تجعلها كأخف الحدود يعنى ثمانين . وأجمع الصحابة على هذا . فتحديد الثمانين هو السنة التى عمل عليها الصحابة باجتهاد منهم ، حسبما اقتضاه النظر المصلحى .

ومن هذا تضمين الصناع ، وجمع المصاحف فى عهد أبى بكر برأى الفاروق ، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة ، وتدوين الدواوين .. وما أشبه ذلك مما اقتضاه النظر المصلحى الذى أقره الصحابة رضى الله عنهم وأجمعوا عليه (٣) .

---

(١) صحيح مسلم ، ص ١٣٤٣ ، ج ٣ .

(٢) أخرجه أبو داود فى حديث طويل عن العرباض بن سارية . انظر سنن أبى داود ، ص ٥٠٦ ، ج ٢ .

(٣) انظر الموافقات للشاطبى ، ص ٤ — ٦ ، ج ٤ . وانظر التمهيد من كتابنا « السنة قبل التدوين » .

وأعني بالسنة ما أراده المحدثون ، وهي ما يرادف الحديث عند جمهورهم وإن كان بعضهم يفرق بين السنة والحديث ، فيرى الحديث ما ينقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والسنة ما كان عليه العمل المأثور في الصدر الأول .

والحديث القدسي هو كل حديث يضيف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا إلى الله عز وجل ، كحديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . . »(١) وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هَمَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هَمَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » (٢) .

والأحاديث القدسية أكثر من مائة حديث ، وقد جمعها بعضهم في جزء كبير (٣) . ونسبة الحديث إلى القدس (وهو الطهارة والتنزيه) ، وإلى الإله أو الرب ، لأنه صادر عن الله تبارك وتعالى ، المتكلم به أولا ،

---

(١) الحديث الرابع والعشرون من الأربعين النووية ، وقد أخرجه الإمام مسلم . انظر صحيح مسلم ، ص ١٩٩٥ ، ج ٤ .

(٢) رواه البخاري ومسلم . انظر صحيح مسلم ص ١١٨ ، ج ١ . وانظر الأربعين النووية ، الحديث (٣٧) .

(٣) جمع الشيخ محيي الدين محمد بن علي بن العربي الطائي ، المتوفى سنة (٦٣٨ هـ) ، في كتابه (مشكاة الأنوار) (١٠١) حديث عن الله عز وجل . كما جمع العلامة علي بن سلطان الهروي القاري ، المتوفى سنة (١٠١٦هـ) . أربعين حديثاً قدسياً في كتابه (الأحاديث القدسية الأربعينية) . وطبع الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي . هذين الكتابين في مجلد واحد ، سنة (١٣٤٣هـ - ١٩٢٧م) .

وأما كونه حديثاً ، فلأن الرسول هو المخبر به عن الله عز وجل ، والحاكي له بلفظه صلى الله عليه وسلم ولغته .

بعد هذا أرى من الواجب أن أبين مكانة السنة من القرآن الكريم ، لتظهر لنا أهميتها بالنسبة للشريعة الإسلامية ومصادرها التشريعية .

* * *

السنة ومكانتها من القرآن الكريم

لم يكن للأحكام في عهد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام مصدر سوى الكتاب والسنة . ففي كتاب الله تعالى الأصول العامة للأحكام الشرعية ، دون التعرض إلى تفصيلها جميعها ، والتفريع عليها ، إلا ما كان منها متفقاً مع الأصول العامة ثابتاً بثبوتها ، لا يتغير بمرور الزمن ، ولا يتطور باختلاف الناس في بيئاتهم وأعرافهم . كل هذا حتى يحقق القرآن الكريم النهضة الإنسانية الشاملة ، والرقي الاجتماعي والفكري ، وينشر العدالة والسعادة ، في كل زمن ، ويبقى صالحاً لكل أمة ، مهما كانت بيئتها وأعرافها ، فتجد فيه ما يكفل حاجتها التشريعية في سبيل النهوض والتقدم ، وإلى جانب هذه الأصول في القرآن الكريم نجد العقائد والعبادات وقصص الأمم الغابرة ، والآداب العامة والأخلاق . .

وقد جاءت السنة في الجملة موافقة للقرآن الكريم ، تفسر مبهمه ، وتفصل مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتشرح أحكامه وأهدافه ، كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم ، تتمشى مع قواعده ، وتحقق أهدافه وغاياته . فكانت السنة تطبيقاً عملياً لما جاء به القرآن العظيم ، تطبيقاً يتخذ مظاهر مختلفة . فحيناً يكون عملا صادراً عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وحيناً آخر يكون قولا يقوله في مناسبة ، وحيناً ثالثاً يكون تصرفاً أو قولا من أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فيرى العمل أو يسمع القول ثم يقر هذا وذاك ، فلا يعترض عليه ولا ينكره ، بل يسكت عنه أو يستحسنه فيكون منه تقريراً .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ما جاء في القرآن الكريم ، والصحابة يقبلون ذلك منه ، لأنهم مأمورون باتباعه وطاعته ، ولم يخطر ببال امرىء منهم أن يترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعله ، وقد عرفوا ذلك من كتاب الله تعالى ، ففيه :

« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث

فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً »(١)، « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا »(٢) ، « من يطع الرسول فقد أطاع الله »(٣) ، « وماآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »(٤) . « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما »(٥) .

وقوله عــز وجــل :

« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون »(٦) .

فأوكل الله عز وجل بيان أحكام القرآن الكريم إلى رسوله) صلى الله عليه وسلم . وغير ذلك من الآيات الكريمة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » (٧) ، وقال: « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ » (٨) . وقد أجمعت الأمة على العمل بسنة الرسول الكريم .

فتقبل المسلمون السنة من الرسول صلى الله عليه وسلم كما تقبلوا القرآن الكريم ، استجابة لله عز وجل وللرسول الأمين ، لأنها المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم بشهادة الله عز وجل ورسوله . وإذا اعتبرنا السنة المصدر الثانى ، إنما نعتبرها من حيث إنها مفسرة لكتاب الله ، مفصلة مجمله ، مبينة أحكامه ومقاصده ، مفرعة على أصوله وقواعده ، لهذا كان الكتاب هو المصدر الأول والسنة هى المصدر الثانى ، ومع هذا فإن ما استقلت به السنة من أحكام لم ينص عليها القرآن الكريم ، وليست بياناً له ، ولا تطبيقاً مؤكداً لما جاء فى كتاب الله — لا تقل فى المنزلة عن

---

(١) الفتــح : ١٠ . (٢) المــائدة : ٩٢ .
(٣) النســاء : ٨٠ . (٤) الحشر : ٧ .
(٥) النســاء : ٦٥ . (٦) النحــل : ٤٤ .
(٧) أخرجه أبو داود فى سننه .
(٨) سنن أبى داود ، ص ٥٠٦ ، جـ ٢ .

الأحكام التى نص عليها الله عز وجل فى القرآن الكريم . ذلك لأن ما يسنه الرسول عليه الصلاة والسلام لا يكون إلا حقاً ؛ والله عز وجل لا يقر الرسول صلى الله عليه وسلم على اجتهاد خطأ ، بل ينزل الوحي ويصحح له اجتهاده ، فكل حكم ثبت من طريق السنة وجب اتباعه ، لأنه حكم الله لعباده على لسان رسوله . وقد ثبتت عدة أحكام بالسنة من غير أن ينص عليها الكتاب الكريم ، كتحريم أكل الحمر الأهلية ، وكل ذى ناب من السباع ؛ وتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها (١) . ولم يفكر مسلم فى ترك بعضها لأنها لم تذكر فى الكتاب ، بل استجاب لذلك جميع المسلمين مطبقين أمر الله عز وجل فى اتباع سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى نزل فيه قول الله عز وجل :

« وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى »(٢) .

قال ابن قيم الجوزية : (وقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا »(٣) .

فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً ، سواء أكان ما أمر به فى الكتاب أو لم يكن فيه ، فإنه أوتى الكتاب ومثله معه ؛ ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالا ، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم فى ضمن طاعة الرسول ، إيذاناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول . فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة) (٤) .

---

(١) انظر الرسالة للإمام الشافعى ، ص ٩٢ وما بعدها ، وأعلام الموقعين ، ص ٢٨٨ — ٢٩٠ ، ج ٢ . وأصول التشريع الإسلامى ، ص ٤٢ وما بعدها . وانظر « موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم » من كتابنا « السنة قبل التدوين » .

(٢) النجم : ٣ ، ٤ . (٣) النساء : ٥٩ .

(٤) أعلام الموقعين ، ص ٤٨ ، ج ١ .

فالقرآن والسنة مصدران تشريعيان متلازمان . لا يمكن لمسلم ان يفهم الشريعة إلا إذا رجع إليهما معاً ، ولا غنى لمجتهد أو عالم عن أحدهما ، ولا يجرؤ أن يدعى هذا أحد .

فقد فرض الله تعالى الصلاة على المؤمنين ، من غير أن يبين أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها . فبين الرسول الكريم هذا بصلاته ، وتعليمه المسلمين كيفية الصلاة ، وقال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » (١) ، وفرض الله عز وجل الحج من غير أن يبين مناسكه . وقد بين الرسول الأمين كيفيته ، وقال : « خذوا عنى مناسككم » (٢) . وفرض الله تعالى الزكاة من غير أن يبين ما تجب فيه من أموال وعروض وزروع ، كما لم يبين النصاب الذى تجب فيه الزكاة من كل . وأوكل بيانه للرسول الكريم الذى أوضحه وفصله بسنته . وغير ذلك من الأحكام التى بينتها السنة .

لهذا كله رأينا الصحابة يلتفون حول الرسول صلى الله عليه وسلم يشاهدون بعيونهم ، ويسمعون بآذانهم وتعى قلوبهم ، ويتمسكون بسنته صلى الله عليه وسلم ، ولا يفرقون بين ما جاء فى القرآن وما جاء فى السنة ، وقد امتثل الصحابة لأوامر الله عز وجل ورسوله ، ونفذوها مخلصين ، وحموا الشريعة بالمال والدماء ، فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته .

وحافظوا على الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، وأبوا أن يكونوا ذلك الرجل الذى ينطبق عليه قوله عليه الصلاة والسلام : « يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدّث بحديث من حديثى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله » (٣) بل وقفوا من

---

(١) أخرجه البخارى فى حديث طويل . انظر صحيح البخارى بحاشية السندى ، ص ١٢٥ — ١٢٦ ، ج ١ . وص ٥٢ ، ج ٤ .

(٢) صحيح مسلم ، ص ٩٤٣ ، ج ٢ . وانظر جامع بيان العلم وفضله ، ص ١٩٠ ، ج ٢ .

(٣) سنن ابن ماجه ، ص ٦ ، ج ١ . وسنن البيهقى ، ص ٦ ، ج ١ . رواه المقدام ابن معدى كرب .

السنة موقفاً عظيما ، وردوا على كل من فيهم ذاك الفهم . روى أبو نضرة عن عمران بن حصين : « أن رجلا أتاه فسأله عن شيء ، فحدثه ، فقال الرجل : حدثوا عن كتاب الله عز وجل ، ولا تحدثوا عن غيره . فقال : إنك امرؤ أحمق ! ! أتجد في كتاب الله صلاة الظهر أربعاً لا يجهر فيها ، وعد الصلوات ، وعد الزكاة ونحوها . ثم قال : أتجد هذا مفسراً في كتاب الله ؟ كتاب الله أحكم ذلك ، والسنة تفسر ذلك » (١) .

ونهج التابعون وأتباعهم والمسلمون من بعدهم سبيل الصحابة في المحافظة على السنة والعمل بها وإجلالها . قال رجل للتابعي الجليل مطرف ابن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن . فقال مطرف : « والله ما نريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا » (٢) .

وأخبار اقتداء الصحابة بالرسول صلى الله عليه وسلم والمحافظة على سنته تفوق الحصر ، وسأورد بعضها على سبيل الذكرى .

أتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر تطلب سهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال لها : (إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله عز وجل إذا أطعم نبياً طعمة ، ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده » ، فرأيت أن أرده على المسلمين). فقالت : فأنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم (٣) . وقال في رواية : (لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به ، وإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ) ( ) .

وفي وقعة اليرموك كتب القادة إلى عمر بن الخطاب : (إنه قد جاش إلينا الموت) يستمدونه فكان فيما أجابهم :(إني أدلكم على من هو أعز

---

(١) كتاب العلم للمقدسي ، مخطوطة الظاهرية ، ص ٥١ . وجامع بيان العلم وفضله ، ص ١٩١ ، ج ٢ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ، ص ١٩١ ، ج ٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ص ١٦٠ ، ج ١ بإسناد صحيح .

(٤) مسند الإمام أحمد ، ص ١٦٧ ، ج ١ بإسناد صحيح .

نصراً ، وأحضر جنداً ، الله عز وجل ، فاستنصروه . فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد نصر يوم بدر فى أقل من عدتكم . فإذا أتاكم كتابى هذا فقاتلوهم ولا تراجعونى) (١) .

ويرى عمر رضى الله عنه الناس قد أقبلوا على طيبات الدنيا مما أحل لهم الله تعالى ، فيذكرهم برسولهم صلى الله عليه وسلم ، فيقول : (لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوى ما يجد دقلا علأ به بطنه) (٢) .

وقال سعيد بن المسيب : رأيت عثمان قاعداً فى المقاعد ، فدعا بطعام مما مسته النار فأكله ، ثم قام إلى الصلاة فصلى ، ثم قال عثمان : قعدت مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكلت طعام رسول الله ، وصليت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٣) .

وروى الإمام أحمد أن على بن أبى طالب شرب قائماً ، فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه ، فقال :(ما تنظرون ؟ إن أشرب قائماً فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قائماً ، وإن أشرب قاعداً فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قاعداً) (٤) .

وقد اشتهر عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بمحافظته الشديدة على سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان الرسول أسوته فى كل شىء ، فى صلاته وحجه وصيامه ، وفى جميع أحواله (٥) ، وكثيراً ما كان يقول :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »(٦) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ، ص ٣٠٤ ، جـ ١ . بإسناد صحيح .

(٢) مسند الإمام أحمد ، ص ٣٠٧ و ٢٢٤ ، جـ ١ . بإسناد صحيح ، والدقل هو رديء التمر ويابسه .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ص ٣٧٨ ، جـ ١ . بإسناد صحيح ، والمقاعد مكان فى المسجد كانوا يتوضأون عنده .

(٤) مسند الإمام أحمد ، ص ١٣٠ ، جـ ٢ . وص ١٧٩ ، جـ ٢ منه أيضاً .

(٥) انظر ما رويناه عنه فى كتابنا « السنة قبل التدوين » فى الباب الثانى ، الفصل الأول « اقتداء الصحابة والتابعين بالرسول صلى الله عليه وسلم » .

(٦) الأحزاب : ٢١ .

قيل لعبد الله بن عمر : لا نجد صلاة السفر فى القرآن ؟ فقال ابن عمر : (. . . . إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، ولا نعلم شيئاً فإنما نفعل كما رأينا محمداً صلى الله عليه وسلم يفعل) (١)وفى رواية قال : (وكنا ضلالا فهدانا الله به ، فبه نقتدى) (٢) .

والأخبار عن الصحابة والتابعين وأهل العلم من بعدهم كثيرة جداً ، نختمها بهذا الخبر : فقد روى ابن ماجه أن عبادة بن الصامت الأنصارى ، النقيب ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم — غزا مع معاوية أرض الروم ، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كِسَر الذهب بالدنانير ، وكسر الفضة بالدراهم ، فقال : (يا أيها الناس ، إنكم تأكلون الربا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل ، لا زيادة بينهما ، ولا نظرة » ، فقال له معاوية : (يا أبا الوليد . لا أرى الربا فى هذا إلا ما كان من نَظِرة) ، فقال عبادة : (أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثنى عن رأيك ، لئن أخرجنى الله لا أساكنك بأرض لك على فيها إمرة) . فلما قفل لحق بالمدينة ، فقال له عمر بن الخطاب : (ما أقدمك يا أبا الوليد ؟ فقص عليه القصة ، وما قال من مساكنته . فقال : (ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك ، فقبّح الله أرضاً لست فيها وأمثالك) ، وكتب إلى معاوية : (لا إمرة لك عليه ، واحمل الناس على ما قال ، فإنه هو الأمر)(٣) .

أولئك صحابة رسول الله الذين لم يرضوا ترك سنة كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يقبلوا مع السنة رأى أحد مهما كان شأنه ، ومهما علت مكانته ، أولئك الذين حفظوا الحديث النبوى ، ووجهوا

(١و٢) مسند الإمام أحمد ، ص ٦٨ ، وص ٧٧ ، ج ٨ .

(٣) سنن ابن ماجه ، ص ٧ ، ج ١ . كسر الذهب جمع كسرة ، وهى كالقطعة لفظاً ومعنى . نظرة : انتظار ، أى أجل .

الأمة إلى السبيل القويم ، وحملوا الأمراء على تطبيق أحكام الشريعة ، وأبوا أن يماروا فى دين الله ، صادعين بالحق ، لا يخافون فيه لومة لائم .

وقد كان لهم الفضل الكبير ، والشرف العظيم فى حمل أحكام الشريعة وحفظها وتبليغها إلى من بعدهم .



ولمنزلة الصحابة الكريمة ، وأمانتهم وإخلاصهم ، وحرصهم على الدين وأحكامه ، ودفاعهم عنه ، أجمع أهل السنة على عدالتهم وتوثيقهم جميعاً إلا من ظهر منه ما يجرح عدالته ممن لم يستقيموا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة (١) ، فلا يجوز لأحد أن يتعداهم خشية أن يخالف الكتاب والسنة اللذين نصا على عدالتهم جميعاً .

قال ابن حزم : (نقول بفضل المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب . . ثم بعد هؤلاء أهل العقبة — الأنصار الذين بايعوه بيعة العقبة — ثم أهل بدر ثم أهل المشاهد مشهداً مشهداً ، وأهل كل مشهد أفضل من المشهد الذى بعده حتى يبلغ الأمر إلى الحديبية .فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان فإنا نقطع على غيب قلوبهم أنهم كلهم مؤمنون صالحون ، ماتوا كلهم على الإيمان والهدى والبر ، كلهم من أهل الجنة ، لا يلج أحد منهم النار) (٢) .

وقال شارح مسلم الثبوت : (إن عدالة الصحابة مقطوعة لا سيما أصحاب البدر ، وبيعة الرضوان كيف لا وقد أثنى عليهم الله تعالى فى مواضع عديدة من كتابه ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فضائلهم غير مرة) (٣) .

وقد ورد فى الصحابة ما يوجب لهم العدالة ، ويجعلهم فى ذروة الثقة والائتمان ، فقد زكاهم الله تعالى ورسوله ، وتقبلت الأمة ذلك بالإجماع ، من هذا قوله عز وجل :

---

(١) انظر « الروض الباسم » ص ١٢٨ — ١٣٠ ، جـ ١ ، حيث ذكر بعض من جرح من الصحابة وبين وجه الحق فى عدالتهم . وراجع « العواصم من القواصم » لابن العربى ، فإنه تناول أحوال الصحابة وفند بعض الأقوال والطعون ، ووضح ما قيل فيهم ، وأثبت براءتهم . وانظر « العلم الشامخ » ، ص ٣٠٦ وما بعدها .

(٢) ابن حزم ، حياته وعصره وآراؤه الفقهية لأبى زهرة ، ص ٢٥٩ .

(٣) شرح مسلم الثبوت ، ص ٤٠١ ، حـ ٢ .

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً »(١) .

وقوله عز وجل :

« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم »(٢) .

وقوله عز وجل :

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم مغفرة ورزق كريم »(٣) .

وقال تعالى :

« لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً »(٤) .

تلك آيات كريمة تشهد بفضل ومكانة جميع الصحابة ، وهناك آيات أخرى تذكر فضلهم فى كثير من المواقف ، فى الهجرة والجهاد والبذل والغزوات ، وإن هذه وتلك أدلة قطعية تنص على عدالتهم ، لقد رضى الله عنهم ورضوا عنه ، فهل بعد ذلك نطلب رضاء الناس عنهم وتعديلهم إياهم ؟.

وأدلة عدالة الصحابة من السنة كثيرة تشهد بفضلهم جملة وآحاداً ، وقد أفردت كثير من كتب السنة أبواباً خاصة فى فضل الصحابة .

من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أحداً من أصحابى ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » (٥) .

---

(١) الفتح : ٢٩ .
(٢) التوبة : ١٠٠ .
(٣) الأنفال : ٧٤ .
(٤) الفتح : ١٨ .
(٥) صحيح مسلم ، ص ١٩٦٨ ، ج ٤ .

ومنها ما رواه عبد الله بن مغفل وأخرجه الترمذى وابن حبان فى صحيحه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله الله فى أصحابى . لا تتخذوهم غرضاً بعدى . فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم . ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » .

وغير ذلك من الأحاديث التى تدل على أفضليتهم كقوله صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرنى . ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب » وهو حديث صحيح . وفى رواية : « خير الناس » .

فبعد تعديل الله تعالى ورسوله للصحابة ، وإجماع الأمة على عدالتهم لا يحتاج أحد منهم إلى تعديل أحد ، على أنه لو لم يرد من الله تعالى ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام شىء فى تعديلهم لوجب تعديلهم لما كانوا عليه من دعم الدين والدفاع عنه ، ومناصرتهم للرسول صلى الله عليه وسلم والهجرة إليه ، والجهاد بين يديه ، والبذل السخى من الأموال والأرواح فى سبيل الله والمحافظة على الدين ، والتشدد فى امتثال أوامر الله تعالى ورسوله . واندفاعهم العظيم بصدق وإخلاص وتضحية وجرأة فى سبيل ذلك ، فنراهم يوم بدر يقتحمون الموت ، ويتسابقون لتنفيذ أوامر القائد العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ، من هذا قول سعد بن عبادة الأنصارى : (يا رسول الله ! والذى نفسى بيده ! لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها (١) ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغماد (٢) لفعلنا) (٣) . فقد بذلوا نفوسهم للذود عن حياض الإسلام ، وفدوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأرواحهم . فإذا ما نزل بهم الخطب فى غزوة أحد رأيناهم يتسابقون للدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا أبو دجانة يجعل ظهره ترساً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أثخنته الجراح ، وإلى جانبه

---

(١) أى لو أمرتنا أن نخوض البحر ونعبره بخيولنا لفعلنا .

(٢) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل . انظر هامش صحيح مسلم ، ص ١٤٠٤ ، ج ٣ .

(٣) صحيح مسلم ، ص ١٤٠٣ ، حديث ٨٣ ، ج ٣ . (كتاب الجهاد) (غزوة بدر) .

على يذب عنه بسيفه ، وسعد بن أبي وقاص يرمى بقوسه حتى كتب لهم النصر . . .

فكانوا الأبطال الشجعان فى ساحات الوغى ، والإخوان الأتقياء الرحماء فى ميادين الحياة ، وصدق فيهم قوله تعالى :

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً »(١) .

أولئكم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين علت نفوسهم ، وصفت قلوبهم ، وسمت مثلهم ، بعد أن ذاقوا حلاوة الإيمـــان ، فحافظوا على الشريعة بكل ما أوتوا من قوة ، سراً وعلانية حتى إنا نرى بعض من أخطأ منهم كان يقدم نفسه للرسول صلى الله عليه وسلم لينال جزاءه فى الدنيا قبل الآخرة ، من ذلك ما رواه الإمام مسلم بسنده عن بريدة قال : (جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله . . طهرنى . فقال : « ويحك (٢) ! ارجع فاستغفر الله وتب إليه » قال : فرجع غير بعيد . ثم جاء فقال : يا رسول الله . . طهرنى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويحك ! ارجع فاستغفر الله وتب إليه » قال فرجع غير بعيد . ثم جاء فقال : يارسول الله . . طهرنى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك . حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فيم أطهرك ؟ » فقال : من الزنا ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبه جنون » ؟ فأخبر أنه ليس بمجنون . فقال : « أشرب خمراً » ؟ فقام رجل فاستنكهه (١) ، فلم يجد منه ريح خمر . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أزنيت » ؟ فقال : نعم . فأمر به فرجم . . . ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس ، فسلم ثم جلس : فقال : « استغفروا لماعز بن مالك » قال : فقالوا : غفر الله لماعز بن مالك . قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الفتـــح : ٢٩ .

(٢) ويح : كلمة ترحم وتوجع ، تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها .

(٣) فاستنكهه ، أى شم رائحة فمه . من النكهة ، وهى رائحة الفم .

« لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم ») (١) . تلك هى القلوب المؤمنة ، والنفوس الطيبة الطاهرة ، التى تحرص على حفظ الشريعة وتطبيقها ، مهما تكن نتيجة ذلك .

هؤلاء هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين حفظ لهم التاريخ مآثر خالدة أبد الدهر ، وإن رجالا أوتوا من العزيمة والقوة والتضحية ، والورع والتقوى ما عرفنا — جديرون بكل احترام وحب وتقدير . بل إن حبهم واحترامهم واجب على كل مسلم لما جاء فيهم من آيات كريمة وأحاديث شريفة ، رضى الله عنهم وأرضاهم .

قال عبد الله بن مسعود : (من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالا ، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) (٢) .

وقال التابعى الجليل إبراهيم بن يزيد النخعى : (لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يمسحوا إلا على ظفر ما غسلته التماس الفضل ، وحسبنا من إزراء على قوم أن نسأل عن فقههم ونخالفهم) (٣) .

وقد أجمع السلف والخلف من الأمة الإسلامية على فضل وإخلاص وأمانة الصحابة وعدالتهم ، وأختتم الكلام فى عدالة الصحابة جميعاً بقول الحافظ أبى زرعة الرازى : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول حق والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة ، وهؤلاء الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى) (٣) .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح مسلم ، ص ١٣٢١ ، حديث ٢٢ ، جـ ٣ .

(٢) الموافقات ٧٨ — ٧٩ ، جـ ٤ .

(٣) انظر ترجمة إبراهيم النخعى فى كتاب « السنة قبل التدوين » .

(٤) الكفاية ، ص ٤٩ . وللاستزادة راجع (عدالة الصحابة) فى كتابنا « السنة قبل التدوين » . حديث بسطنا القول ، ورددنا على من ادعى غير ذلك .

حفظ السنة وانتشارها

لقد نزل القرآن الكريم منجماً على محمد صلى الله عليه وسلم خلال ثلاثة وعشرين عاماً ، والرسول الأمين يبلغ قومه ومن حوله ، يبين أحكام القرآن ، ويوضح آياته ، ويفصل تعاليم الإسلام ، ويطبق نظامه ، فكان معلماً وحاكماً وقاضياً ومفتياً وقائداً طيلة حياته عليه الصلاة والسلام ، كان المرجع الأول والأخير فى جميع أمور الأمة وأحوالها ، فكل ما يتعلق بالأمة الإسلامية فى جميع شئونها ، دقيقها وعظيمها ، وكل ما يتناول الفرد والجماعة فى مختلف نواحى حياتهم ، مما لم يرد فى القرآن الكريم فهو من السنة ، العملية أو القولية أو التقريرية ، ومن ثم نجد بين يدينا أحكاماً وآداباً وعبادات وقربات شرعت وطبقت خلال ربع قرن ، فلم توضع السنة دفعة واحدة — كما يتصور بعضهم — كمجموعة من الشرائع الوضعية ، أو الأحكام الخلقية ، التى يمليها بعض الحكماء والوعاظ ، وإنما شرعت لتربية الأمة دينياً واجتماعياً وخلقياً وسياسياً فى السلم والحرب ، فى الرخاء والشدة ، وتتناول النواحى العلمية والعملية ، فلم يكن من السهل أن ينقلب الناس آنذاك فجأة ، ويتحولوا بين عشية وضحاها عن تعاليمهم القديمة ، ودياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم إلى الإسلام فى نظامه وعقائده وتعاليمه وعباداته .

لقد تدرج القرآن الكريم فى انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة المستحكمة ، ومحاربة المنكرات التى كان عليها الناس فى الجاهلية ، وثبت بالتدريج أيضاً العقائد الصحيحة ، والعبادات والأحكام ، ودعا إلى الآداب السامية ، والأخلاق الفاضلة الحميدة ، وشجع الذين التفوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم على الصبر والثبات ، وفى هذا كله كان الرسول الكريم يبين القرآن ويفتى الناس ، ويفصل بين الخصوم ، ويقيم الحدود ، ويطبق تعاليم القرآن ، وكل ذلك سنة .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتخذ دار الأرقم مقراً له ولأصحابه حين كانت الدعوة سرية ، وفيها تلقى المسلمون تعاليم الإسلام الأولى ، وحفظوا ما تنزل من القرآن ، ثم ما لبث أن أصبح منزل الرسول

صلى الله عليه وسلم فى مكة معهد المسلمين الذى يتلقون فيه القرآن الكريم ، ويَنهلون من معين السنة على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان الصحابة يستظهرون آيات القرآن ، ويتدارسونها فيما بينهم ، ليثبتوا ما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يتذاكرون تفسير ما تلقوه ، وما تفسيره إلا شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحديث . فحفظ الحديث النبوى كان متمشياً جنباً إلى جنب مع حفظ القرآن الكريم من الأيام الأولى لظهور الإسلام .

ثم أصبح المسجد فيما بعد المكان المعهود للعلم والفتوى والقضاء ، إلى جانب العبادة وإقامة الشعائر الدينية ، وعرض الأمور العامة على المسلمين . واستنفار الجيوش ، واستقبال الوفـــود .

ومع هذا لم يقتصر تبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم على مكان محدود ولا على مناسبة معينة ، فقد كان يستفتى فى الطريق فيفتى ، ويسئل فى المناسبات فيجيب ، يبلغ الأحكام فى كل فرصة تسنح له ، وفى كل مكان يتسع لذلك .

وإلى جانب هذا كانت له مجالس علمية كثيرة ، يتخول فيها أصحابه بالموعظة ، فإذا جلس جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً (١) وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « . . إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً ، يقرأون القرآن ، ويتعلمون الفرائض والسنن » (٢) . ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضنيناً بالعلم على أصحابه ، بل كان يكثر مجالستهم ، يعلمهم ويزكيهم .

وكان الرسول الكريم مثالا رائعاً فى تربية الأمة ، يخاطب الناس بما يدركونه ، فيفهم البدوى الجافى بما يناسب جفاءه وقسوته ، ويفهم الحضرى بما يلائم حياته وبيئته ، كما كان يراعى تفاوت المدارك ، وانتباه أصحابه ، وقدرهم الفطرية والمكتسبة ، ويستعمل من الأساليب النظرية والعملية

(١ و ٢) انظر مجمع الزوائد ، ص ١٣٢ ، ج ١ .

ما يحقق مقاصد رسالته . والأخبار فى هذا كثيرة جداً منها : أن فتى من قريش أتى النبى صلى الله عليه وسلم : فقال : يا رسول الله ائذن لى فى الزنا ، فأقبل القوم عليه وزجروه ، فقالوا : مه مه ! ! فقال صلى الله عليه وسلم : ادنه ، فدنا منه قريباً . فقال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . ثم ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخته وعمته وخالته ، وفى كل هذا يقول الفتى مقالته : (لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك) ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه » قال الراوى : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء (١) .

لقد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلوباً جعل الفتى يدرك أثر الزنا فى المجتمع ، وكيف أن الناس جميعاً لا يرضونه لأنفسهم وأهليهم كما أنه لا يرضاه هو لذويه ، مما حمله على الاقتناع بالإقلاع عنه . وخير الأمور ما كان الدافع إليه من قرارة النفس .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلى التيسير دائماً ، وينهى عن التنطع فى العبادة ، والتضييق فى الأحكام ، وكان فى معاملاته للمسلمين جميعاً أخاً رحيما ، ومعلماً متواضعاً حليما ، ويظهر ذلك واضحاً من تتبع سيرته عليه الصلاة والسلام . عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : (ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه . وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) (١) .

بهذه الروح الطيبة ، والنفس السامية ، والصدر الرحب ، والمنهج التربوى الصحيح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه

---

(١) مجمع الزوائد ، ص ١٢٩ ، ج ١ .

(٢) فتح البارى ، ص ٣٨٥ — ٣٨٦ ، ج ٧ .

والمسلمين عامة أحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه ، ولم يكن بين الرسول الكريم والمسلمين حاجب كالملوك والقياصرة . بل كان المسجد معهده يعلم فيه المسلمين الشريعة ، وقد يرونه فى الطريق فيسألونه ، فيبش لهم ويجيبهم ، وقد يعترضونه فى مناسكه وحجه ، أو على راحلته ، يستفتونه فيفتيهم ، والابتسامة لا تفارق ثغره ، وقد تكون إجابته لسائل عن مسألة وحوله جمع قليل أو كثير ، وقد يكون على منبر مسجده يبلغ الناس الإسلام وتعاليمه ، ويفصل الأحكام ويشرحها . . فينقل السامعون ما تلقوه إلى إخوانهم وذويهم . . . فإن من سمع وشاهد ووعى ستبقى آثار ما تلقاه واضحة جلية فى نفسه أمداً طويلا ، حتى إذا ما شك فيما سمع عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليزيل وهمه ، ويثبته على الصواب ، ويرده إلى الحق .

وقد حرص الصحابة على مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأقبلوا على تلقى السنة وتطبيقها من قلوبهم صادقين مخلصين ، بعد أن ذاقوا حلاوة الإيمان ، وعرفوا عظمة الإسلام ، ورأوا فى القرآن المعجزة الكبرى والهداية العظمى ، فامتلأت قلوبهم حباً لله ورسوله ، وتفانوا فى سبيل دينهم ومبادئهم وحماية قائدهم ومعلمهم ، وأخبار بذلهم وفدائهم تكلل جبين التاريخ وتزينه ، وإن التاريخ ليحفظ تلك المفاخر الخالدة من التضحيات العظيمة النادرة .

بهذه القلوب التى امتلأت بالإيمان . وبهذه الروح السامية والحيوية الدائمة أقدم الصحابة على تلقى العلم عن رسول الله الكريم ، فكانوا يتعلمون من النبى صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم آيات معدودات : يتفهمون معناها ، ويتعلمون فقهها ، ويطبقونه على أنفسهم ، ثم يحفظون غيرها ، وفى هذا يقول أبو عبد الرحمن السلمى : (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن - كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود وغيرهما — أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات ، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . . قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً)

وكان الصحابة يحرصون على حضور مجالس رسول الله صلى الله عليه

وسلم حرصاً شديداً ، إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من الرعاية والتجارة وغيرها ، وقد يصعب على بعضهم الحضور دائماً ، فيتناوبون مجالسه عليه الصلاة والسلام ، كما كان يفعل ذلك عمر رضى الله عنه ، قال : (كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية ، وهى من عوالى المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك . .) (١) .

ولم يقتصر تعليمه صلى الله عليه وسلم على الصحابة وحدهم ، بل كان يعلم النساء أمور دينهم ، ويعقد لهن مجالسهن ، ولم يكن ذلك صدفة أو نادراً ، بل خصص لهن أوقاتاً خاصة يجلسن فيها إليه ويتلقين عنه تعاليم الإسلام ، ويسألنه فيجيبهن ، وفى هذا قالت عائشة رضى الله عنها : (نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين) (٢) .

وكان بعض الوفود يقيم عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، يتعلمون أحكام الإسلام وعباداته ، ثم يعودون إلى أقوامهم يعلمونهم ويفقهونهم ، من هذا ما أخرجه البخارى عن مالك بن الحويرث قال : (أتينا النبى صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظن أنا أشتقنا أهلنا ، وسألنا عمن تركنا فى أهلنا ، فأخبرناه ، وكان رفيقاً رحيما ، فقال : « ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم ، وصلوا كما رأيتمونى أصلى ، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم » (٣) .

إن مثل هؤلاء الوافدين الذين أقاموا أياماً خالدة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يمكن أن ينسوا ما تلقوه منه ، بل سيبقى ذلك ثابتاً قوياً فى نفوسهم طوال حياتهم .

---

(١) فتح البارى ، ص ١٩٥ ، ج ١ .
(٢) فتح البارى ، ص ٢٣٩ ، ج ١ .
(٣) صحيح البخارى بحاشية السندى ، ص ٥٢ ، ج ٤ .

وإلى جانب هذه الوفود وتلك المجالس ، كان المسلمون يتلقون السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه عدة . منها أن بعض الحوادث كانت تقع للرسول صلى الله عليه وسلم فيبين حكمها ، وينتشر هذا الحكم بين المسلمين ؛ وبعض الحوادث كانت تقع للمسلمين فيسألون الرسول الأمين عنها فيجيبهم ، ومن هذه الحوادث ما يتناول خصوصيات السائل نفسه ، ومنها ما يتعلق بغيره ، وجميعها من الوقائع التى تعرض للإنسان فى حياته فنرى الصحابة لا يخجلون فى ذلك كله ، بل يسرعون إلى رائدهم ومربيهم ليقفوا على حقيقة تطمئن قلوبهم إليها .

إن هؤلاء الصحابة الذين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمورهم الشخصية التى قد يخجل منها غيرهم ، كانوا لا يحجمون عن سؤاله فى معاملاتهم وعباداتهم وعقائدهم وسائر أمورهم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيبهم على أسئلتهم هذه كلها ويحكم بينهم ، ويبين لهم الحق ، وفى تلك الأجوبة والفتاوى والأقضية مادة كثيرة فى مختلف أبواب كتب السنة ، وهى تؤلف جانباً كبيراً من الحديث النبوى . ويبعد أن ينسى هذه الحوادث من وقعت له وسأل عنها النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنها جزء من حياة السائل ، بل واقعة بارزة من وقائع عمره .

وهناك وقائع شاهد فيها الصحابة رضوان الله عليهم تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى صلاته وصيامه وحجه وسفره وإقامته ، فنقلوها إلى التابعين الذين بلغوها إلى من بعدهم ، وهى تؤلف جانباً عظيماً من السنة ، وخاصة هديه صلى الله عليه وسلم فى العبادات والمعاملات وسيرته . . .

مما سبق اتضح لنا كيف تلقى المسلمون السنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعرفنا الروح التى شملتهم ، والدوافع القوية التى حثتهم على تلقى القرآن والسنة وحفظهما ، مما يسمح لنا أن نقول — ونحن واثقون مطمئنون — :

إن السنة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت محفوظة عند الصحابة جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم ، وإن كان نصيب كل صحابى منها يختلف عن نصيب الآخر ، فمنهم المكثر من حفظها ، ومنهم المقل ، ومنهم المتوسط فى ذلك ، ومن ثم نستطيع تأكيد أنهم قد أحاطوا بالسنة ، وتكلفوا بنقلها إلى التابعين الذين نقلوها إلى من بعدهم طبقاً لقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « تَسمعون ويُسمع منكم ، ويسمع ممن يسمع منكم » (١) .

وقد انتشرت السنة فى عهده صلى الله عليه وسلم ، بما كان له من جد ونشاط فى تبليغه ، وبواسطة أصحابه ، ولا ننس أثر أمهات المؤمنين فى نشر السنة بين النساء ، وأثر بعوثه وولاته ورسله ، وما كان لغزوة الفتح من أثر بعيد فى نشر بعض السنن ، ثم ما كان لحجة الوداع من أثر عظيم وبعيد فى نشر كثير من الأحكام والسنن ، كما انتشرت السنة بواسطة الوفود الكثيرة التى قدمت بعد الفتح الأعظم وحجة الوداع . كل تلك العوامل كفيلة بنشر السنة وتبليغها المسلمين فى مختلف أرجاء الدولة الإسلامية آنذاك (٢) ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن انتشر الإسلام فى الجزيرة العربية كلها ، وساد ربوعها ، وملأ القرآن والسنة صدور أهلها ، مصداقاً لقوله عز وجل :

« **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** »(٣) .

وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم حرص الصحابة والتابعون على الاقتداء بالرسول والتمسك بسنته ، وقوفاً عند وصيته عليه الصلاة والسلام : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » واحتاطوا فى رواية الحديث ، وتتبعوا آثار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأبوا أن يخالفوها متى ثبتت عندهم ، كما أبوا أن ينحرفوا عن شىء ، فارقهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . واتبعوا كل سبيل يحفظ السنة المطهرة من الخطأ أو التحريف ، فآثروا الاعتدال فى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتشدد عمر رضى الله عنه فى هذا خشية الخطأ ،

---

(١) مسند الإمام أحمد ، ص ٧٤ ، ج ٢ .

(٢) لقد فصلنا القول فى هذا فى كتابنا « السنة قبل التدوين » .

(٣) المائدة : ٣ .

لهذا نرى بعضهم — مع كثرة تحملهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم — لا يكثر من الرواية آنذاك ، وكانوا يتورعون من الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكثيراً ما كان بعضهم تغرورق عيونهم بالدموع عندما يقولون : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وكثيراً ما كانوا يقولون بعد الحديث (أو كما قال) ، قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : (أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ما منهم أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه إياه)وفي رواية :(يسئل أحدهم المسألة فيردها هذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول) (١) .

هكذا تشدد الصحابة في الحديث ، وأمسك بعضهم عن روايته كراهية التحريف ، أو الزيادة والنقصان في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن كثرة الرواية كانت في نظر كثير منهم مظنة الوقوع في الخطأ ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نهى رسول الله عن الكذب عليه ، وعن رواية ما يرى أنه كذب ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، وفي رواية : « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » (٢) .

وكان الصحابة يخشون أن يقعوا في الكذب عامة ، فكيف يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . .

وفي هذا يقول الإمام علي رضي الله عنه : (إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ، فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه . . .) (٣) .

وقد طبع جميع الصحابة هذا المنهج ، حرصاً منهم على حفظ القرآن والسنة ، ومخافة أن يشتغل الناس برواية الحديث عن القرآن الكريم ، وهو

---

(١) مختصر كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول ، ص ١٣ .

(٢) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ، ص ١١ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ص ٤٥ ، ج ٢ .

دستور الأمة ، فأرادوا أن يحفظ المسلمون القرآن جيداً ، ويعتنوا بالحديث الشريف الذى لم يكن قد دون كله فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كالقرآن الكريم ، فنهجوا منهج التثبت العلمى ولم يكثروا من الرواية مخافة الوقوع فى الخطأ ، وقد تشدد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى تطبيق هذا المنهج ، وعرف إتقان بعض الصحابة وحفظهم الجيد فسمح لهم بالتحديث .

ويجب ألا يفهم من هذا أن الصحابة امتنعوا عن رواية الحديث ، أو عن تبليغه ، إنما أبوا أن يكثروا من الرواية عند عدم الحاجة ، ومفهوم أنه لا يكون إكثار إلا عند عدم الحاجة إلى الإكثار . فكانوا جميعاً يتثبتون فى الحديث ، ويتأنون فى قبول الأخبار وأدائها ، وكانوا لا يحدثون بشىء إلا وهم واثقون من صحة ما يروون ، وقد حرصوا على المحافظة على الحديث بكل وسيلة تفضى إلى ذلك ، فاتبعوا منهجاً سليماً يمنع الشوائب من أن تدخل السنة النبوية فتفسدها . وقد اهتموا اهتماماً كبيراً بالسنة النبوية ونشرها ، وإن الأخبار التى تروى عنهم فى هذا الشأن كثيرة جداً ، فكان يسأل بعضهم بعضاً عن الحديث ويرحلون من أجله ، قال ابن عباس: (إنه كان يبلغنى الحديث عن الرجل ، فآته بابه وهو قائل (١) ، فأتوسد ردائى على بابه ، تسفى الريح على من التراب ، فيخرج فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلى فآتيك ؟ فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث . .) (٢) .

وروى بعض الصحابة عن ، بعض ولم يكتفوا بدراسة الحديث فيما بينهم ، بل حثوا على طلبه وحفظه وحضوا التابعين على مجالسة أهل العلم والأخذ عنهم ، ولم يتركوا وسيلة لذلك إلا أفادوا منها . من هذا ما روى عن عمر رضى الله عنه قال : (تفقهوا قبل أن تسودوا) (٣) وقال : (تعلموا الفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن) (٤) .

---

(١) أى وهو فى نوم الظهيرة ، من القيلولة والقائلة .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ، ص ٢٤ ، جـ ١ . وانظر ص ٢٤ : ب منه .

(٣) فتح البـارى ، ص ١٧٥ ، جـ ١ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ، ص ٣٤ ، جـ ٢ .

وكان أبو ذر مثلا رائعاً لنشر الحق وتبليغ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى البخارى بسنده عنه أنه قال : (لو وضعتم الصمصامة — السيف الصارم — على هذه — وأشار إلى قفاه — ثم ظننت أنى أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا على لأنفذتها) (١) ، وما كان أبو ذر بدعاً فى الصحابة ، إنما كان أحد الألوف الذين ساهموا فى حفظ السنة ونشرها . وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب : (تزاوروا وتذاكروا الحديث ، فإنكم إلا تفعلوا يدرس) (٢) .

ووقف عمرو بن العاص على حلقة من قريش فقال : (ما لكم طرحتم هذه الأغيلمة ؟ لا تفعلوا ، وأوسعوا لهم فى المجلس ، وأسمعوهم الحديث ، وأفهموهم إياه ، فإنهم صغار قوم أوشك أن يكونوا كبار قوم ، وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم) (٣) .

وازداد النشاط العلمى فى عصر الصحابة والتابعين ، وانتشرت حلقات العلم فى جميع المساجد ، فى مختلف الأمصار الإسلامية ، حتى إن حلقات أبى الدرداء فى جامع دمشق كانت تضم نيفاً وخمسمائة ألف طالب (٤) ، قال أنس بن سيرين : (قدمت الكوفة قبل الجماجم ، فرأيت بها أربعة آلاف يطلبون الحديث)(٥) ، وزاد فى رواية فقال : (وأربعمائة قد فقهوا) (٦) .
كما كانت حلقات العلم تعقد فى حمص وحلب والفسطاط والبصرة والكوفة واليمن ، إلى جانب حلقات ينبوع الإسلام فى مكة والمدينة ، فقد كانت فى المدينة كالروضة يختار منها طالب العلم ما يشاء (٧) .

---

(١) فتح البارى ، ص ١٧٠ ، جـ ١ .
(٢) شرف أصحاب الحديث ، ص ٩٩ .
(٣) شرف أصحاب الحديث ، ص ٨٩ : ب .
(٤) التاريخ الكبير (تهذيب) لابن عساكر ، ص ٦٩ .
(٥) المحدث الفاصل ، ص ٨١ : أ . ووقعة الجماجم مشهورة ، كانت بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث سنة (٨٢ هـ) ، وفيها قتل عبد الرحمن وكثير من القراء . انظر تاريخ الطبرى ١٥٧/٥ ، ودير الجماجم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها ، على طرف البر للسالك إلى البصرة . معجم البلدان ١٣١/٤ .
(٦) المحدث الفاصل ، ص ١٣٥ : ب .
(٧) انظر المحدث الفاصل ، ص ٩ : ب .

وكان التعليم فى تلك الحلقات يعتمد على أسس تربوية هامة ، تعتبر من أبرز الأسس فى التربية الحديثة (١) . ثم ما لبثت أن ظهرت دور الحديث فى العصور التالية ، فى معظم البلدان الإسلامية .

وفى عهد التابعين وأتباعهم ازداد النشاط العلمى لانتشار الصحابة فى الأمصار الإسلامية ، ثم ما لبث التابعون أن تصدروا للرواية ، وسلكوا سبيل الصحابة ، وساروا على نهجهم ، فكانوا على جانب عظيم من الورع والتقوى ، وليس بعيداً ما نقول لأنهم تخرجوا فى مدارس الصحابة تلامذة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتثبتوا فى قبول الحديث وروايته . وكانت أمامهم عيونهم وصية الصحابة وكبار التابعين « إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » ، ولهذا كانوا يرون الأمانة فى الذهب والفضة أيسر من الأمانة فى الحديث . فنسمع سليمان بن موسى يقول لطاوس : (إن رجلا حدثنى بكيت وكيت ، فيقول له : إن كان ملياً فخذ منه) (٢) وكان ابن عون يقول : (لا يؤخذ هذا العلم إلا ممن شهد له بالطلب) (٣) .

وكان يزيد بن أبى حبيب محدث الديار المصرية يقول : (إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد الضالة ، فإن عرف فخذه، وإلا فدعه) (٤) .

وكانوا لا يأخذون الحديث إلا عن العدول الثقات ، ولا يأخذون الحديث عن غير أهله ، ولا عمن لا يعرف ما يروى ، قال الإمام مالك : (لا يؤخذ العلم عن أربعة ، ويؤخذ ممن سوى ذلك : لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من سفيه معلن بالسفه ، وإن كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث) (٥) وقال الإمام الشافعى :

---

(١) انظر : النشاط العلمى فى عصر الصحابة والتابعين فى كتابنا « السنة قبل التدوين » .

(٢) الجرح والتعديل ، ص ٢٧ ، ج ١ .

(٣) الجرح والتعديل ، ص ٢٨ ، ج ١ .

(٤) الجرح والتعديل ، ص ١٩ ، ج ١ .

(٥) المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ، ص ٧٩ : أ — ب . والجرح والتعديل ، ص ٣٢ ، ج ١ .

(كان ابن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، وطاوس وغير واحد من التابعين يذهبون إلى ألا يقبلوا الحديث إلا عن ثقة يعرف ما يروى ، ويحفظ ، وما رأيت أحداً من أهل الحديث يخالف هذا المذهب) (١) .

لهذا اعتنى المحدثون بمعرفة أحوال الرواة وبلدانهم وسماعاتهم ، وسألوا عنهم ، وتكلموا فى الجرح والتعديل ، قال السخاوى : (وأما المتكلمون فى الرجال فخلق من نجوم الهدى ، ومصابيح الظلام المستضاء بهم فى دفع الردى ، لا يتهيأ حصرهم فى زمن الصحابة ، سرد ابن عدى فى مقدمة كاملة خلقاً إلى زمنه (٢٧٧ — ٣٦٥ هـ) ، فالصحابة الذين أوردهم : عمر ، وعلى، وابن عباس ، وعبد الله بن سلام ، وعبادة بن الصامت ، وأنس ، وعائشة ، رضى الله عنهم . . وسرد من التابعين عدداً كالشعبى ، وابن سيرين ، وسعيد بن المسيب ، وابن جبير . ولكنهم فيهم قليل بالنسبة لمن بعدهم لقلة الضعف فى متبوعهم ، إذ أكثرهم صحابة عدول ، وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم ثقات . ولا يكاد يوجد فى القرن الأول الذى انقرض فيه الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد بعد الواحد ، كالحارث الأعور والمختار الكذاب) (٢) . وكان المحدثون يبينون أحوال الرواة وينقدونهم ويعدلونهم حسبة لله ، لا تأخذهم خشية أحد ولا تملكهم عاطفة ، فليس أحد من أهل الحديث يحابى فى الحديث أباه ولا أخاه ولا ولده . سئل زيد بن أبى أنيسة عن أخيه فقال : (لا تأخذوا عن أخى) (٣) ، وسئل على بن المدينى عن أبيه فقال : (سلوا عنه غيرى . فأعادوا المسألة ، فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : هو الدين ، إنه ضعيف) (٤) .

وكانوا يأمرون طلابهم وإخوانهم أن يبينوا أحوال الرواة ، قال عبد الرحمن بن مهدى : (سألت شعبة وابن المبارك والثورى ومالك بن أنس

---

(١) مقدمة التمهيد ، ص ١٠ : ب .
(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص ١٦٣ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، ص ١٢١ ، ج ١ .
(٤) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص ٦٦ .

عن الرجل يتهم بالكذب ، فقالوا : انشره ، فإنه دين) (١) ، وقال يحي ابن سعيد : (سألت سفيان الثوري وشعبة ، ومالكاً ، وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتاً فى الحديث ، فيأتيني الرجل فيسألني عنه ، قالوا : أخبر عنه أنه ليس بثبت) (٢) .

وكان النقاد يدققون فى حكمهم على الرجال ، يعرفون لكل محدث ما له وما عليه ، قال الشعبي : (والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة وأخطأت مرة لعدوا على تلك الواحدة) (٣) .

وكانت المظاهر لا تغريهم ، وكل ما يهمهم أن يخلصوا العمل لله ، ويصلوا إلى الحق الذى ترتاح عنده ضمائرهم ، لخدمة الشريعة ، ودفع ما يشوبها ، وبيان الحق من الباطل ، قال يحي بن معين : (إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم فى الجنة منذ أكثر من مائتى سنة) (٤) قال السخاوى : (أى أناس صالحون ، ولكنهم ليسوا من أهل الحديث) (٥) .

هكذا بين جهابذة علم الحديث — منذ صدر الإسلام إلى عهد التدوين والتصنيف — أحوال الرواة : المقبول منهم والمتروك ، وألفت مصنفات ضخمة فى الرواة وأقوال النقاد فيهم ، حتى إنه لم يعد يختلط الكذابون والضعفاء بالعدول الثقات ، كما ألفت مصنفات ومعاجم خاصة بالضعفاء والمتروكين ، وأصبح من السهل جداً على أصحاب الحديث أن يميزوا الخبيث من الطيب فى كل عصر ، وقد بنى النقاد حكمهم فى الرواة على قواعد دقيقة ، فقدموا للحضارة الإنسانية أعظم إنتاج فى هذا المضمار ، يفخر به المسلمون أبد الدهر ، وتعتز به الأمة الإسلامية التى شهد لها كبار العلماء بأياديها البيضاء فى خدمة السنة الشريفة ، قال المستشرق الألمانى « شبرنجر »

---

(١) مقدمة التمهيد ، ص ١٢ : ب .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، ص ٩٢ ، جـ ١ .
(٣) تذكرة الحفاظ ، ص ٧٧ ، جـ ١ .
(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ، ص ١٦٠ : أ .
(٥) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص ٥٢ .

فى تصدير كتاب الإصابة لابن حجر — طبعة كلكتا سنة ١٨٥٣ — ١٨٦٤ م ما :
(لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة ، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت فى علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون فى هذا العلم العظيم الخطر الذى يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشئونهم . .) .

وقد ظهرت تلك المصنفات منذ أواخر القرن الهجرى الثانى وطلائع القرن الثالث .

وإلى جانب هذا فقد التزم العلماء رواية الحديث بأسانيده ، وكانوا يتثبتون من صحة الأحاديث بالارتحال إلى الصحابة وكبار التابعين ، ويقارنون بين طرق الأحاديث ، ومتونها ، ويعرفون زيادات الرواة فيهما ، كما قسموا الأحاديث درجات يعرف بها المقبول من المردود ، والقوى من الضعيف .

فلم تصلنا الأحاديث فى أمهات مصادرها إلا بعد جهود عظيمة بذلها أسلافنا العظام ، الذين خدموا السنة خدمة جليلة ، وتفانوا فى سبيل حفظها وصيانتها .

وقد هيأ الله عز وجل لحفظ شريعته حفاظاً متقنين ضابطين ، نقلوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظوا على الأمة شريعتها ودينها ، فى مختلف العصور منذ عصر الصحابة إلى ما بعد التدوين وظهور مصنفات الحديث العظيمة ، وقد وهب الله تعالى لهؤلاء الحفاظ حوافظ قوية ، وإن التاريخ يروى لنا ما كان يحفظه أبو هريرة ، وعبد الله ابن عمر وأنس بن مالك ، وعائشة أم المؤمنين التى كانت آية من آيات الذكاء والحفظ ، وعبد الله بن عباس الذى اشتهر بسرعة حفظه ، حتى إنه كان يحفظ الحديث من مرة واحدة ، وقد سمع قصيدة لابن أبى ربيعة عدتها ثمانون بيتاً فحفظها من المرة الأولى ، وفى الصحابة أمثاله كزيد بن ثابت الذى حفظ معظم القرآن قبل بلوغه ، وتعلم لغة اليهود فى سبعة عشر يوماً ، وجابر بن عبد الله ، وأبى سعيد الخدرى وغيرهم من أعلام الصحابة فى الحفظ والضبط والإتقان .

وفى التابعين نافع مولى عبد الله بن عمر الذى لم يخطىء فيما حفظ ، وأجمع النقاد على دقة حفظه ، وفيهم محمد بن سيرين ، وسعيد بن المسيب وابن شهاب الزهرى حفاظ عصرهم ، وعامر الشعبي ديوان زمانه ، وقتادة ابن دعامة السدوسى مضرب المثل فى سرعة الحفظ والضبط والإتقان ، وغيرهم من التابعين .

وأما فى عهد أتباع التابعين ومن بعدهم فقد كثر الحفاظ كثرة عظيمة ، واتسع النشاط العلمى حتى إنه ما كانت تخلو مدينة من كبار الحفاظ الذين تشد الرحال إليهم ، أمثال سفيان الثورى ، والإمام مالك بن أنس ، وسفيان ابن عيينة ، وعبد الله بن المبارك ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعلى بن المدينى ، وإسحاق بن راهويه ، والإمام أحمد ، والإمام البخارى ، ومسلم ، وأبى حاتم الرازى ، وأبى زرعة وغيرهم من أئمة الحديث وحفاظه .

وقد ساهمت الأقلام والدفاتر فى حفظ الحديث إلى جانب حفظه فى الصدور ، فمنذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب عبد الله ابن عمرو بن العاص صحيفته الصادقة بين يديه صلى الله عليه وسلم ، كما سمح لغيره ممن لا يحفظ بالكتابة كسماحه (لأبى شاه) اليمنى ، كما أن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم كتبوا بين يديه الكريمتين بعض الأحكام إلى أمرائه وولاته فى البلدان .

وأما ما ورد من نهى عن الكتابة فقد كان خشية إلتباس القرآن بالسنة ، وخوفاً من أن ينشغل الناس آنذاك عن القرآن الكريم ، وقد سمح الرسول لبعض المتقنين بالكتابة ، كما سمح لمن لا يقدر على الحفظ أن يكتب ، ثم أبيحت كتابة الحديث ، ولهذا كان كثير من التابعين يكتبون بين يدى الصحابة ، كما كان عند بعض الصحابة بعض الصحف التى فيها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالصحيفة التى كانت فى قائم سيف أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، والصحيفة التى وجدت فى قائم سيف أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، والكتاب الذى كتبه أبو بكر الصديق لأنس بن مالك فى الصدقات التى فرضها الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما كان عند

سعد بن عبادة الأنصارى (— ١٥ هـ) كتاب أو كتب فيها طائفة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مثل ذلك عند أبى رافع مولى الرسول الكريم ، وعند غيره ، وإن المقام يضيق عن حصر ما كتب فى عهد الصحابة والتابعين (١) ، ومع هذا لابد من الإشارة إلى أن صحيفة عبد الله ابن عمرو ، وهى (الصحيفة الصادقة) قد دونت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أشهر ما دون فى عصر الصحابة صحيفة جابر بن عبد الله الأنصارى (١٦ ق هـ — ٧٨ هـ) ولعل بعضها دون فى عهده صلى الله عليه وسلم ، و (الصحيفة الصحيحة) التى أملاها أبو هريرة على همام بن منبه وغيرها من الصحف التى كانت عند عروة بن الزبير ، وخالد بن معدان الكلاعى ، وأبى قلابة ، والحسن البصرى ، وكثرت كتب العلماء حتى بلغت كتب الصحابى الجليل عبد الله بن عباس حمل بعير ، وقد نقلت كتب الزهرى بعد مقتل الوليد بن يزيد الأموى (٨٨ — ١٢٦ هـ) من خزائنه على الدواب ، وقد شاع التدوين فى مطلع القرن الهجرى الثانى بين العلماء ، وأصبح من النادر ألا ترى لأحدهم تصنيفاً أو جامعاً فيه بعض أبواب الحديث .

وقد تبنت الدولة رسمياً فى عهد عمر بن عبد العزيز تدوين الحديث ، فكتب إلى الأمصار يأمر العلماء بجمعه وتدوينه ، وكان فيما كتبه لأهل المدينة : (انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاكتبوه ، فإنى خفت دروس العلم وذهاب أهله) ، وكتب إلى أمير المدينة ، أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم (— ١١٧ هـ) : (اكتب إلى بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبحديث عمرة ، فإنى خشيت دروس العلم ، وذهاب أهله) .

كما أمر ابن شهاب الزهرى (— ١٢٤ هـ) وغيره بجمع السنن ، فكتبوها له ، وكان ابن شهاب أحد الأعلام الذين شاركوا فى جمع الحديث والكتابة : قال : (أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن ، فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً) ...

---

(١) بسطت القول فى هذا فى كتابى « السنة قبل التدوين » تحت عنوان « أشهر ما دون فى صدر الإسلام » .

وقد تبين لى من متابعة بحث التدوين أن عبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز حين ولى إمرة مصر — كتب إلى محدث حمص التابعى الجليل كثير بن مرة الحضرمى ، الذى أدرك سبعين بدرياً من الصحابة — أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديث أبى هريرة فإنه كان عنده ، ولا يظن بكثير إلا أن يستجيب لطلب الأمير ، فيجتمع له بهذا ما كان عنده من حديث أبى هريرة وما عند كثير . ويكون ما فعله الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد هذا — من العناية بالحديث ومطالبة العلماء فى الأمصار المختلفة بكتابته والجلوس لمدارسته — ليس إلا امتداداً لما شرع فيه أبوه من قبل .

ولم يلبث تيار النشاط العلمى ، وكتابة الحديث أن طالع العالم بمدونات حديثية مختلفة ،على يدى علماء النصف الأول من القرن الهجرى الثانى ،وقد ظهرت هذه المصنفات فى أوقات متقاربة فى مختلف مناطق الدولةالإسلامية .

فكان أول من صنف فى مكة عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصرى (— ١٥٠ هـ) ، وأول من صنف فى المدينة المنورة مالك بن أنس (٩٣ — ١٧٩ هـ) ، ومحمد بن إسحاق (— ١٥١ هـ) ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبى ذئب (٨٠ — ١٥٨هـ) ،وقد صنف موطأ أكبر من موطأ الإمام مالك .

وأول من صنف بالبصرة الربيع بن صبيح (— ١٦٠ هـ) ، وسعيد بن أبى عروبة (—١٥٦هـ) ،وحماد بن سلمة (— ١٧٦ هـ) وصنف سفيان بن سعيد الثورى (٩٧—١٦١هـ) بالكوفة ، ومعمر بن راشد (٩٥—١٥٣هـ) باليمن ، والإمام عبد الرحمن عمرو الأوزاعى (٨٨ — ١٥٧ هـ) بالشام ، وعبد الله ابن المبارك (١١٨ — ١٨١ هـ) بخراسان ، وهشيم بن بشير (١٠٤— ١٨٣ هـ) بواسط ، وجرير بن عبد الحميد (١١٠ — ١٨٨ هـ) بالرى ، وعبد الله ابن وهب (١٢٥ — ١٩٧ هـ) بمصر كما لا أشك فى أن الليث بن سعد المصرى الفقيه الإمام المشهور (— ١٧٥ هـ) كان قد جمع وصنف ، لما عرف عنه من نشاط علمى واسع وصلة دائمة بعلماء المشرق الإسلامى . ثم تلاهم كثير من أهل العلم فى عصرهم فى النسج على منوالهم ، وقد كان هذا التصنيف بالنسبة إلى جمع الأبواب وضمها إلى بعضها فى مؤلف ،

أو مصنف أو جامع ، وأما جمع حديث إلى مثله فى باب واحد ، فقد سبق إليه التابعى الجليل عامر بن شراحيل الشعبى (١٩ — ١٠٣ هـ) .

وكان معظم تلك المصنفات ، والمجاميع يضم الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين ، كما هو واضح فى موطأ الإمام مالك بن أنس الذى يضم ثلاثة آلاف مسألة وسبعمائة حديث .

ثم رأى بعض الحفاظ أن تفرد أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فى مؤلفات خاصة ، فألفت المسانيد ، وهى كتب تضم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيدها ، خالية من فتاوى الصحابة والتابعين ، تجمع فيها أحاديث كل صحابى — ولو كانت فى مواضيع مختلفة — تحت اسم مسند فلان ، ومسند فلان ، وهكـذا .

وأول من ألف المسانيد أبو داود سليمان بن الجارود الطيالسى (١٣٣ — ٢٠٤ هـ) ، وتابعه بعض من عاصره من أتباع التابعين وأتباعهم ، فصنف أسد بن موسى (— ٢١٢ هـ) ، وعبيد الله بن موسى العبسى (— ٢١٣ هـ) وغيرهم ، واقتفى آثارهم أئمة الحفاظ كأحمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١ هـ) وإسحاق بن راهويه (١٦١ — ٢٣٨ هـ) ، وعثمان بن أبى شيبة (١٥٦ — ٢٣٩ هـ) وغيرهم .

ويعتبر مسند الإمام أحمد — وهو من أتباع أتباع التابعين — أوفى تلك المسانيد وأوسعها . وكان هؤلاء الأئمة والحفاظ قد جمعوا الحديث ودونوه بأسانيده ، واجتنبوا الأحاديث الموضوعة ، وذكروا طرقاً كثيرة لكل حديث ، يتمكن بها رجال هذا العلم وصيارفته من معرفة الصحيح من الضعيف ، والقوى من المعلول ، مما لا يتيسر لكل طالب علم ، فرأى بعض الأئمة الحفاظ أن يصنفوا فى الحديث الصحيح فقط ، فصنفوا كتبهم على الأبواب ، واقتصروا فيها على الحديث الصحيح ، ومن أجل ذلك تكبدوا عناء السفر ، والرحلة فى طلب الحديث والبحث ، ولقاء الشيوخ العدول الثقات الضابطين ، ومن يطلع على سير بعض أئمة الحديث وحفاظه يدرك الجهود العظيمة التى بذلت فى سبيل حفظ السنة . وهكذا ظهرت الكتب الستة فى

ذاك العصر ، عصر أتباع أتباع التابعين : وكان أول من صنف الصحيح الإمام البخارى ثم تبعه بعض أئمة عصره ، ومن تلاهم . وسنذكر لمحة موجزة عن مؤلفى الكتب الستة وكتبهم :

١ — الإمام البخارى (١٩٤ — ٢٥٦هـ)(١) :

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (٢) الجعفى البخارى ، أمير المؤمنين فى الحديث . ولد يوم الجمعة (١٣ شوال سنة ١٩٤ هـ) فى مدينة بخارى ، وأول سماعه الحديث سنة (٢٠٥ هـ) ، وحفظ تصانيف عبد الله بن المبارك وهو صغير ، وسمع مرويات بلده من محمد بن سلام ، والمسندى ، ومحمد بن يوسف البيكندى ، ورحل مع أمه وأخيه حاجاً سنة (٢١٠ هـ) ، فألف بالمدينة كتاب التاريخ الكبير ، وهو مجاور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وزاد على هذا الكتاب مرتين فى آخر حياته ، ورحل البخارى إلى شيوخ الحديث وأئمته ، فذهب إلى بغداد ، والبصرة ، والكوفة ، ومكة ، والشام ، وحمص ، وعسقلان ، ومصر ، وكتب عن أكثر من ألف رجل ، وكان رأساً فى الذكاء ، رأساً فى العلم ، والورع والعبادة .

وكان البخارى يحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتى ألف حديث غير صحيح . وكان واسع المعرفة غزير العلم ، قال لسليم بن مجاهد : (. . ولا

---

(١) أهم مصادر ترجمته ، والتعريف بصحيحه : تاريخ بغداد ، ص ٤ وما بعدها ، جـ ٢ . وتذكرة الحفاظ ، ص ١٢٢ وما بعدها ، جـ ٢ . وسير أعلام النبلاء ، ص ٢٣٤—٢٥٤ ، جـ ٨ . وطبقات الشافعية ، ص ٢ وما بعدها ، جـ ٢ . وتاريخ دمشق لابن عساكر ، مخطوطة دار الكتب المصرية النسخة التيمورية ، ص ١١٠ وما بعدها ، جـ ٣٧ . وتهذيب التهذيب ، ص ٤٧ وما بعدها ، جـ ٩ . وتدريب الراوى ، ص ١٢ وص ٤٩ . وتاريخ الأدب العربى ص ١٦٥ ، جـ ٢ .

وانتدبت وزارة الثقافة والإرشاد أستاذنا الدكتور مصطفى زيد لتأليف كتاب فى الإمام البخارى تنشره فى سلسلة أعلام العرب ، أرجو أن يصدر قريباً لينتفع الناس به ، ويأخذ مكانه فى المكتبة العربية .

(٢) بردزبه : بفتح الباء وسكون الراء ، وكسر الدال ، وبعدها زاى ساكنة ، معناه بالفارسية الفلاح ، أو البستانى .

أجيئك بحديث عن الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ، ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروى حديثاً من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولى فى ذلك أصل أحفظه حفظاً عن كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وأخباره مع شيوخه وأهل العلم ، وأخبار حفظه وإتقانه كثيرة جداً نكتفى منها بما حصل له عندما قدم بغداد .

كان صيت البخارى قد ذاع فى مختلف البلدان ، وعندما قدم بغداد أراد أهل الحديث امتحانه فعمدوا إلى مائة حديث ، فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا الإسناد هذا ، وإسناد هذا لمتن ذاك ، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها عليه فى المجلس ، فاجتمع الناس ، وانتدب أحدهم فقام وسأله عن حديث من تلك العشرة ، فقال : لا أعرفه ، ثم سأله عن آخر فقال : لا أعرفه ، حتى فرغ من العشرة ، والبخارى يقول : لا أعرفه . ثم انتدب آخر من العشرة ، فكان حاله معه كذلك إلى تمام العشرة ، والبخارى لا يزيدهم على قوله : لا أعرفه ، فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ، ويقولون : الرجل فهم ، وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك ، ولما فرغوا من إلقاء الحديث عليه ، التفت إلى الأول فقال : أما حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثانى كذا ، إلى آخر العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده ، وفعل بالثانى مثل ذلك إلى أن فرغ ، فأقر له الناس بالحفظ والضبط والإتقان .

خرج البخارى فى آخر حياته إلى قرية (خرتنك) وهى على فرسخين من سمرقند ، وتوفى بها فى (٣٠ رمضان سنة ٢٥٦ هـ) رحمه الله .

الجامع الصحيح :

صنف الإمام البخارى كتابه فى ستمائة ألف حديث ، فى ست عشرة سنة ، وما وضع فيه حديثاً إلا وصلى ركعتين وقال : (جعلته حجة بينى وبين الله سبحانه) .

وعدة أحاديث صحيح البخارى (٧٢٧٥) حديثاً بالمكررة ، وبحذف

المكرر منها أربعة آلاف حديث : وقد سمع كتاب البخارى تسعون ألف رجل من أهل عصره .

ويعتبر صحيح البخارى أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل . وقد أجمعت الأمة الإسلامية على عظيم منزلته ، فكان منها محل حفظ وعناية ودراسة وتقدير : وكان يقرأ على الناس فى المحافل العامة بالقاهرة فى شهر رمضان زمن المماليك ، وتقام احتفالات كبيرة عند ختام قراءته ، وكان الناس فى الجزائر يحلفون بالبخارى وكتاب الشفاء للقاضى عياض ، وفى الصعيد كان صحيح البخارى شفاء الأسقام ، يحلف الناس به ، ويحترمونه ؛ والحلف به عظيم لا يقل عن الحلف بالقرآن الكريم ، ولا يزال صحيح البخارى فى منزلة عالية جليلة فى الصعيد حتى الآن .

وكانت فرق الجند التى تستحلف على صحيح البخارى عند الخدمة فى الجيش ببلدان المغرب — تسمى البخارية :

وللبخارى مؤلفات حديثية كثيرة أشهرها التاريخ الكبير فى ثمانى مجلدات (١) ، والتاريخ الصغير (٢) ، وكتاب الضعفاء (٣) ، والأدب المفرد (٤) ، وله مصنفات فى علل الحديث ، وأسامى الصحابة ، والكنى تبلغ عشرين مؤلفاً ذكرها الحافظ ابن حجر فى مقدمة فتح البارى .

❋ ❋ ❋

٢ — الإمام مسلم (٢٠٤ — ٢٦١هـ) (٥) :

هو حجة الإسلام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ،

---

(١) فيه ترجمة حوالى (٤٠) ألف رجل وامرأة ، ضعيف وثقة . وطبع فى حيدر آباد اعتباراً من سنة (١٣٦١هـ) .

(٢) طبع بالهند سنة ١٣٢٥هـ .

(٣) طبع بالهند سنة (١٣٢٥هـ) وطبع معه كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى .

(٤) طبع أكثر من مرة أحسنها ما طبع بالقاهرة سنة ١٣٧٩هـ بإشراف الأستاذ محب الدين الخطيب الذى استوفى تخريج أحاديثه وفهارسه .

(٥) أهم مصادر ترجمته والتعريف بكتابه : تاريخ بغداد ، ص ١٠—١٤ ، ج ١٣ . تذكرة الحفاظ ، ص ١٥٠ — ١٥٢ ، ج ٢ . وتهذيب التهذيب ، ص ١٢٦ ج ١٠ . والبداية والنهاية ، ص ٣٣ ، ج ١١ . وتدريب الراوى ، ص ٤٢ وما بعدها . والباعث الحثيث ، ص ٢٢ . وشروط الأئمة الستة للمقدسى . وشروط الأئمة الخمسة للحازمى .

صاحب التصانيف الكثيرة ، ولد سنة (٢٠٤ هـ) وقيل سنة (٢٠٦ هـ) ، كان أول سماعه سنة (٢١٨ هـ) وقدم بغداد مراراً ، وكان آخر قدومه إليها سنة (٢٥٩ هـ) ، ولقي كثيراً من شيوخ الحديث وحفاظه أثناء رحلاته إلى الحجاز ، والعراق ، والشام ، ومصر وغيرها ، وتردد على الإمام البخاري كثيراً عندما قدم البخاري نيسابور ، وعرف فضله وغزير علمه ، وروى عن كثير من أئمة الحفاظ منهم : يحيى بن يحيى ، والقعنبي ، وأحمد بن يونس ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه شيخ البخاري وغيرهم ، وروى عنه كثير من أهل العلم منهم : ابن خزيمة ، ويحيى بن صاعد ، وعبد الرحمن ابن أبي حاتم ، وكان أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما .

وتوفي الإمام مسلم يوم (٢٥ رجب سنة ٢٦١ هـ) في (نصر آباد) من قرى نيسابور . رحمه الله .

وقد صنف الإمام مسلم صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة ، وفيه بإسقاط المكرر نحو أربعة آلاف حديث . وكتابه أصح كتاب بعد صحيح الإمام البخاري ، ولكل من الصحيحين فوائد عظيمة من حيث كثرة الطرق وجمعها ، وترجمة الأبواب وغير ذلك مما بينته كتب الشروح وعلوم الحديث .

وللإمام مسلم مؤلفات كثيرة غير الصحيح منها : كتاب الأسماء والكنى ، وكتاب التمييز ، وكتاب العلل ، وكتاب الوحدان ، وكتاب الأفراد ، وكتاب الأقران ، وكتاب أولاد الصحابة ، وغير ذلك من الكتب المفيدة في الحديث وعلومه (١) .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ ، ص ١٥١ — ١٥٢ .

٣ — أبو داود السجستاني (٢٠٢ — ٢٧٥ هـ)(١) :

هو الإمام الثبت سيد الحفاظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني ، صاحب السنن المشهورة . ولد أبو داود سنة (٢٠٢ هـ) ، وطلب العلم صغيراً ، ثم رحل إلى الحجاز والشام ومصر ، والعراق والجزيرة ، وخراسان ، ولقي كثيراً من أئمة الحفاظ ، فسمع من القعنبي ، وأبي الوليد الطيالسي ، وسليمان بن حرب ، والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم ، وكان أبو داود من العلماء العاملين ، وشبهه بعض الأئمة بالإمام أحمد ، وكان على درجة عظيمة من العبادة والعلم والورع .

وكان قد دخل بغداد مراراً ، وآخر مرة دخلها سنة (٢٧٢ هـ) ، ودعاه أمير البصرة أخو الخليفة الموفق أن يقيم بالبصرة ، بعد فتنة الزنج ، لتعمر من العلم بسببه ، حين يأتيه طلاب الحديث من كل حدب وصوب . فنزل بها ، وتوفي فيها في (١٦ شوال سنة ٢٧٥ هـ) .

وقد صنف أبو داود سننه على أبواب الفقه ، واقتصر فيها على السنن والأحكام ، فلم يذكر الأخبار والقصص والمواعظ ، قال : (كتبت عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث ، انتخبت منها أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث ضمنتها هذا الكتاب) . وقال :(ما ذكرت في كتابي حديثاً أجمع الناس على تركه). وكان قد عرض كتابه على الإمام أحمد فاستحسنه . وقد أثنى عليه كثير من أئمة هذا العلم ، وهو أول كتاب بعد الصحيحين . وله مؤلفات غيره في هذا العلم الجليل .

❋ ❋ ❋

٤ — الإمام الترمذي (٢٠٩ — ٢٧٩هـ)(٢) :

هو الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ،

---

(١) تذكرة الحفاظ ، ص ١٥٢ ، ج ٢ . وتاريخ بغداد ، ص ٥٥ ، ج ٩ . وشروط الأئمة الستة للمقدسي ، وشروط الأئمة الخمسة للحازمي ، ورسالة أبي داود السجستاني إلى أهل مكة ، بتحقيق الشيخ زاهد الكوثري . وتدريب الراوي ، ص ١٢ .

(٢) أهم مصادر ترجمته والتعريف بكتابه : تذكرة الحفاظ ، ص ١٨٧ — ١٨٨ ، ج ٢ . تهذيب التهذيب ، ص ٣٨٧ ، ج ٩ . شروط الأئمة الستة للمقدسي ، طبع القدسي ، وشروط الأئمة الخمسة للحازمي ، طبع القدسي . وتيسير الوصول إلى جامع الأصول ، ص ٩ ، ج ١ . والباعث الحثيث ص ٤٣ . وسنن الترمذي بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ، ص ٧٧ — ٩١ ، ج ١ .

ولد بعد سنة مائتين فى قرية (بوج) من قرى ترمذ على نهر جيحون ، وطلب العلم صغيراً ، ورحل فى سبيل ذلك إلى العراق والحجاز وخراسان وغيرها ، ولقى كبار أئمة الحديث وشيوخه ، منهم الإمام البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، وسمع من بعض شيوخهم مثل قتيبة بن سعيد ، ومحمد بن بشار وغيرهما . وروى عنه خلق كثير .

وقد شهد له معاصروه وأهل العلم بالحفظ والضبط والإتقان ، وكان على جانب عظيم من الزهد والورع ، بكى حتى عمى ، وبقى ضريراً سنين آخر عمره . وقال له البخارى : (ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بى) . وتوفى بترمذ ليلة الإثنين (١٣ رجب سنة ٢٧٩ هـ) وله سبعون سنة رحمه الله .

وقد جمع الترمذى الفقه إلى جانب علمه بالحديث وعلله ورجاله وعلومه ، ويظهر هذا واضحاً فى كتابه (الجامع الصحيح) المعروف بسنن الترمذى ، وكتابه هذا من أحسن الكتب ، وأكثرها فائدة وأقلها تكراراً ، قال الترمذى رحمه الله : عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز والعراق وخراسان ، فرضوا به واستحسنوه ، ومن كان فى بيته فكأنما فى بيته نبى يتكلم .

وللترمذى كتاب : الشمائل ، والعلل ، والتاريخ ، والزهد .

❋ ❋ ❋

٥ — الإمام النسائى (٢١٥ — ٣٠٣هـ)(١) :

هو الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان ابن بحر الخراسانى ، النسائى بفتح النون نسبة إلى بلدة بخراسان . ولد

---

(١) أهم مصادر ترجمته والتعريف بكتابه : تذكرة الحفاظ ، ص ٢٤١ ، ج ٢ . وتهذيب التهذيب ، ص ٣٦ — ٣٩ ، ج ١ . والبداية والنهاية ، ص ١٢٣ ، ج ١١ . وطبقات الشافعية ، ص ٨٣ ، ج ٢ . وشروط الأئمة الخمسة للحازمى . وشروط الأئمة الستة للمقدسى ، وتيسير الوصول ، ص ٩ ، ج ١ . وتدريب الراوى ، ص ٤٩ .

سنة (٢١٥ هـ)، وطلب الحديث صغيراً ، ورحل إلى قتيبة بن سعيد وله خمس عشرة سنة عام (٢٣٠ هـ) وأقام عنده سنة وشهرين ، وسمع إسحاق ابن راهويه ، وهشام بن عمار ، ومحمد بن النصر المروزى ، وأمثالهم ، ورحل إلى الحجاز والعراق ، ومصر والشام والجزيرة ، وبرع فى هذا الشأن ، وتفرد بالمعرفة والإتقان ، وعلو الإسناد ، واستوطن مصر وحدث عنه كثيرون ، وكان كثير العبادة فى الليل والنهار متمسكاً بالسنة ، ورعاً متحرياً . والراجح بالنسبة لوفاته أنه خرج من مصر فى شهر ذى القعدة سنة (٣٠٢ هـ) وتوفى بفلسطين بالرملة يوم الإثنين (١٣ صفر سنة ٣٠٣ هـ) ، ودفن ببيت المقدس ، رحمه الله .

وإلى جانب علمه بالحديث وعلومه ، كان فقيهاً ، شافعى المذهب ، وله مناسك على مذهب الإمام الشافعى . قال على بن عمر الحافظ : أبو عبد الرحمن النسائى مقدم على كل من يذكر فى زمانه فى هذا العلم .

وقد صنف سننه ولم يخرج فيها عن راو أجمع النقاد على تركه ، فكانت (السنن الكبرى) ، التى قدمها إلى أمير الرملة . فقال له : أكل ما فيها صحيح ؟ فقال : فيها الصحيح والحسن وما يقاربهما . فقال له : فاكتب لنا الصحيح منه مجرداً . فاستخلص من السنن الكبرى « السنن الصغرى » وسماها (المجتبى من السنن) ، وقيل المجتنى ، والمعنى واحد . والسنن الصغرى أقل السنن حديثاً ضعيفاً ، ولهذا كانت برتبة سنن أبى داود أو دونها بقليل ، ولم يذكر فى المجتبى من السنن ، كل حديث تكلم فى إسناده بالتعليل . وله عدة مؤلفات سوى السنن منها (الضعفاء والمتروكون) طبع بالهند سنة (١٢٣٥ هـ) .



٦ — الإمام ابن ماجه (٢٠٩ — ٢٧٣هـ) (١) :

هو الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه الربعي ، صاحب السنن والتفسير والتاريخ ومحدث قزوين في عصره . ولد سنة (٢٠٩ هـ) وسمع من أئمة عصره ، ورحل إلى العراق والحجاز ومصر والشام وغيرها من البلاد . وتوفي في (٢٢ رمضان سنة ٢٧٣ هـ) وصلى عليه أخوه أبو بكر ، وتولى دفنه أخواه أبو بكر ، وعبد الله ، وابنه عبد الله .

قال أبو يعلى الخليلي : ابن ماجه ثقة ، كبير ، متفق عليه ، محتج به ، له معرفة وحفظ .

صنف ابن ماجه سننه فجمع فيها الصحيح والحسن والضعيف والواهي ، لهذا لم يدخلها بعضهم في الكتب الستة ، وأول من اعتبرها سادس الكتب الصحيحة الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدسي (— ٥٠٧ هـ) في كتابه (أطراف الكتب الستة) ومن العلماء من جعل الموطأ أحد الكتب الستة . ومع هذا فلسنن ابن ماجه فوائد كثيرة كما قال الذهبي : (سنن أبي عبد الله كتاب حسن ، لولا ما كدره أحاديث واهية ، ليست بالكثيرة) .

وقد خدم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي هذه السنن وأحصى أحاديثها فكان جملة أحاديث سنن ابن ماجه (٤٣٤١) حديثاً . من هذه الأحاديث (٣٠٠٢) حديثاً أخرجها أصحاب الكتب الخمسة كلهم أو بعضهم . وباقي الأحاديث وعددها (١٣٣٩) حديثاً هي الزوائد على ما جاء في الكتب الخمسة . وبيان الزوائد : .

أولا — ٤٢٨ حديث رجالها ثقات ، صحيحة الإسناد .

ثانياً — ١٩٩ حديث حسنة الإسناد .

ثالثاً — ٦١٣ حديث ضعيفة الإسناد .

---

(١) أهم مراجع ترجمته والقول في كتابه : تذكرة الحفاظ ، ص ١٨٩ ، جـ ٢ ، وتهذيب التهذيب ، ص ٥٣٠ ، جـ ٩ . وشروط الأئمة الستة للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي ، طبع القدسي سنة (١٣٥٧هـ) . وسنن ابن ماجه ، ص ١٥١٩ و ١٥٢٠ ، جـ ٢ ، وتدريب الراوي ، ص ٤٩ .

رابعاً — ٩٩ حديثاً واهية الإسناد أو منكرة ، أو مكذوبة .

ولهذا كان على الباحث ألا يأخذ بحديث من سنن ابن ماجة إلا بعد معرفة درجته ، وقد سهل الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي على الباحث التحرى والبحث بخدمته هذا الكتاب ، فجزاه الله عن المسلمين وأهل العلم كل خير .

كانت تلك لمحة سريعة موجزة حول الكتب الستة ومؤلفيها ، وهى لا تعدو قصد التعريف بتلك المصنفات الجليلة وبأصحابها ، وأما القول فى منهج مصنفيها وترتيب كتبهم وشروطهم فإنه يحتاج إلى كتاب خاص بذلك .

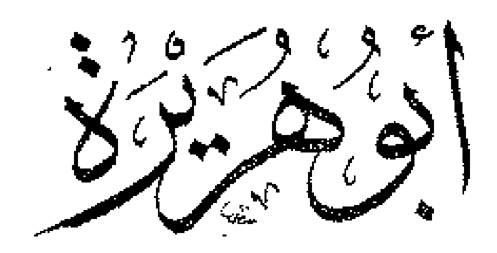
وقد لقيت هذه الكتب عناية كبيرة من أهل العلم بالشرح والاختصار والاستخراج عليها ، وما إلى ذلك . .

وهناك كتب جليلة فى الحديث سوى ما أسلفنا ذكره من الموطآت والمسانيد والصحاح ، ككتب الإمام ابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم ، والدارقطنى ، والبيهقى ، والبغوى ، وغيرهم من أئمة الحديث فى العصور المختلفة .

وقد طال بنا المطاف إلى راوية الإسلام ، فنكتفى بذلك ، لننتقل إلى موضوعنا المقصود أولا ، والله ولى التوفيق .



الباب الأول



الفصل الأول : حياته العامة

الفصل الثاني : حياته العلمية

الفصل الأول

حياته العامة

- نسبه والتعريف به
- أسرته
- نشأته قبل الإسلام
- هيئته وأوصافه الجسمية
- إسلام أمه
- إسلامه وهجرته
- التزام أبي هريرة السنة
- ملازمته رسول الله صلى الله عليه وسلم
- كرم أبي هريرة
- فقره وعفافه
- أبو هريرة وفتنة عثمان
- ولايته في عهد عمر رضي الله عنه
- أبو هريرة أمير المدينة
- أبو هريرة في عهد علي رضي الله عنه
- مزح أبي هريرة ومزاحه
- أبو هريرة والجهاد في سبيل الله
- مرض أبي هريرة
- قبس من أخلاقه
- وفاته

نسبه والتعريف به

أبو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر من ولد ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم ابن دوس اليمانى ، فهو دوسى نسبة إلى دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر وهو شنوءة ابن الأزد ، والأزد من أعظم قبائل العرب وأشهرها ، تنتسب إلى الأزد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من العرب القحطانية (١) .

ولأبى هريرة أخ يقال له « كريم » ، وابن عمه أبو عبد الله الأغر ، وخال أبى هريرة سعد بن صبيح بن الحارث بن سابق بن أبى صعب ابن هنية ، كان فى الجاهلية لا يأخذ أحداً من قريش إلا قتله بأبى أزيهر الدوسى ، وكان أبو أزيهر قد قتله هشام بن المغيرة المخزومى لمطله إياه بمهر أخته (٢) .

كان اسم أبى هريرة فى الجاهلية عبد شمس — وقيل غير ذلك — فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (عبد الرحمن) . .

وأمه ميمونة بنت صخر ، وقيل أميمة (٣) .

اشتهر أبو هريرة بكنيته ، حتى غلبت على اسمه فكاد ينسى ، وأظن هذا كان سبب الاختلاف فى اسمه .

وسئل أبو هريرة : لم كنيت بذلك ؟ قال : كنيت أبا هريرة لأنى وجدت هرة فحملتها فى كمى ، فقيل لى : أبو هريرة . وروى عنه أنه قال : وجدت هرة وحشية ، فأخذت أولادها فقال لى أبى : ما هذه فى حجرك ؟ فأخبرته ، فقال : أنت أبو هريرة .

---

(١) انظر جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٥٨ و ٣٦٠ و ٣٦١ . والاستيعاب ، ص١٧٦٨ ، ج٤ . وتاريخ ابن خلدون ، ص ٢٥٣ ، ج ٢ . ونهاية الأرب ، ص ٩١ و ٢٥٣ . ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ص ٣٩٤ ، ج ١ ، وص ١٥ — ١٦ ، ج ١ .

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٠ . وتاريخ دمشق لابن عساكر ، ص ٤٤٤ ، ج ٤٧ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ، ص ٥٢ ، قسم ٢ ، ج ٤ . وتذكرة الحفاظ ، ص ٣١ ، ج ١ . وسير أعلام النبلاء ، ص ٤١٨ ، ج ٢ . وتهذيب التهذيب ، ص ٢٦٢ ، ج ١٢ . والبداية والنهاية ، ص ١٠٣ ، ج ٨ .

وقد كان يرعى غنم أهله وهو صغير ، ويلاعب هرته فى النهار ، فإذا جن الليل وضعها فى شجرة ، حتى إذا كان النهار أخذها ولعب بها ، وفى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « يا أبا هر » كما ثبت أنه قال له : « يا أبا هريرة » . وكان يقول : لا تكنونى أبا هريرة ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم كنانى أبا هر . والذكر خير من الأنثى .

* * *

هيئته وأوصافه الجسمية (١) :

كان أبو هريرة رجلا آدم بعيد ما بين المنكبين ، ذا ضفيرتين ، أفرق الثنيتين ، يخضب شيبه بالحمرة ، وكان أبيض لينا لحيته حمراء ، ورآه خباب بن عروة وعليه عمامة سوداء .

* * *

نشأته قبل الإسلام :

لا نعرف شيئاً كثيراً عن أبى هريرة قبل إسلامه ، إلا ما كان يرويه عن نفسه ، فقد ولد فى اليمن ، ونشأ فيها ، يرعى غنم أهله ، ويخدمهم ، كما نشأ أترابه ، نشأة القبيلة والبادية ، تلك النشأة العربية الخالصة .

وقد توفى والده وهو صغير ، فنشأ يتيما ، وقاسى شظف العيش ، حتى من الله عليه بالإسلام فكان له فيه الخير كله . وأخبار أبى هريرة فى تلك الفترة قليلة ، لا نفيد من تتبعها شيئاً بقدر ما نفيد من معرفة أخباره فى الإسلام .

* * *

إسلامه وهجرته :

كان الطفيل بن عمرو الدوسى رجلا شريفاً شاعراً مليئاً كثير الضيافة ، وكانت قريش تعرف منزلته فى قومه ، وما أن عرفت قدومه إلى مكة بعد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم — حتى انطلق إليه رجال منها يقولون له :

---

(١) انظر المراجع السالف ذكرها .

« إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وفرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه . . » أرادوا بهذا أن يصدوه عن الإسلام ، واقتنع الطفيل بقولهم ونوى ألا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤخذ بسحره كما ادعوا . .

وذهب الطفيل إلى الكعبة ، وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، فسمع كلامه فأعجب به ، وأبى الله إلا أن يفتح قلبه للإيمان ، وذهب مع الرسول الكريم إلى داره فعرض عليه الإسلام ، وتلا عليه القرآن ، فشعر بحلاوة الإيمان ، وطلب من الرسول أن يدعو له ، وأن يجعل الله له عوناً فى حمل الإسلام إلى قومه ودعوتهم إليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعل له آية » ، فوقع له نور بين عينيه ، فقال : يا رسول الله .. أخشى أن يقول قومى هى مثلة ، فرجع النور إلى طرف سوطه ، فكان يضىء فى الليل ، ولهذا لقب بذى النور (١) .

وعاد الطفيل إلى قومه فدعا أبويه إلى الإسلام ، فأسلم أبوه ، ولم تسلم أمه ، ودعا قومه فأجابه أبو هريرة وحده ، وأبطأ عليه قومه ، فعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بإبطاء قومه ، وقال له : ادع عليهم . فقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم اهد دوساً » وفى رواية : « اللهم اهد دوساً وائت بها » ، وقال له : « اخرج إلى قومك فادعهم وارفق بهم » ، فخرج إلى قومه فلم يزل بأرض دوس يدعوها حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضت غزوة بدر وأحد والخندق ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم من قومه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزل المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ، ثم لحقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فأسهم لهم مع المسلمين ، وقال الطفيل : « قلنا يا رسول الله .. اجعلنا ميمنتك ، واجعل

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ، ص ١٧٥ و ١٧٦ ، قسم ١ ، ج ٤ . وانظر الإصابة ، ص ٢٨٧ ، ج ٢ . وجمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٠ — ٣٦١ .

شعارنا مبرور ، ففعل ، فشعار الأزد كلها إلى اليوم مبرور) (١) .

هكذا أسلم أبو هريرة قديماً وهو بأرض قومه ، على يد الطفيل بن عمرو ، وكان ذلك قبل الهجرة النبوية ، وأما هجرته من اليمن إلى المدينة فقد كانت فى ليالى فتح خيبر ، ورواية أبى هريرة لهجرته تؤكد لنا قدم إسلامه .

قال أبو هريرة : (خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، وقدمت المدينة مهاجراً ، فصليت الصبح خلف سباع بن عرفطة — كان استخلفه — فقرأ فى السجدة الأولى بسورة مريم ، وفى الآخرة «ويل للمطففين»(٢). فقلت فى نفسى : ويل لأبى فلان — لرجل كان بأرض الأزد — وكان له مكيالان ، مكيال يكيل به لنفسه ومكيال يبخس به الناس) (٣) وفى رواية : (ويل لأبى ! قل رجل كان بأرض الأزد ، إلا وكان له مكيالان . مكيال لنفسه ، وآخر يبخس به الناس) (٤) .

وقد ثبت فى صحيح البخارى أنه ضل غلام له فى الليلة التى اجتمع فى صبيحتها برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه جعل ينشد :

يا ليلة من طولها وعنائها ... على أنها من دارة الكفر نجت

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع غلامه ، فقال له عليه الصلاة والسلام : « هذا غلامك يا أبا هريرة » ! ! فقال : هو حر لوجه الله (٥) .

وقد لازم النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر حياته ، وقصر نفسه على خدمته ، وتلقى العلم الشريف منه صلى الله عليه وسلم ، فكان يدور

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ، ص ١٧٦ ، قسم ١ ، ج ٤ . والإصابة ، ص ٢٨٧ ، ج ٣ . ترجمة « الطفيل بن عمرو الدوسي » . وجمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦١ . وانظر السيرة لابن كثير ، ص ٧٢ ، ج ٢ وما بعدها . والسيرة لابن هشام ، ص ٤٠٩—٤١٠ ، ج ١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، ص ٤٢٥ — ٤٢٦ ، ج ٢ .

(٣) البداية والنهاية ، ص ١٠٤ ، ج ٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء ، ص ٤٢٦ ، ج ٢ .

(٥) انظر صحيح البخارى بحاشية السندى ، ص ٨١ ، ج ٢ ، كتاب العتق ، باب : (إذا قال رجل لعبده هو لله ونوى العتق ، والإشهاد فى العتق) . وانظر سير أعلام النبلاء ، ص ٤٤٦ ، ج ٢ . والبداية والنهاية ، ص ١٠٤ ، ج ٨ .

معه ويدخل بيته ، ويحج ويغزو معه ، يده فى يده ، يرافقه فى حله وترحاله ، فى ليله ونهاره ، حتى حمل عنه العلم الغزير الطيب .

❋ ❋ ❋

إســـلام أمـــه :

أسلم أبو هريرة وهاجر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا أن أمه بقيت على الشرك ، وكان يدعوها إلى الإسلام فلا تستجيب ، وأصابه من الهم والحزن ما أصابه ، كلما دعاها إلى الإسلام ، تأبى عليه ، فيزداد همه وحزنه .

وفى يوم دعاها إلى الإسلام فأسمعته فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكره ، وهنا نفسح لأبى هريرة المجال ليحدثنا عما فى نفسه ، فيقول : جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى ، فقلت : يا رسول الله ، إنى كنت أدعو أم أبى هريرة إلى الإسلام فتأبى على ، وإنى دعوتها اليوم ، فأسمعتنى فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدى (١) أم أبى هريرة إلى الإسلام ، ففعل . فجئت البيت ، فإذا الباب مجاف ، وسمعت خضخضة الماء (٢) ، وسمعت حسى ، فقالت : كما أنت (٣) ، فلبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، ثم قالت : ادخل يا أبا هريرة ، فدخلت ، فقالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فجئت أسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى من الفرح ، كما بكيت من الحزن ، فقلت : أبشر يا رسول الله .. فقد أجاب الله دعوتك ، قد هدى الله أم أبى هريرة إلى الإسلام ، ثم قلت : يا رسول الله .. ادع الله أن يحببنى وأمى إلى المؤمنين والمؤمنات ، وإلى كل مؤمن ومؤمنة ، فقال : اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة ، فليس يسمع بى مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبنى (٤) .

---

(١) يريد بها أن يميل قلب أم أبى هريرة إلى الإسلام .

(٢) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢/٥٥ . والبداية والنهاية ٨/١٠٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٢/٤٢٨ .

(٤) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢/٥٥ . والبداية والنهاية : ٨/١٠٤ . وسير أعلام النبلاء : ٢/٤٢٨ .

لقد فرح أبو هريرة بإسلام أمه فرحاً شديداً ، وبقي وفياً لها باراً بها يخدمها كل حياتها ، ولم يفارقها أبداً ، حتى أنه لم يحج حتى ماتت لصحبتها (١)

* * *

ملازمته رسول الله صلى الله عليه وسلم :

صحب أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنوات ، في حله وترحاله ، كان يدخل بيته ، ويحضر مجالسه ، وقد اتخذ الصفة مقاماً له (٢) .

كان رجلا مسكيناً يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنه ، يتنقل بين الصحابة يقرئونه القرآن ، وجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عريف أهل الصفة ، فإذا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمعهم لطعام حضر ، تقدم إلى أبي هريرة ليدعوهم ويجمعهم لمعرفته بهم وبمنازلهم ومراتبهم (٣) .

وكان أبو هريرة يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً شديداً ، ففي يوم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدرة ليضربه بها ، فقال أبو هريرة : (لأن يكون ضربني بها أحب إلى من حمر النعم ، ذلك بأني أرجو أن أكون مؤمناً ، وأن يستجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته) (٤) .

وبينما كان المسلمون يحملون اللبن إلى بناء المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، رآه أبو هريرة وهو عارض لبنة على بطنه ، فظن أنها شقت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبله قائلا :

---

(١) طبقات ابن سعد : ٤ ، ٢/٥٥ سيظهر حبه لأمه في الفقرة (فقره وعفافه) ، وفي (قبس من أدبه وأخلاقه) .

(٢) حلية الأولياء ، ص ٣٧٩ ، جـ ١ . وتاريخ الإسلام ، ص ٣٣٤ ، جـ ٢ .

(٣) حلية الأولياء ، ص ٣٧٦ ، جـ ١ .

(٤) البداية والنهاية ، ص ١٠٥ ، جـ ٨ .

ناولنيها يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « خذ غيرها يا أبا هريرة ، فإنه لا عيش إلا عيش الآخرة » (١) .

وكان يحب من أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد لقي أبو هريرة الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فقال له : أرني أقبل منك حيث رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ، فرفع القميص ، وقبل سرته (٢) .

لم يفارق أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا حين بعثه مع العلاء الحضرمي إلى البحرين ، ووصاه به ، فجعله العلاء مؤذناً بين يديه ، وقال له أبو هريرة : (لا تسبقني بـ (آمين) أيا الأمير) (٣) ، وستبدو لنا ملازمة أبي هريرة للرسول صلى الله عليه وسلم من خلال دراستنا ، لذلك نكتفي بهذا القدر هنـا .

كما أرسله صلى الله عليه وسلم مع قدامة لأخذ جزية البحرين ، فقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى المنذر بن ساوى أمير البحرين فقال : «أما بعد.. فإني بعثت إليك قدامة وأبا هريرة ، فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك والسلام » . وكتب أبي (٤) .

*   *   *

التزام أبي هريرة السنة :

كان أبو هريرة يسير على هدى الرسول الأمين ، ويقتدي به ، ويحذر

---

(١) مجمع الزوائد ، ص ٩ ، جـ ٢ . رواه الإمام أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٩٥/١٣ ، رقم ٧٤٥٥ وفيه (فقال بالقميصة : يعني رفع القميص) .

(٣) البداية والنهاية : ١١٣/٨ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى العلاء الحضرمي البحرين سنة ٨ هـ حين انصرف من (الجعرانة) ، وكانت عمرة الجعرانة في ذي القعدة من سنة ٨ للهجرة . انظر طبقات ابن سعد ، ص ٧٦ — ٧٧ ، جـ ٤ ، قسم ٢ . ونور اليقين ص ٢٣٩ .

(٤) الوثائق السياسية ، ص ٨٧ .

الناس من الانغماس فى ملاذ الدنيا وشهواتها(١) ، لا يفرق فى ذلك بين غنى وفقير ، أو بين حاكم ومحكوم ، يرشد الأمة إلى الحق والصواب .
ها هو ذا يمر بقوم يتوضأون فيقول لهم : أسبغوا الوضوء ، فإنى سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « ويل للأعقاب من النار »(٢) ؛ ويسألونه عن القراءة فى الصلاة ، فيقول : كل صلاة يقرأ فيها ، فما أسمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعناكم ، وما أخفى علينا أخفينا عليكم(٣) ..

ودخل أبوهريرة دار مروان بن الحكم وهى تبنى ، فرأى فيها تصاوير ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يقول الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقى ! فليخلقوا ذرة »(٤) .

وكان لا يقبل مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مع سنته شيئاً ، ولا يرضى أن يضرب لها الأمثال ، ومن ذلك ما قاله لرجل : (يا ابن أخى إذا حدثتك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فلا تضرب له الأمثال)(٥) .

وكان يقول : ثلاث أوصانى بهن خليلى صلى الله عليه وسلم ، لا أدعهن أبداً : الوتر قبل أن أنام ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، والغسل يوم الجمعة(٦) .

حقاً إن أبا هريرة لم يدع ذلك(٧) ، فقد سأله عثمان النهدى : كيف

---

(١) حلية الأولياء ، ص ٣٨٠ ، جـ ١ . والبداية والنهاية ، ص ١١١ ، جـ ٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد ، ص ٨٩ ، جـ ١٢ ، رقم ٧١٢٢ إسناده صحيح .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ، جـ ١٣ ، رقم ٧٤٩٤ ، إسناده صحيح . يريد ما جهر به الرسول من القراءة جهر به وما أسر أسر به .

(٤) مسند الإمام أحمد ، ص ١٤٨ ، حديث ٧١٦٦ ، جـ ١٢ . وإسناده صحيح . وأخرجه البخارى .

(٥) سنن ابن ماجه ، ص ١٠ ، حديث ٢٢ ، جـ ١ . وسنن البيهقى ، ص ١٠ ، جـ ١ . وانظر نحو هذا من قول أبى هريرة لابن العباس رضى الله عنهما فى سنن الترمذى ، ص ١١٥ ، جـ ١ .

(٦) مسند الإمام أحمد ، ص ١٩٤ ، رقم ٧٤٥٢ ، جـ ١٣ . وانظر الأحاديث : ٧١٣٨ و ٧١٨٠ ، بإسناد صحيح . وانظر مسند ابن راهويه ، ص ١٥ ، جـ ٤ .

(٧) راجع مسند الإمام أحمد أنه يروى كثيراً عنه ما يدل على ما ذكره أعلاه ، مثاله ص ١٠٨ ، جـ ١٢ .

تصوم ؟ قال : أصوم من أول الشهر ثلاثاً(١) ، كما كان يصوم الاثنين والخميس(٢) .

وكان أحياناً يصوم مع بعض أصحابه ، ويجلسون فى المسجد ، يقولون نطهر صيامنا(٣) .

قال أبو رافع : صليت مع أبى هريرة صلاة العتمة ، أو قال: صلاة العشاء، فقرأ « إذا السماء انشقت »(٤) فسجد فيها ، فقلت : يا أبا هريرة !؟ فقال : سجدت فيها خلف أبى القاسم صلى الله عليه وسلم ، فلا أزال أسجدها حتى ألقاه(٥) . وواضح أن السجود المقصود هو سجود التلاوة فى الآية الكريمة « وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون »(٦) .

وكان يحب التطهر ويخشى الوقوع فى المعصية ، حتى أنه خشى على نفسه — وهو شاب فى أول عهده بالرسول صلى الله عليه وسلم — أن يقع بالزنا ، فقال : يا رسول الله .. إنى رجل شاب قد خشيت على نفسى العنت — أى الوقوع فى الهلاك بالزنا — ولا أجد طولا أتزوج النساء أفأختصى ؟ فأعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، قال ثلاثاً ، فقال النبى : « يا أبا هريرة .. جف القلم بما أنت لاق ، فاختص على ذلك أو دع »(٧). أى كتب عليك ما أنت عليه ، فاستسلم لذلك ، أو لا تستسلم له ، وليس هذا من باب التخيير بل من باب الردع ، ليحمل أبا هريرة على الصبر ، وعلى حفظ نفسه . ومهما يكن هذا الخبر ، فإنه يدل على ورع أبى هريرة وتقواه ، وحرصه على التزام طاعة الله ورسوله ، وخشيته من الزلل فى المعاصى ، فتقدم مضحياً بشهوته وبنفسه ليرضى عنه الله ورسوله ، ولما عرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم ما سأله ، امتثل لأمره ، والتزم الصبر والعبادة .

(١ و ٢) سير أعلام النبلاء ، ص ٤٣٨ ، ج ٢ .

(٣) البداية والنهاية ، ص ١١٢ ، ج ٨ . (٤) الانشقاق : ١ .

(٥) مسند الإمام أحمد ، ص ١٢٢ . حديث ٧١٤٠ ، ج ١٢ بإسناد صحيح .

(٦) الانشقاق : ٢١ .

(٧) سنن النسائى ، ص ٦٩ — ٧٠ ، ج ٢ . طبع مصر المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٦هـ .

كان يخشى الله كثيراً سراً وعلانية ، فإذا مرت به جنازة ، يقول : روحي فإنا غادون ، أو اغدى فإنا رائحون ، موعظة بليغة ، وغفلة سريعة ، يذهب ويبقى الآخر ، لا عقل !!؟(١) .

وكان حريصاً على الاقتداء برسول الله في جل أعماله وتصرفاته وذكره وعبادته ، من ذلك ما رواه الإمام أحمد عن الزهري عن أبي سلمة : أن أبا هريرة كان يكبر كلما خفض ورفع ، ويقول : إني أشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

ومن هذا أيضاً ما رواه الترمذي بسنده عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : استخلف مروان أبا هريرة على المدينة ، وخرج إلى مكة ، فصلى بنا أبو هريرة يوم الجمعة ، فقرأ سورة الجمعة ، وفي السجدة الثانية « **إذا جاءك المنافقون** »(٣) ، قال عبيد الله : فأدركت أبا هريرة ، فقلت له : تقرأ بسورتين ، كان علي يقرأ بهما بالكوفة !؟ قال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــرأ بهما(٤) .

ومن ذلك ما رواه سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله ، أيصلي أحدنا في ثوب ؟ قال : أولكلكم ثوبان !؟ قال أبو هريرة : أتعرف أبا هريرة ! يصلي في ثوب واحد ، وثيابه على المشجب(٥) .

ونرى أبا هريرة يحدث من حوله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا استأذن أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره ، فلا يمنعه ، فلما

---

(١) حلية الأولياء ، ص ٣٨٣ ، جـ ١ . والبداية والنهاية ، ص ١١٢ و ١١٤ ، جـ ٨ .
(٢) مسند الإمام أحمد ، ص ٢٠٨ ، حديث ٧٢١٩ ، جـ ١٢ .
(٣) المنافقـــون : ١ .
(٤) سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ص ٣٩٦ — ٣٩٧ ، جـ ٢ . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .
(٥) مسند الإمام أحمد ، ص ٢٤٢ ، حديث ٧٢٥٠ ، جـ ١٢ . وإسناده صحيح .

حدثهم أبو هريرة طأطأوا رؤوسهم !! فقال : مالى أراكم معرضين !؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم »(١) . لقد حدثهم فى حسن الجوار ومعاملة الجار جاره ، وحين رآهم معرضين اشتد عليهم وأبى ألا يعملوا طبقاً للسنة وأحكامها وإن قوله هذا وشدته ، لا تقل عن شدة الفاروق عمر رضى الله عنه ، وما أجمل غضبه لله ورسوله ، الذى ظهر فى عبارته « والله لأرمين بها بين أكتافكم » . ومعنى قوله هذا : أنها كانت على ظهورهم وبين أكتافهم لا يقدرون أن يعرضوا عنها ، لأنهم حاملوها (٢) .

واختلف الفقهاء : أهذا حق على الجار لجاره واجب ؟ أم هو أدب؟ . قال الخطابى فى المعالم (٣٤٨٧) من تهذيب السنن : (عامة العلماء يذهبون فى تأويله إلى أنه ليس بإيجاب يحمل الناس عليه من جهة الحكم ، وإنما هو من باب المعروف وحسن الجوار . إلا أحمد بن حنبل فإنه رآه على الوجوب ، وقال : على الحكام أن يقضوا به على الجار ، ويمضوه عليه إن امتنع منه) (٣) . وقد أوصى الله ورسوله بالجار خيراً ، لهذا كان على الجار أن يحسن جوار جاره ، وأرى فى مذهب الفقهاء ومذهب الإمام أحمد ما فيه مصلحة المسلمين جميعاً ، وإن حمل الأمر فيه على الندب والأدب لا يمنع القاضى من أن يحكم بوجوب غرز الخشبة إذا وجد فى ذلك مصلحة لأحدهما لا تضر بمصلحة الآخر .

وعن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ، قال رجل : كم يكفى رأسى فى الغسل من الجنابة ؟ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب بيده على رأسه ثلاثاً ، قال : ان شعرى كثير ؟ قال : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر وأطيب(٤) .

وكان يسيئه أن يرى بعض المصلين يتأخرون يوم الجمعة فى حضورهم إلى الجامع حتى يخطب الإمام ، فيقول : (لأن يصلى أحدكم بظهر الحرة ،

---

(١) مسند الإمام أحمد ، ص ٢٧٣ ، حديث ٧٢٧٦ ، جـ ١٢ . وإسناده صحيح .

(٢و٣) انظر هامش ص ٢٧٤ ، جـ ١٢ من مسند الإمام أحمد .

(٤) مسند الإمام أحمد ، ص ١٥١ ، حديث ٧٤١٢ ، جـ ١٣ . وإسناده صحيح . ورواه ابن ماجه ، كما ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ، ص ٢٧١ ، جـ ١ .

خير له من أن يقعد ، حتى إذا قام الإمام يخطب ، جاء يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة)(١) ، وفى قوله هذا دعوة المصلين إلى الحضور فى أول الوقت ، عملا بالسنة الشريفة ، فقد روى الإمام أحمد عن أبى هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يوم الجمعة ، كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة ، يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصحف ، وجاءوا فاستمعوا الذكر»(٢)، وإلى جانب العمل بهذا الحديث ، فإن قول أبى هريرة صادر عن نفس طيبة ، مرهفة الحس ، تشعر بشعور الآخرين ، وتراعى إحساسهم ، فقد أدرك ما فى تخطى رقاب الناس من إزعاج للمصلين ، وإضاعة بعض الفائدة عليهم ، فقال مقالته تلك .

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد أن أبا السائب مولى هشام بن زهرة سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ، فهى خداج ، هى خداج غير تمام ، قال قال أبو السائب لأبى هريرة : إنى أكون أحياناً وراء الإمام ؟ قال أبوالسائب : فغمز أبو هريرة ذراعى ، فقال : يا فارسى ، اقرأها فى نفسك ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى .. »(٣) . لقد أبى أبو هريرة إلا أن يقف عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤمره فى جميع أحواله ،

---

(١) موطأ الإمام مالك ، ص ١١٠ ، جـ ١ .

(٢) مسند الإمام أحمد ، ص ١٨ ، حديث ٧٥٧٢ ، جـ ١٤ .

(٣) وتتمة الحديث « نصفين ، نصفها لى ، ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل . قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأوا ، يقول : فيقول العبد « الحمد لله رب العالمين » ، فيقول الله : حمدنى عبدى ، ويقول العبد : « الرحمن الرحيم » فيقول الله : أثنى على عبدى ، فيقول العبد : « مالك يوم الدين » ، فيقول الله : مجدنى عبدى . وقال : هذه بينى وبين عبدى ، يقول العبد : « إياك نعبد وإياك نستعين » . قال : أجدها لعبدى ، ولعبدى ما سأل . قال : يقول العبد : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين » . يقول الله عز وجل : هذا لعبدى ، ولعبدى ما سأل » . مسند الإمام أحمد ، ص ٢٣١ ، حديث ٧٨٢٣ ، جـ ١٤ .

وحض الناس على الاقتداء بالرسول الكريم ، وعلى العمل بسنته الطاهرة . وكان يطبق ذلك على نفسه وأهله ، فقد سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته »(١) ، فكان هذا ديدنه ، يصوم النهار ، ويقوم الليل ، يقوم ثلث الليل ، ثم يوقظ امرأته فتقوم ثلثه ، ثم توقظ هذه ابنته لتقوم ثلثه(٢) ، هكذا كانوا يتناوبون العبادة فى الليل . وقد شهد بذلك ضيوفه وإخوانه ، الذين خالطوه وعرفوه ، وعاشوا معه .

وكان ورعاً تقياً يحب التقرب إلى الله ، وكثيراً ما كان يقابل المسىء بالحسنى ، من هذا أن زنجية كانت له ، قد غمتهم بعملها ، فرفع عليها يوماً السوط ثم قال : لولا القصاص يوم القيامة لأغشينك به ، ولكن سأبيعك ممن يوفينى ثمنك ، أحوج ما أكون إليه ، اذهبى فأنت حرة لله عز وجل(٣) .

وكان لأبى هريرة مسجد فى مخدعه ، ومسجد فى بيته ، ومسجد فى حجرته ، ومسجد على باب داره ، إذا خرج صلى فيها جميعاً ، وإذا دخل صلى فيها جميعاً(٤) .

وكان يكثر من التسبيح والتكبير فى أطراف النهار والليل ، وكان يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة ، ويقول : (أسبح بقدر ذنبى)(٥) ، وكان يكثر الاستعاذة بالله من النار ، ويذكر الناس بالله عز وجل ، ويحثهم على طاعته(٦) .

وكثيراً ما كان يحذر الناس من فساد الزمان ، فيقول : إذا رأيتم

---

(١) أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه .

(٢) البداية والنهاية ، ص ١١٠ ، جـ ٨ . وفى مسند ابن راهويه ص ١٦ ، جـ ٤ . وسير أعلام النبلاء ، ص ٤٣٨ ، جـ ٢ (كان هو وامرأته وخادمه) .

(٣) حلية الأولياء ، ص ٣٨٤ ، جـ ١ . والبداية والنهاية ، ص ١١٢ جـ ٨ .

(٤) البداية والنهاية ، ص ١١٠ ، جـ ٨ . وابن عساكر ، ص ٥٠٩ ، جـ ٤٧ .

(٥و٦) سير أعلام النبلاء ، ص ٤٣٩ ، جـ ٢ . وص ٤٢٨ ، ص ٢ . والبداية والنهاية ، ص ١١٠ و ١١٢ ، جـ ٨ . وتاريخ الإسلام ، ص ٣٣٦ ، جـ ٢ .

ستاً فإن كانت نفس أحدكم فى يده فليرسلها ، فلذلك أتمنى الموت ، أخاف أن تدركنى : إذا أمرت السفهاء ، وبيع الحكم ، وتهون بالدم ، وقطعت الأرحام ، وكثرت الجلاوزة ، ونشأ نشء يتخذون القرآن مزامير(١) .

ولم يكن نصحه للناس فقط ، بل كان يطبق هذا على نفسه وأهله ، من ذلك أن ابنته كانت تقول له : يا أبت .. إن البنات يعيرننى ، يقلن : لم لا يحليك أبوك بالذهب ؟ فيقول : يا بنية ..قولى لهن إن أبى يخشى على حر اللهب(٢) . وأخباره فى هذا الباب كثيرة ، وأختم تمسكه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما رواه سعيد بن المسيب عنه ، قال : لو رأيت الظباء بالمدينة ما ذعرتها ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما بين لابتيها حـــــرام)(٣) .

❋ ❋ ❋

فقــــره وعفـــافه :

كان أبو هريرة أحد أعلام الفقراء والمساكين ، صبر على الفقر الشديد ، حتى أنه كان يلصق بطنه بالحصى من الجوع ، يطوى نهاره وليله من غير أن يجد ما يقيم صلبه ، يروى أبو هريرة عن نفسه فيقول : (إنى كنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشبع بطنى ، حتى لا آكل الخمير ، ولا ألبس الحبير ، ولا يخدمنى فلان وفلانة . وإن كنت لأستقرىء الرجل الآية من كتاب الله هى معى ، كى ينقلب بى فيطعمنى)(٤) ، ويقول : (وكنت فى سبعين رجلا من أهل الصفة

---

(١) حلية الأولياء ، ص ٣٨٤ ، جـ ١ . والبداية والنهاية ، ص ١١٣ ، جـ ٨ . الجلاوزة ، بكسر الجيم : الشرطة . مفردها الجلواز : الشرطى . القاموس المحيط مادة(جلز).

(٢) حلية الأولياء ، ص ٣٨٠ ، جـ ١ . والبداية والنهاية ، ص ١١٦ ، جـ ٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ص ٢٠٧ ، جـ ١٢ ، رقم ٧٢١٧ بإسناد صحيح . واللابة : الحرة ، وهى الأرض ذات الحجارة السود الكثيرة . ما ذعرتها : ما أفزعتها .

(٤) فتح البارى ، ص ٧٧ ، جـ ٨ . وانظر حلية الأولياء ، ص ٣٧٩ و ٣٧٦ ، جـ ١ . وفى البخارى فى الاستئذان (إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع) . والحبير — بفتح الحاء — من البرد ما كان موشى مخططاً ، يقال برد حبير ، وبرد حبرة بوزن عنبة .

ما منهم رجل عليه رداء ، إما بردة . أو كساء قد ربطوها فى أعناقهم(١) .
ويشتد بهم الألم من الجوع ، فيخرج من بيته إلى المسجد ، لا يخرجه إلا الجوع ؛ فيجد نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : يا أبا هريرة ..ما أخرجك هذه الساعة ؟ فيقول : ما أخرجنى إلا الجوع . فقالوا : نحن والله ما أخرجنا إلا الجوع — يقول أبو هريرة — : (فقمنا فدخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ما جاء بكم هذه الساعة ؟ فقلنا: يا رسول الله جاء بنا الجوع . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بطبق فيه تمر ، فأعطى كل منا تمرتين . فقال : كلوا هاتين التمرتين ؛ واشربوا عليهما من الماء ، فإنهما ستجزيانكم يومكم هذا . قال أبو هريرة : فأكلت تمرة وجعلت تمرة فى حجرتى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة لم رفعت هذه التمرة ؟ فقلت : رفعتها لأمى . فقال : كليها فإنا سنعطيك لها تمرتين ، فأكلتها فأعطانى لها تمرتين .!!)(٢) .

أقول : هكذا فليكن الأبناء ، ونعم الابن أنت يا أبا هريرة . وكثيراً ما كان يؤلمه الجوع ، فيخر مغشياً عليه فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما بين منزل عائشة والمنبر . فيمر به الرجل . فيظن به جنوناً ؛ فيجلس على صدره ، فيرفع أبو هريرة رأسه ليقول له : (ليس الذى ترى !! إنما هو الجوع)(٣) .

ومما يقوله أبو هريرة : إن كنت لأعتمد على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ؛ ولقد قعدت على طريقهم ؛

---

(١) حلية الأولياء ، ص ٣٧٧ ، ج ١ .

(٢) طبقات ابن سعد ، ٤ : ٢/٥٥ . وسير أعلام النبلاء : ٢/٤٢٧ . لقد اتهم بعض المغرضين أبا هريرة بالتطفل والنهم ، اتهموه ظلما وبهتاناً وزوراً ، فأى تطفل فى هذا ، وأى نهم من رجل يرفع لأمه تمرة ، ويأكل تمرة وقد قطع الجوع أمعاءه . انظر رد الشبهات فى الباب الثانى من «أبى هريرة» .

(٣) طبقات ابن سعد ، ٤ : ٢/٥٣ . وسير أعلام النبلاء : ٢/٤٢٦ . وتاريخ الإسلام : ٢/٣٣٥ .

فمر بي أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله — ما أسأله إلا ليستتبعني (١) — فمر ولم يفعل ، فمر عمر فكذلك ، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف ما في وجهي من الجوع . فقال : أبو هريرة ؟ قلت : لبيك يا رسول الله . فدخلت معه البيت ، فوجد لبناً في قدح ، فقال : من أين لكم هذا ؟ قيل : أرسل به إليك فلان . فقال : يا أبا هريرة ، فانطلق إلى أهل الصفة فادعهم — وكان أهل الصفة أضياف الإسلام ، لا أهل ولا مال ، إذا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة أرسل بها إليهم ، ولم يصب منها شيئاً ، وإذا جاءته هدية أصاب منها وأشركهم فيها — فساءني إرساله إياي ، فقلت : كنت أرجو أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، وما هذا اللبن في أهل الصفة !! .

ولم يكن من طاعة الله ورسوله بد ، فأتيتهم فأقبلوا مجيبين ، فلما جلسوا ، قال : خذ يا أبا هريرة فأعطهم ، فجعلت أعطي الرجل ، فيشرب حتى يروى ، حتى أتيت على جميعهم ، وناولته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع رأسه إلى مبتسما وقال : بقيت أنا وأنت . قلت : صدقت يا رسول الله . قال : فاشرب فشربت . فقال : اشرب ، فشربت ، فما زال يقول : اشرب . فأشرب حتى قلت : والذي بعثك بالحق ، ما أجد له مساغاً ، فأخذ فشرب من الفضلة (٢) .

وإليكم عفة نفس أبي هريرة والجوع يقطع أمعاءه ، يقول : أتيت عمر بن الخطاب ، فقمت له وهو يسبح بعد الصلاة ، فانتظرته . فلما انصرف ، دنوت منه فقلت : أقرئني آيات من كتاب الله . قال : وما أريد إلا الطعام . قال : فأقرأني آيات من سورة آل عمران ، فلما

---

(١) كنت ذكرت استقراءه بعض الصحابة الآية من القرآن وهي معه . انظر فتح الباري ، ص ٧٧ ، ج ٨ . فضائل (جعفر بن أبي طالب) .

(٢) سير أعلام النبلاء ، ص ٤٧٧ ، ج ٢ . رواه البخاري مطولا في كتاب الدعوات باب (كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم عن الدنيا) . انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ، ص ١٢٢ ، ج ٤ .

بلغ أهله دخل وتركني على الباب . فقلت : ينزع ثيابه ثم يأمر لي بطعام ، فلم أر شيئاً . فلما طال عليّ ، قمت فمشيت فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكلمني . فقال : يا أبا هريرة .. إن خلوف فمك الليلة لشديد ! !؟ فقلت : أجل يا رسول الله . لقد ظللت صائماً وما أفطرت بعد . وما أجد ما أفطر عليه . قال : انطلق . فانطلقت معه حتى أتى بيته فدعا جارية له سوداء . فقال : آتينا بتلك القصعة . فأتتنا بقصعة فيها وضر من طعام — أراه شعيراً — قد أكل وبقي في جوانبها بعضه وهو يسير فسميت وجعلت أتتبعه . فأكلت حتى شبعت(١) .

وكان أبو هريرة يقول : نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعُقْبة(٢) رجلي. فكنت أخدم إذا نزلوا ، وأحدو إذا ركبوا . فزوّجنيها الله . فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً . وجعل أبا هريرة إماماً(٣) .

وقال إمام التابعين سعيد بن المسيب (١٣ — ٩٣هـ) : رأيت أبا هريرة يطوف بالسوق . ثم يأتي أهله . فيقول : هل عندكم من شيء ؟ فإن قالوا : لا . قال : فإني صائم(٤) .

فلم يكن أبو هريرة نهماً ذا بطنة ، وما كان في يوم عبداً لشهوة بطنه ، بل كان يكتفي بما يعلل به نفسه ، أو يمسك عليه رمقه . فإذا ما أصبح لديه خمس عشرة تمرة . أفطر على خمس ، وتسحر بخمس ، وأبقى خمساً لفطره(٥).

لقد صبر على الفقر طويلا حتى أفضى به إلى الظل المديد ، والخير الكثير ، وبارك الله له في ماله . فكان كثير الشكر لله ، يذكر دائماً أيام

---

(١) حلية الأولياء ، ص ٣٧٨ ، ج ١ . والبداية والنهاية ص ١١١ ، ج ٨ .

(٢) العقبة ، أي نوبة ركوبه .

(٣) طبقات ابن سعد ، ٤ : ٢/٥٣ . وتذكرة الحفاظ ، ص ٣٢ ، ج ١ . والبداية والنهاية ، ص ١١٠ ، ج ٨ . وسير أعلام النبلاء ، ص ٤٤٠ ، ج ٢ .

(٤) حلية الأولياء ، ص ٣٨١ ، ج ١ .

(٥) حلية الأولياء ، ص ٣٨٤ ، ج ١ . والبداية والنهاية ، ص ١١٢ ، ج ٨ . وانظر الباب الثاني في الرد على الشبه التي أثارها بعض أعداء أبي هريرة .

فقره ، ويذكّر الناس نعم ربهم ، ويدعوهم إلى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ذلك أن أبا هريرة مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية ، فدعوه أن يأكل ، فأبى وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ، وما شبع من خبز الشعير(١) .

وقال مضارب بن حزن : بينا أنا أسير تحت الليل ، إذا رجل يكبّر ، فألحقه بعيرى ، فقلت : من هذا ؟ قال : أبو هريرة . قلت : ما هذا التكبير ؟ قال : شكر . قلت على مه ؟ قال : كنت أجيراً لبسرة بنت غزوان . . فزوجنيها الله !! فهى امرأتى(٢) !! .

ويأتيه ضيوف ، فيبعث إلى أمه : إن ابنك يقرئك السلام ويقول : أطعمينا شيئاً فترسل إليه ثلاثة أقراص فى الصحفة ، وشيئاً من زيت وملح ، فلما وضعها رسوله بين أيديهم ، كبّر أبو هريرة ، وقال : الحمد لله الذى أشبعنا من الخبز بعد أن لم يكن طعامنا إلا الأسودين التمر والماء(٣) .

ويتمخط فى ثوب من كتان ممشق ، فيقول : بخ بخ !! يتمخط أبو هريرة فى الكتان ، لقد رأيتنى أخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحجرة عائشة يجىء الجائى يرى أن لى جنوناً ، وما لى إلا الجـــوع (٤) !! .

❋ ❋ ❋

كـــرم أبى هريرة :

كان أبو هريرة عفيف النفس مع فقره ، فياض اليد ، مبسوط الكف ، جواداً ، يحب الخير ، ويكرم الضيوف ، لا يبخل بما بين يديه ، وإن كان قليلاً ، فلم يحمله فقره على الشح ، ولم يجعله دنىء النفس ، يتكفف الناس . .

---

(١) تاريخ الإسلام ، ص ٣٣٨ ، ج ٢ . رواه البخارى .

(٢) سير أعلام النبلاء ، ص ٤٤٠ ، ج ٢ . والإصابة : ص ٢٠٦ ، ج ٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، ص ٤٣٩ ، ج ٢ .

(٤) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢ / ٥٣ وسير النبلاء ٢ / ٤٢٦ ؛ وتاريخ الإسلام : ٢ / ٣٣٥ .

بل آثر أن يأكل الجوع بطنه من أن يأكل هو فتات الموائد ، وفضلات الطعام ، وفى عسره كله كان ضيف الإسلام وضيف رسول الله وصحبه ، حتى إذا ما يسر الله عليه لم يجعله غناه قاسى القلب ، متحجر الفؤاد ، بل كان علماً من أعلام الجود والكرم . قال الطفاوى : نزلت على أبى هريرة بالمدينة ستة أشهر ، فلم أر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا أشد تشميراً ، ولا أقوم على ضيف من أبى هريرة(١) .

وقال أبو عثمان النهدى : تضيفت أبا هريرة سبعاً(٢) فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثاً .

كان أبوهريرة طيب الأخلاق ، صافى السريرة ، يحب الخير ، حتى أنه تصدق بدار له فى المدينة على مواليه(٣) !! .

ويكفيه من الكرم أن يتصدق بكل ما يتيسر له ، ويظهر هذا فيما يرويه لنا كاتب مروان بن الحكم ، قال : بعث مروان إلى أبى هريرة بمائة دينار ، فلما كان الغد بعث إليه : إنى غلطت ولم أردك بها ، وإنى إنما أردت غيرك . فقال أبو هريرة : قد أخرجتها ، فإذا خرج عطائى فخذها منه — وكان قد تصدق بها — وإنما أراد مروان اختباره(٤) !! .

ذلكم أبو هريرة فى فقره وغناه ، فى عسره ويسره ، كان يفعل كل هذا لا يريد جزاء ولا شكوراً ، يبتغى وجه الله بعمله ، وكان على ذلك منذ أيامه الأولى فى الإسلام ، فيوم هاجر مسلماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، كان له غلام قد أبق منه ، ولقى أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعلن إسلامه ، وإذا بغلامه يأتى ، فيقول

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٢/٤٢٨ ، وتاريخ الإسلام : ٢/٣٣٦ .

(٢) تاريخ الإسلام : ٢/٣٣٧ . وحلية الأولياء : ١/٣٨٣ ، وسير أعلام النبلاء : ٢/٤٣٨ ، وأبو عثمان هذا هو عبد الرحمن بن على بن عمرو بن عدى سكن الكوفة ، أسلم على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولم يلقه ، وهو ثقة صالح توفى سنة (٩٥ هـ) وقيل غير ذلك . راجع تهذيب التهذيب : ٦/٢٧٦ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢/٦٣ ، وسير أعلام النبلاء : ٢/٤٢٣ .

(٤) البداية والنهاية : ٨/١١٤ .

رسول الله عليه الصلاة والسلام : « هذا غلامك يا أبا هريرة » . فيقول أبو هريرة : هو حر لوجه الله . فيعتقه(١) .

لقد أعتق أبو هريرة مملوكه قربة لله ، فرحاً مسروراً ، وهو أحوج ما يكون إليه ، فعوضه الله خيراً منه ، الإسلام وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا قرة عين له ، وسعادة أبدية ، تفوق كل سعادة .

كان يحب أن يتصدق من ماله ، ليشعر بالراحة النفسية ، وينال أجره مرتين ، قيراط لعمله وآخر لصدقته ، يروى عنه أنه قال : درهم يكون من هذا — وكأنه يمسح العرق عن جبينه — أتصدق به ، أحب إلىّ من مائة ألف ، ومائة ألف ، ومائة ألف من مال فلان(٢) .

❋ ❋ ❋

ولايته فى عهد عمر رضى الله عنه :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أرسل أبا هريرة مع العلاء الحضرمى إلى البحرين لينشر الإسلام ويفقه المسلمين ويعلمهم أمور دينهم ، فحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفتى الناس .

وفى عهد عمر رضى الله عنه استعمله على البحرين ، فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال ياعدو الله ، وعدو كتابه ؟ .
فقال أبو هريرة : فقلت : لست بعدو الله وعدو كتابه ؛ ولكنى عدو من عاداهما .

قال : فمن أين هى لك ؟ قلت : خيل نتجت ، وغلة رقيق لى ، وأعطية تتابعت على .

---

(١) البداية والنهاية : ٨ / ١٠٤ وسير أعلام النبلاء : ٢ / ٤٤٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٢ / ٤٤٢ . فى سنده مقال لأن هشام بن عروة يرويه عن رجل عن أبى هريرة ، ومع هذا فليس بعيداً عن أبى هريرة أن يقول هذا .

فنظروا ، فوجدوا كما قال(١) .

وفى رواية عنه : خيل لى تناتجت ، وسهام لى اجتمعت ، فأخذ منى اثنى عشر ألفاً(٢) .

وفى رواية همام بن يحيى ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبى طليحة : أن عمر قال لأبى هريرة : كيف وجدت الإمارة ؟ قال : بعثتنى وأنا كاره ، ونزعتنى وقد أحببتها ، وأتاه بأربعمائة ألف من البحرين ، قال : أظلمت أحداً ؟ قال : لا . قال : فما جئت به لنفسك ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : من أين أصبتها ؟ قال : كنت أتجر . قال : انظر رأس مالك ورزقك ، فخذه واجعل الآخر فى بيت المال(٣) .

فقد قاسمه عمر رضى الله عنه مع جملة من العمال ، وكان أبو هريرة يقول : اللهم اغفر لأمير المؤمنين(٤) .

وبعد ذلك دعاه عمر ليوليه ، فأبى ، فقال : تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيراً منك ، يوسف عليه السلام !؟ .

فقال : يوسف نبى ابن نبى ، وأنا أبو هريرة بن أميمة ، وأخشى من عملكم ثلاثاً واثنتين . قال : فهلا قلت خمساً ؟ قال : لا ، أخاف أن أقول بغير علم ، وأقضى بغير حلم ، وأى يضرب ظهرى ، وينزع مالى ، ويشتم عرضى(٥) .

* * *

(١) تاريخ الإسلام : ٣٣٨/٢ والبداية والنهاية : ١١١/٨ و ١١٣ وعيون الأخبار : ٥٣/١ وحلية الأولياء : ٣٨٠/١ وقبول الأخبار : ٥٧ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٤ : ٥٩/٢ . وكلاهما من رواية محمد بن سيرين والإسناد صحيح وإنما جمعت بين الروايات ليتم الانسجام بين أول القصة وآخرها .

(٣) طبقات ابن سعد ٤ : ٦٠/٢ وتاريخ الإسلام : ٣٣٨/٢ وتهذيب التهذيب : ٢٦٧/١٢ وسير أعلام النبلاء : ٤٤٤/٢ .

(٤) طبقات ابن سعد : ٤ : ٦٠/٢ .

(٥) انظر طبقات ابن سعد ٢ : ٥٩/٤ وسير أعلام النبلاء : ٤٤١/٢ من رواية معمر عن أيوب عن محمد بن سيرين ، وكانت ولاية أبى هريرة على البحرين بين سنة (٢١ — ٢٣ هـ) بعد وفاة علاء الحضرمى . وانظر الباب الثانى من هذا الكتاب حيث رددنا بعض الشبهات التى أثيرت حول أبى هريرة وانظر الفقرة (٤ — على عهد الخليفتين) .

أبو هريرة وفتنـــة عثمان :

كان أبو هريرة يوم حصار عثمان رضى الله عنه عنده فى الدار مع بعض الصحابة وأبنائهم الذين جاءوا ليدفعوا الثوار عن عثمان رضى الله عنه وكان عدة من فى الدار من المهاجرين والأنصار قريباً من سبعمائة رجل ، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان ، وأبو هريرة وخلق من مواليه ، ولو تركهم عثمان لمنعوه . إلا أنه كان مسالماً فقال لهم : أقسم على من لى عليه حق أن يكف يده ، وأن ينطلق إلى منزله، وقال لرقيقه : من أغمد سيفه فهو حر.. فبرد القتال من الداخل وحمى من الخارج(١) ؛ وكان فيما قاله عثمان لمن عنده فى الدار : فأحرج على رجل أن يستقتل أو يقاتل . . فتقدموا فقاتلوا ولم يسمعوا قوله فبرز المغيرة بن الأخنس و . . و . . وأقبل أبو هريرة والناس محجمون فقال : هذا يوم طاب فيه الضرب ، ونادى : يا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النـــار(٢) .

كان أبو هريرة إذن يدافع عن أمير المؤمنين فى أشد ساعات الفتنة ، بل بقى عنده حتى الرمق الأخير . . وقد أجمعت كل الروايات على وجود أبى هريرة بين الذين دافعوا عن عثمان رضى الله عنه ومعه أعيان الصحابة وبعض أولادهم إلا أن عثمان أبى أن يقاتلوا حتى أنه لما مات أبو هريرة كان ولد عثمان يحملون سريره حتى بلغوا البقيع حفظاً بما كان من رأيه فى عثمان(٣) ، كما أمر معاوية واليه على المدينة بأن يحسن جوار ورثة أبى هريرة لأنه كان ممن ينصر عثمان وكان معه فى الدار(٤) .

❋ ❋ ❋

---

(١) البداية والنهاية : ١٨١/٧ وشذرات الذهب : ٤٠/١ والإصابة : ٢٢٣/٤ .

(٢) الكامل فى التاريخ : ٨٨/٣ . وفى تاريخ الطبرى : ٣٨٩/٣ :« وشر أناس من الناس فاستقتلوا منهم سعد بن مالك وأبو هريرة .. فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا فانصرفوا»

(٣) طبقات ابن سعد : ٤ : ٦٢/٢ وتهذيب التهذيب : ٢٦٦/١٢ .

(٤) تاريخ الإسلام : ٣٣٩/٢ .

أبو هريرة فى عهد على رضى الله عنه :

بعد وفاة عثمان رضى الله عنه لم يذكر المؤرخون الثقات أبا هريرة فى شىء مما جرى من الحوادث بين سنة خمس وثلاثين وسنة أربعين ، التى استشهد فيها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . اللهم إلا ما رواه زياد بن عبد الله البكائى عن عوانه (بن الحكم الكلبى) أن معاوية أرسل بسر بن أبى أرطأة إلى الحجاز — وكان ذلك سنة أربعين — ودخل المدينة وعليها عامل علىّ يومئذ أبو أيوب الأنصارى ، ففر ، وطلب بسر البيعة لمعاوية وأتى مكة ثم اليمن ، وقتل فى اليمن جماعة كثيرة من شيعة على رضى الله عنه ، فلما بلغ علياً خبر بسر وجه جارية بن قدامة فى ألفين ، ووهب بن مسعود فى ألفين ، فهرب بسر وأصحابه ، فطلب جارية البيعة لأمير المؤمنين ولما بلغه استشهاده طلبها للحسن ، (وأتى المدينة وأبو هريرة يصلى بهم فهرب منه فقال جارية : والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه) وأخذ البيعة للحسن بن على ، وأقام يومه ثم انصرف إلى الكوفة ، وعاد أبو هريرة فصلى بهم(١) .

إن فرار أبى هريرة من جارية لا يعنى قط أنه كان أميراً على المدينة من قبل معاوية ، إنما فرّ بنفسه مخافة بطش قائد فاتح .

وأما غضب جارية عليه فلا يعنى أنه كان خصما لعلى رضى الله عنهما ، ومؤيداً لمعاوية ، فقد يكون غضبه لأنه علم إمامته للناس فى صلواتهم حين غاب عن المدينة أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه ، الذى كان أمير المدينة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فظن فيه ظن السوء . وأراد البطش به ، فى حين أنه قدم للصلاة بالناس لجلالة قدره .

والراجح القوى أن أبا هريرة اعتزل هذه الفتن ، وحث الناس على اعتزالها ، إذ كان يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

---

(١) تاريخ الطبرى طبع مصر (سنة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م) ص ١٠٦ — ١٠٧ جـ ٤ بإيجاز ، وانظر « الكامل » طبع مصر سنة (١٣٥٦ هـ) حيث ذكره من غير سند فى ص ١٩٣ جـ ٣

« ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، ومن يشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به »(١) .

ولم يثبت عن أبي هريرة أنه اشترك في تلك الفتن والخلافات ، وأما ما ذكره أبو جعفر الإسكافي من أن أبا هريرة كان مع النعمان بن بشير في قدومه من دمشق إلى عليّ رضي الله عنه في المدينة ، لرفع القتال ، وحقن دماء المسلمين ، على أن تكون الشام ومصر لمعاوية ، والحجاز والعراق لعلي ، فهذا الخبر لم يصح ، ولم يروه مؤرخ ثقة قط ، ولم أجده إلا في شرح نهج البلاغة(٢) ، عن أبي جعفر من غير سند ، فكيف نحكم على صحته مع مخالفته لصحيح الأخبار ؟ .

ولو سلمنا جدلا بصحة هذا الخبر ، فإنه لا يدل على اشتراك أبي هريرة في الفتنة ، كما لا يدل على تحزبه لمعاوية أو لعلي رضي الله عنهما ، وإنما يدل على حياده التام ، وعلى إجلال الصحابة له ، وعلى مكانته عند عليّ ومعاوية رضي الله عنهما ، مما حمله على محاولة طيبة ، وهي إيقاف القتال ، وحقن الدماء ، ودعوة الفريقين إلى الصلح والسلام . وأن هذه المحاولة تدل على سمو أخلاق أبي هريرة ، وحرصه على جمع كلمة المسلمين ، ونبذ الخلاف ، والرجوع إلى الحق .

وبالرغم من أن هذا الخبر لا يدل قطعاً على تشيع أبي هريرة لأحد الفريقين ، بل يدل على مكانته ومنزلته بين المسلمين ، بالرغم من هذا فإننا نتوقف عن الأخذ به إلى أن يصح في مصدر موثوق به .

والثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه حبه لأهل البيت ، فقبل صفحات ذكرت حبه للحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين ، وقد روى مساور مولى بني سعد بن بكر قال : (رأيت أبا هريرة قائماً في المسجد يوم مات

---

(١) فتح الباري ص ٤٢٦ ج ٧ . ومسند الإمام أحمد ص ٢٠٨ ج ١٤ .
(٢) انظر شرح نهج البلاغة طبع دار الفكر ببيروت ص ٢٦٠ ج ١ .

الحسن يبكي وينادي بأعلى صوته : يا أيها الناس.. مات اليوم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابكوا) (١) .

وأنكر أبو هريرة رضي الله عنه على مروان بن الحكم منع دفن الحسن في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها جانب جده صلى الله عليه وسلم ، وأصغى الحسين رضي الله عنه إليه وكاد ينزل عند رأيه (٢) .

* * *

أبو هريرة أمير المدينة :

بعد استشهاد أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، بايع الحسن بن عليّ رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان ، وتنازل له عن الخلافة . فاجتمعت كلمة المسلمين ، وانتشر السلام في أنحاء الدولة الإسلامية ، وأرسل معاوية ولاته إلى الأمصار والمدن ، وكان مروان بن الحكم واليه على المدينة ، فإذا ما غضب معاوية عليه استعمل أبا هريرة عليها ، وإذا غضب على أبي هريرة بعث مروان وعزله (٣) .

وكان مروان يستخلف أبا هريرة على المدينة حين يتوجه إلى الحج في ولايته لمعاوية (٤) . وقد كانت ولاية مروان من سنة (٤٢ هـ) إلى أن عزله معاوية سنة (٥٧ هـ) أو سنة ثمان وخمسين (٥) ، وقد حج مروان بالناس في ولايته هذه مرتين سنة (٥٤ و ٥٥) ، فيكون استخلافه أبا هريرة على المدينة إما في إحدى هاتين السنتين وإما في كليهما (٦) .

تلك لمحة موجزة عن أبي هريرة ، من خلال الأحداث التي جرت في عهد عثمان رضي الله عنه ، وعهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ص ٣٠١ جـ ٢ ، والاستيعاب ص ٣٩١ جـ ١ ، وأسد الغابة ص ٩ جـ ٢ ، والكامل ص ١٦٢ جـ ٣ .

(٢) انظر ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للطبري ص ١٤٢ والمراجع السابقة .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٤١ جـ ٢ .

(٤) انظر مسند الإمام أحمد ص ٢٣٦ جـ ١٣ .

(٥) انظر تاريخ الطبري ص ٢٢٨ ؛ وفي رواية أبي معشر أن معاوية نزع مروان سنة (٥٨)

(٦) في هامش مسند الإمام أحمد ص ٢٣٦ جـ ١٣ أن ولاية مروان من سنة (٥٤) والأشهر من سنة (٤٢) كما ذكره كثير من المؤرخين .

رضى الله عنه إلى وفاته فى آخر خلافة معاوية ، وقد كثرت تلك الأحداث مما أدى إلى صعوبة تقصى سيرة الرجال ، وخاصة من النواحى السياسية ، وذلك لكثرة الروايات واختلافها تارة ، أو لقلتها وغموضها تارة أخرى ،

وخلاصة سيرة أبى هريرة فيها ، أنه لم يرض فى عهد عثمان أن تقوم الفتنة وتراق الدماء ، ويثور الناس على الخليفة الثالث من غير حجة ولا دليل ، فكان مع عثمان رضى الله عنه يوم الدار ، واعتزل ما دار بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأمير الشام معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ، وتولى أحياناً إمرة المدينة أيام معاوية ، إما أصالة أو خلافة لمروان بن الحكم أيام حجه .

❋ ❋ ❋

أبو هريرة والجهاد فى سبيل الله :

كنت ذكرت أن أبا هريرة هاجر من اليمن إلى المدينة المنورة أيام غزوة خيبر ، وقد وصل إليها والرسول الكريم لا يزال فى خيبر ، فلحق به مع إخوانه اليمنين المهاجرين ، وعلى رأسهم الطفيل بن عمرو ، فسر بهم الرسول ، وأسهم لهم ، وجعلهم فى ميمنته ، وجعل شعارهم « مبرور » (١) .

فكانت خيبر أول مشاهد أبى هريرة مع الرسول الكريم ، وإن كان قد وصلها بعد انتهاء القتال ، ثم شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم جميع غزواته بعد خيبر .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينتدبه أحياناً فى بعض بعوثه ، من هذا ما رواه الإمام أحمد بسنده عن سليمان بن يسار ، عن أبى هريرة قال : « بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعث ، فقال : إن وجدتم فلاناً وفلاناً — لرجلين من قريش — فأحرقوهما بالنار ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أردنا الخروج : إنى أمرتكم أن

---

(١) انظر فى هذا الكتاب: « إسلامه وهجرته » .

تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله عز وجل ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما » (١) .

وقد يرسله صلى الله عليه وسلم فى سرية ويودعه ، من هذا ما أخرجه ابن ماجه فى باب تشييع الغزاة ووداعهم ، بسنده عن أبى هريرة قال : « ودعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه » (٢) .

ولم يترك أبو هريرة الجهاد فى سبيل الله بعد وفاة الرسول الكريم ، وكيف يتركه ؟ وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل ، ثم أغزو فأُقتل » (٣) ، كما سمع قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم ، ولا يجتمع شح وإيمان فى قلب رجل مسلم » (٤) .

فإذا ما دعت الحاجة إلى الجهاد ، رأينا أبا هريرة فى صفوف الجند يدافع فى سبيل الله ، وأول وقعة يحضرها أبو هريرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هى حرب الردّة ، أخرج الإمام أحمد بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله تعالى » قال : فلما كانت الردّة قال عمر لأبى بكر : تقاتلهم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا ؟ قال : فقال أبو بكر : والله لا أُفرّق بين الصلاة والزكاة ، ولأقاتلن من فرّق بينهما ، قال : فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشداً (٥) . والقائل هو أبو هريرة .

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٠٦ جـ ١٥ . وإسناده صحيح .

(٢) سنن ابن ماجه ص ٩٤٣ حديث ٢٨٢٥ جـ ٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ١٤٠ جـ ١٢ . وإسناده صحيح .

(٤) مسند الإمام أحمد ص ٢٢٠ جـ ١٣ . وإسناده صحيح .

(٥) مسند الإمام أحمد ص ١٨١ جـ ١ وإسناده صحيح .

ويذكر لنا ابن عساكر أن أبا هريرة شهد وقعة اليرموك (١) .

وقد ذكر أبو القاسم السهمي — المتوفى سنة ٤٢٧ هـ — أبا هريرة رضي الله عنه في عداد من دخل « جرجان » من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وقد فتحت « جرجان » في عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه سنة (١٨ هـ) (٢) .

وذكر الرافعي في « التدوين في ذكر أخبار قزوين » أن سلمان الفارسي وَرَدَ كُور قزوين مع أبي هريرة رضي الله عنهما عند منصرفهما من الباب ، وكان سلمان رضي الله عنه والياً بالمدائن ، وتوفي بها في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وقيل في خلافة عليّ رضي الله عنه سنة ست وثلاثين (٣) .

وروى الرافعي بسنده عن منصور بن عبد الحميد بن راشد — وكان قديم السن من أهل مرو — قال : رأيت أبا هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقزوين عليه عمامة بيضاء قد خضب بالصفرة ، وهذه الرواية تعتضد بروايات أخرى تؤكد على ورود أبي هريرة « قزوين »(٤) .

ونلمس حبه للجهاد في سبيل الله . والاستشهاد تحت لواء الإسلام . فيما يرويه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة قال : « وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الهند . فإن استشهدت كنت من خير الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحررة » (٥) .

❋ ❋ ❋

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ص ٤٢٩ جـ ٤٧ .

(٢) انظر تاريخ جرجان ص ٤ — ٦ .

(٣) انظر التدوين فيما ذكر أخبار قزوين ص ١٩ جـ ١ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٢٢ جـ١ مصور خزانة دار الكتب المصرية رقم (٧١٠٠ ح)

(٥) مسند الإمام أحمد ص ٩٧ حديث ٧١٢٨ جـ ١٢ . وإسناده صحيح ، ورواه الحاكم في المستدرك والنسائي . وفي رواية للإمام أحمد « رجعت وأنا أبو هريرة المحرر ، قد أعتقني من النار » ، والمحرر أي المعتق ، وما من بأس من زيادة الهاء ، تكون للمبالغة ، كما في « علامة » ونحوها انظر هامش ص ٩٨ جـ ١٢ من مسند الإمام أحمد .

مرح أبو هريرة ومزاحه :

لم يكن أبو هريرة جافاً قاسي الفؤاد ، خشن الطباع ، سيء المعشر ، بل كان طيب النفس ، حسن الخلق ، صافي السريرة ، وربما كان الفقر والصبر عليه هما اللذان جعلا منه الإنسان المرح ، يسرِّي عن نفسه بمزاحه أحياناً همومها ومصابها ، ومع هذا فقد كان يعطي لكل شيء حقه ، لا يخاف في الله لومة لائم ، سواء أكان أميراً أم فرداً من الرعية فقيراً ، فقد نظر إلى الدنيا بعين الراحل عنها ، فلم تدفعه الإمارة إلى الكبرياء ، بل أظهرت تواضعه وحسن خلقه .

وربما استخلفه مروان على المدينة ، فيركب حماراً ، قد شد عليه برذعة ، وفي رأسه خلبة من ليف ، يسير فيلقى الرجل ، فيقول : الطريق.. قد جاء الأمير (١) .

ويمر أبو هريرة في السوق ، يحمل الحطب على ظهره — وهو يومئذ أمير لمروان — فيقول لثعلبة بن أبي مالك القرظي : أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك ، فيقول : يرحمك الله .. يكفي هذا ! ! فيقول أبو هريرة : أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه (٢) ! ! .

نعم الأمير أنت يا أبا هريرة ، وليخلد الإسلام الذي سوى بين أميره وفقيره ، حتى أن أحد أفراد الرعية ، ينازع الأمير طريقه ، ويلزمه بما يكفيه ليمر والحطب على ظهره ، فهل بعد هذا عدالة وتواضع ؟ وهل وراء ذلك صفاء سريرة وطيب نفس ! ! ؟

وكأني أرى أبا هريرة — وقد فهم نفسية الأطفال ، وعرف أن من

---

(١) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢/٦٠ ، ٦١ ، وقبول الأخبار ٥٩ ، ٦٠ . إلا أنه يوردها طعناً عليه ، والخلبة : الحلقة .

(٢) حلية الأولياء : ١/٣٨٥ ، وتاريخ الإسلام : ٢/٣٣٤ و ٣٣٩ ، والبداية والنهاية : ٨/١١٣ و ١١٤ .

حاجاتها الأولى المداعبة والمزاح – يتيح لهم ذلك ؛ بل يداعبهم ليضحكهم ، ويدخل السرور إلى نفوسهم . يوم لم يعرف التاريخ الطرق التربوية المعاصرة ، وقبل أن يخلق رواد التربية الحديثة بعشرة قرون ، وقبل أن تجمع مجلدات التربية نظريات (مونتوسورى) و (جون ديوى) وغيرهما . . .

فقد يرى الصبية يلعبون فى الليل لعبة الغراب ، فيتسلل بينهم ؛ وهم لا يشعرون ، حتى يلقى بنفسه بينهم ، ويضرب برجليه (الأرض) كأنه مجنون ، يريد بذلك أن يضحكهم ، فيفزع الصبيان منه ، ويفرون ههنا وههنا ، يتضاحكون (١) .

كان يحب مداعبة أصحابه ، بلطف وأدب ، دعابة تقبلها النفوس الطيبة وترى فيها ما يجدد النشاط ، وما يدخل عليها السرور والحبور ، فهو فى ذلك يروِّح عن نفسه وعن غيره ، من غير أن يمس شعور الآخرين بما يسىء إليهم .

من ذلك ما يرويه لنا أبو رافع فيقول : وربما دعانى أبو هريرة إلى عشائه بالليل . فيقول : دع العراق للأمير ، قال : فأنظر فإذا هو ثريد بالزيت (٢) ! ! !

ذلكم أبو هريرة أمير المدينة ، فى مزاحه ومرحه ، وتلكم نفسه الطيبة ، وسريرته الصافية ، وأخلاقه الحسنة السامية ! ! !

* * *

قبس من أخـــــلاقه :

كان مروان يستخلف أبا هريرة ، فيكون بذى الحليفة ، وأمه فى بيت وهو فى آخر ، فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها فقال : السلام عليك –

---

(١) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢ / ٦٠ ، ٦١ : والبداية والنهاية : ٨ / ١١٣ ، وعيون الأخبار : ٥٩ ، ٦٠ ، وتاريخ الإسلام : ٢/٢٣٨ .

(٢) انظر البداية والنهاية ص ١١٤ ج ٨ ، وطبقات ابن سعد : ٤ : ٤ / ٦١ ، وتاريخ الإسلام ٢/٣٨ ، والعراق : العظم الذى نزع عنه اللحم وبقى عليه قليل منه .

يا أمتاه — ورحمة الله وبركاته . فتقول : وعليك يا بني ورحمة الله وبركاته ، فيقول : رحمك الله كما ربيتني صغيراً . فتقول : رحمك الله كما بررتني كبيراً ، ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله (١) .

قال محمد بن سيرين : كنا عند أبي هريرة ليلة ، فقال : اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمي ولمن استغفر لهما . قال محمد : فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة (٢) .

لقد امتثل لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال : ما تأمرني ؟ قال : « بر أمك » . ثم عاد فقال : « بر أمك » ثم عاد فقال : « بر أمك » ثم عاد الرابعة فقال : « بر أمك » ثم عاد الخامسة فقال : « بر أباك » (٣) . ولازم أبو هريرة أمه ولم يحج حتى ماتت لصحبتها (٤) .

وكان يدعو الناس إلى الخير ويحملهم على حسن الأخلاق ، من ذلك ما رواه البخاري عنه أنه أبصر رجلين فقال لأحدهما : ما هذا منك ؟ فقال : أبي . فقال : لا تسمه باسمه ، ولا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله (٥) .

وكان يقول : من لقي أخاه فليسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة أو حائط ، ثم لقيه فليسلم عليه(٦) ، كما قال : أبخل الناس الذي يبخل بالسلام ، وإن أعجز الناس من عجز بالدعاء (٧) .

وكان يدعو إلى صلة القربى ، وينهى عن قطع الرحم من هذا ما رواه البخاري عن أبي أيوب سليمان مولى عثمان بن عفان قال : جاءنا أبو هريرة ، عشية الخميس ليلة الجمعة ، فقال : أحرِّج على كل قاطع رحم لما قام من

---

(١) الأدب المفرد ص ١٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٨ رقم ٣٧ .
(٣) الأدب المفرد ص ١٦ .
(٤) ابن عساكر ص ٥١٦ و ٥١٧ ج ٤٧ .
(٥) الأدب المفرد ص ٣٠ .
(٦) الأدب المفرد ص ٣٤٩ .
(٧) الأدب المفرد ص ٣٥٩ .

عندنا . فلم يقم أحد . حتى قال ثلاثاً . فأتى فتى عمة له قد صرمها منذ سنتين . فدخل عليها . فقالت له : يا ابن أخي ! ما جاء بك ؟ قال : سمعت أبا هريرة يقول كذا وكذا . قالت : ارجع إليه فسله لم قال ذاك؟ قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أعمال بني آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة ، فلا يقبل عمل قاطع رحم » (١) .

وكان يحرص على ألا يسيء إلى إنسان ، فكان يعامل إخوانه وجلساءه معاملة حسنة ، وبرفق ولطف ، لا يجرح أحداً بكلمة نابية ، أو عبارة قاسية ، حتى إذا استثقل جليساً لم يزد على قوله « اللهم اغفر لنا وله وأرحنا منه في عافية » (٢) .

وكان يحض الناس على التسامح والتجاوز عن أخطاء بعضهم وعيوب غيرهم من ذلك قوله : « يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه ، وينسى الجذل — أو الجذع — في عين نفسه » (٣) .

وكان متواضعاً ، ومن حسن أخلاقه يؤاكل الصبيان (٤) ويعطف عليهم .

ومن تواضعه أنه ما كان يمشي على البساط بنعله ، فقد عقد الخطيب البغدادي فقرة في كتابه الجامع تحت عنوان (استحباب المشي على البساط حافياً) وذكر سبب ذلك ، وقال : وذلك أيضاً من التواضع وحسن الأدب ... ثم روى بسنده عن عقبة بن أبي حسناء اليمامي قال : دعوت أبا هريرة إلى منزلي ، وفي منزلي بساط مبسوط ، فلم يجلس حتى خلع نعليه ثم مشى على البساط (٥) .

* * *

(١) الأدب المفرد ص ٣٥ — ٣٦ . (٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٥٤ .
(٣) الأدب المفرد ص ٢٠٧ . (٤) انظر ابن عساكر ص ٥٢٤ جـ ٤٧ .
(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع بتحقيق في ٢٦٠ و ٢٦١ .

مرض أبي هـــــريرة :

مرض أبو هريرة فعاده مروان بن الحكم ، وقال له : شفاك الله يا أبا هريرة ، فقال : اللهم إنى أحب لقاءك ، فأحب لقائى ، فما بلغ مروان القطانين حتى مات (١) .

وكان ينصح الناس ، ويأمرهم بالمعروف ، ويحذرهم من مساوىء الزمان ، وإقبالهم على الدنيا — وهو على فراش الموت .

فقد دخل عليه أبو سلمة بن عبد الرحمن ، فقال : اللهم اشف أبا هريرة. فقال أبو هريرة : اللهم لا ترجعنى — أعادها مرتين — ثم قال : يا أبا سلمة .. إن استطعت أن تموت فمت ، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ليوشكن أن يأتى على العلماء زمن يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر ، أو ليوشكن أن يأتى على الناس زمان يأتى الرجل قبر المسلم ، فيقول : وددت أنى صاحب هذا القبر (٢) .

وبكى أبو هريرة فى مرضه ، فقيل له : ما يبكيك يا أبا هريرة ؟ قال : أما إنى لا أبكى على دنياكم هذه ، ولكنى أبكى لبعد سفرى وقلة زادى ! ! أصبحت فى صعود مهبطه على جنة أو نار ، فلا أدرى إلى أيهما يسلك بى (٣) .

وقال أبو هريرة لما حضرته المنية : لا تضربوا على فسطاطاً ، ولا تتبعونى بنار وأسرعوا بى إسراعاً ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تاريخ الإسلام : ٣٣٩/٢ . وفى طبقات ابن سعد : فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى مات : ٤ : ٦٢/٢ . وكذلك فى سير أعلام النبلاء : ٤٤٨/٢ . وفى البداية والنهاية : ٨/ ١١٤ : « فما بلغ مروان أصحاب القطن » . ومفهوم أنه سوق القطانين . روى بأسانيد مختلفة منها مالك عن المقبرى وهو صحيح ، وانظر ابن عساكر ص ٥٣٤ و ٥٣٥ جـ ٤٧ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٤ : ٦١/٢ و ٦٢ ، وحلية الأولياء : ٣٨٤/١ ، والبداية والنهاية : ١١٢/٨ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٤/٢ : ٦٢ — ٦٣ وحلية الأولياء : ٣٨٣/١ والبداية والنهاية ١١٢/٨ وسير أعلام النبلاء : ٤٤٨/٢ ، وابن عساكر ٤٧/ ٥٣٣ .

وسلم يقول : « إذا وضع الرجل الصالح — أو المؤمن — على سريره قال : قدموني ، وإذا وضع الرجل الكافر — أو الفاجر — على سريره ، قال ياويلي أين تذهبون بي » (١)؟ وكان أبو هريرة يقول : ما من مرض يصيبني ، أحب إلي من الحمى ، لأنها تدخل في كل عضو مني ، وإن الله عز وجل يعطي كل عضو قسطه من الأجر (٢) .

❊ ❊ ❊

وفـــاته :

اختلف في وفاته على أقــوال :

قال هشام بن عروة : أبو هريرة وعائشة ماتا سنة سبع وخمسين ، وهو رأى المدائني وعلي بن المديني .

قال أبو معشر : توفي سنة ثمان وخمسين (٣) .

قال الواقدي وأبو عبيد : مات سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة وقد صلى على عائشة في رمضان سنة ثمان وخمسين وعلى أم سلمة في شوال سنة تسع وخمسين ، ثم توفي بعد ذلك فيها .

❊ ❊ ❊

مناقشة هذه الروايات :

قال ابن حجر بعد أن ذكر رواية الواقدي — وفيها أنه توفي سنة (٥٩) — هذا من أغلاط الواقدي الصريحة ، فإن أم سلمة بقيت إلى سنة إحدى وستين ، ثبت في صحيح مسلم ما يدل على ذلك . . والظاهر أن التي صلى عليها ثم مات

---

(١) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢ /٦٢ والإصابة : ٧/ ٢٠٦ وقد أخرجه أحمد والنسائي بسند صحيح عن عبد الرحمن بن مهران مولى أبي هريرة وانظر ابن عساكر ص ٥٣١ ج ٤٧ .

(٢) الأدب المفرد : ١٧٧ وأخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه ، قال ابن حجر : سنده صحيح .

(٣) انظر البداية والنهاية : ٨/ ١١٤ وتاريخ الإسلام : ٢/ ٣٣٩ وطبقات ابن سعد : ٤ : ٢/ ٦٤ . وسير أعلام النبلاء : ٢/ ٤٤٩ .

معها فى السنة هى عائشة ، كما قال هشام بن عروة أنهما ماتا فى سنة واحدة (١)

أقول إن خطأ الواقدى فى وفاة أم سلمة . لا يستلزم خطأه فى وفاة أبى هريرة .

وقال ابن كثير : والصواب أن أم سلمة تأخرت بعد أبى هريرة ، وقال غير واحد أنه توفى سنة تسع وخمسين (٢) . .

كان من الممكن أن ترجح رواية هشام بن عروة على غيرها لمكانته عند عائشة وقرابته منها . إلا أنه لم يذكر أحد أنها توفيت سنة سبع وخمسين ، واشتهرت وفاة عائشة فى سنة ثمان وخمسين (٣) . فإذا توفى أبو هريرة فى السنة التى توفيت فيها عائشة كانت سنة وفاته عام (٥٨) ولو تأخر عنها فترة ما تتحقق وفاته سنة تسع وخمسين وهى الأشهر .

وقد كان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان بعد أن عزل معاوية مروان سنة سبع وخمسين (٤) ، فصلى عليه ، وحضر جنازته من الصحابة عبدالله ابن عمر ، وأبو سعيد الخدرى ، وشهدها أيضاً مروان بن الحكم ، وكان ابن عمر يسير أمامها ويكثر الترحم عليه (٥) .

وكان ولد عثمان يحملون سريره ، حتى بلغوا البقيع ، حفظاً بما كان من رأيه فى عثمان رضى الله عنه) (٦) .

وكتب الوليد بن عتبة إلى معاوية بوفاته ، فكتب إلى الوليد : ادفع

---

(١) انظر تهذيب التهذيب : ١٢ / ٢٦٦ والإصابة : ٧/ ٢٠٧ .

(٢) انظر البداية والنهاية : ٨/١١٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٢/ ١٣٥ وطبقات ابن سعد : ٨/ ٣٩ .

(٤) ذكر الطبرى فى تاريخه : ٤/ ٢٢٨ من رواية أبى معشر أن معاوية نزع مروان سنة (٥٨) وعلى هذا ترجح سنة وفاته بعد سنة (٥٧) وهو الأشهر كما ذكرت أعلاه .

(٥) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢ / ٦٣ . وفى سير أعلام النبلاء : ٢/ ٤٤٩ الوليد ابن عقبة وهذا تصحيف لأن الوليد بن عقبة لم يل التهذيب ص ٢٦٦ ج ١ .

(٦) انظر طبقات ابن سعد : ٢ : ٤/ ٦٣ ، وتهذيب التهذيب ص ٢٦٦ ج ١ .

لورثته عشرة آلاف درهم ، وأحسن جوارهم ، فإنه كان ممن ينصر عثمان ، وكان معه فى الدار (١) .

❋ ❋ ❋

أســـرته :

كان أبو هريرة قد تزوج من بسرة بنت غزوان ، أخت الأمير عتبة بن غزوان الصحابى المشهور (٤٠ ق هـ — ١٧ هـ) (٢) ، وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرجح ، وكثيراً ما كان يشكر الله عز وجل ويحمده على زواجه منها (٣) .

وأما أولاده فهم أربعة ، ثلاثة ذكور : المحرر ، وعبد الرحمن وبلال (٤) ، وبنت لم يذكر لنا التاريخ اسمها (٥) ، تزوجها سعيد بن المسيب إمام التابعين ، وأحد الأعلام فى العلم والعبادة والورع (٦) .

وقد توفى المحرر بن أبى هريرة بالمدينة فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وكان قد روى عن أبيه ، وعن عمر بن الخطاب مرسلا ، وعن عبد الله ابن عمر ، وروى عنه ابنه مسلم ، وابن شهاب الزهرى ، وعامر الشعبى وابن عقيل وعطاء وعكرمة ، ومصعب ، وعبد الله بن محيريز ، وغيرهم ، وكان قليل الحديث (٧) .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ٦٢ جـ ٤ قسم ٢ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٤٨ جـ ٢ ، وتاريخ الإسلام ص ٣٣٩ جـ ٢ .

(٢) انظر الأعلام ص ٣٦٠ جـ ٤ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٤١ جـ ٢ .

(٤) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٦٠ .

(٥) انظر حلية الأولياء ص ٣٨٠ جـ ١ ، والبداية والنهاية ص ١١١ جـ ٨ . ولعلها أم حبيب انظر تهذيب التهذيب ص ٨٤ جـ ٤ .

(٦) انظر السنة قبل التدوين ص ٤٨٥ .

(٧) انظر طبقات ابن سعد ص ١٨٨ جـ ٥ ، وتهذيب التهذيب ص ٥٥ جـ ١ .

الفصل الثاني

حياته العلمية

- حرصه على الحديث
- أمسك علم لا ينسى
- مجالسه ونشره الحديث
- كثرة حديثه وسعة علمه
- حفظ أبي هريرة
- حرصه على صيانة الحديث من الكذب
- أبو هريرة والقضاء
- شيوخه ومن روى عنه
- عدة ما روى عنه من الحديث
- نماذج من روايته
- الثناء على أبي هريرة
- أصح الطرق عن أبي هريرة
- أبو هريرة والفتوى

بين يدى الفصل

صحب أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنوات ، بعد غزوة خيبر ، وكان قد زاد على الثلاثين سنة : أقام معه حتى توفى صلى الله عليه وسلم ، يدور معه فى بيوت نسائه ، يخدمه ويصلى خلفه ، يحج ويغزو معه ؛ لا ينقطع عن مجالسه ، بل كان المسجد مقامه ، والرسول صلى الله عليه وسلم إمامه ، فعرف كثيراً من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشاهد دقائق السنة ووعى تطبيق الشريعة ، فأرسله رسول الله عليه الصلاة والسلام مع العلاء الحضرمى إلى البحرين ، فكان مؤذناً وإماماً ؛ عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه على الحديث ، وحبه للعلم فكان لا يتأخر فى إجابته عما يسأل ، ويدعو له .

وربما تبدو صحبة أبى هريرة قليلة بالنسبة لما يروى عنه من علم جم كثير ؛ إلا أن ملازمته الدائمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرصه على طلب العلم وسعيه وراء ذلك — يدفع أى شك يرد على مروياته .

وقد غضب من مروان بن الحكم مرة ، عندما قال له : أكثرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث . ! ! فقال أبو هريرة : (. . كنت والله أعلم الناس بحديثه ؛ قد والله سبقنى قوم بصحبته ، والهجرة إليه من قريش والأنصار ، وكانوا يعرفون لزومى له ؛ فيسألونى عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلى . . وطلحة والزبير ؛ فلا والله ما يخفى على كل حديث كان بالمدينة ، وكل من أحب الله ورسوله ، وكل من كانت له عند رسول الله منزلة ، وكل صاحب له . وكان أبو بكر صاحبه فى الغار وغيره . .) (١) ثم قال أبو هريرة : (ليسألنى أبو عبد الملك عن

---

(١) بقية قول أبى هريرة : (وقد أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يساكنه — يعرض بأبى مروان بن الحكم —) وفى رواية أن أبا هريرة قال لمروان : (إنى أسلمت وهاجرت اختياراً وطوعاً ، وأحببت رسول الله حباً شديداً ، وأنتم أهل الدار وموطن الدعوة أخرجتم الداعى من أرضه ، وآذيتموه وأصحابه ، وتأخر إسلامكم عن إسلامى إلى الوقت المكروه إليكم ، فندم مروان على كلامه واتقاه) . البداية والنهاية : ٨/١٠٨ .

هذا وأشباهه ، فإنه يجد عندى منه علماً جماً ومقالا) (١) .

فلم يعد مروان لمثل ذلك ، بل كان يخافه ويخاف جوابه .

***

حرصه على الحـــديث :

قال أبو هريرة : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا رد إليك ربك فى الشفاعة ؟ فقال : « والذى نفس محمد بيده ، لقد ظننت أنك أول من يسألنى عن ذلك من أمتى ، لما رأيت من حرصك على العلم ، والذى نفس محمد بيده .. ما يهمنى من انقصافهم على أبواب الجنة (٢) أهم عندى من تمام شفاعتى ، وشفاعتى لمن شهد أن « لا إله إلا الله » مخلصاً ، يصدق قلبه لسانه ، ولسانه قلبه » (٣)، وفى رواية : « أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه » (٤) .

لقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة رضى الله عنه بحرصه على الحديث ، فنعم تلك الشهادة ، وهنيئاً لمن شهد له بذلك . وشهد بعض الصحابة بأنه كان جريئاً يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يسأله غيره ، من هذا قول أبى بن كعب : (إن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا نسأله عنها) (٥) .

وكان يقول : ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه(٦) . وكان يصرح بهذا إلى الرسول صلى الله

---

(١) البداية والنهاية : ٨/١٠٨ وسير أعلام النبلاء : ٢ / ٤٣٥ .

(٢) معنى « انقصافهم على أبواب الجنة » القصف بفتح القاف وسكون الصاد المهملة ثم الفاء ، هو الكسر والدفع الشديد ، لفرط الزحام ، حتى يقصف بعضهم بعضاً . قال ابن الأثير : « يعنى استسعادهم بدخول الجنة وأن يتم ذلك — أهم عندى من أن أبلغ أنا منزلة الشافعين المشفعين ، لأن قبول شفاعته كرامة له . فوصولهم إلى مبتغاهم آثر عنده من نيل هذه الكرامة ، لفرط شفقته على أمته » هامش مسند الإمام أحمد ص ٢٠٨ جـ ١٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٢٠٨ حديث ٨٠٥٦ هـ ١٥ ، ونحوه فى فتح البارى ص ٢٠٣ جـ ١ .

(٤) فتح البارى ص ٢٠٣ جـ ١ .

(٥) ابن عساكر ص ٤٧٧ جـ ٤٧ .

(٦) أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب .

عليه وسلم ، ويؤكد له سروره وفرحه بحضور مجالسه صلى الله عليه وسلم .

من هذا ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة قال : قلت : يا رسول الله ، إنى إذا رأيتك طابت نفسى ، وقرت عينى ، فأنبئنى عن كل شيء ؟ فقال : « كل شيء خلق من ماء » . قال : قلت : يا رسول الله أنبئنى عن أمر إذا أخذت به دخلت الجنة ؟ قال : « أفش السلام ، وأطعم الطعام ، وصل الأرحام ، وقم بالليل والناس نيام ، ثم ادخل الجنة بسلام »(١)

لقد كان أبو هريرة يشعر بدافع داخلى ذاتى ، وإحساس ضمنى نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى تطيب نفسه برؤيته عليه الصلاة والسلام ، وينشرح صدره لحديثه ، لهذا كثيراً ما نرى أبا هريرة يبذل جهده فى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنه كان يحمل له الماء لقضاء حاجته ، وهو فى هذا كله ينهل من المعين الصافى ، الكثير الطيب ، يسأل الرسول تارة ، ويسمع منه أخرى ، ويجالسه حيناً ، ويراه أحياناً ، فيتعلم دقيق أحكام الشريعة وعظيمها ، من هذا ما أخرجه أبو داود بسنده عن أبى هريرة قال : علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم ، فتحينت فطره بنبيذ صنعته فى دباء(٢) ، ثم أتيته به ، فإذا هو ينش(٣) ، فقال : « اضرب بهذا الحائط ، فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر »(٤) . أحب أبو هريرة أن يقدم للرسول صلى الله عليه وسلم ساعة

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٧٢ حديث ٧٩١٩ جـ ١٥ .

(٢) الدباء : القرع ، الواحدة منها دباءة . كانوا يجففون القرع ويجعلونه كالآنية .

(٣) ينش : أى يغلى من نفسه لتخمره .

(٤) سنن أبى داود ص ٣٠١ جـ ٢ . كانوا يطلقون اسم النبيذ على نقيع التمر أو الزبيب ، لأنهم كانوا ينبذونها فى الماء ريثما يصير حلواً ، عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : « كنا ننبذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم غدوة فى سقاء ، فيشربه عشية ، وعشية فيشربه غدوة . قالت : وكنا نغسل السقاء غدوة وعشية مرتين فى اليوم أخرجه الخمسة والإمام مالك . انظر ص ١٦٧ جـ ٢ من تيسير الوصول . فالنبيذ عندهم هو ما نسميه « الخشاف » فى عصرنا وأما النبيذ المعروف الآن ، وغيره من المسكرات فهى حرام ، لا يجوز تناولها . فقد أخرج أصحاب السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل شراب أسكر فهو حرام » وغيره ما يثبت حرمة جميع المسكرات . انظر تيسير الوصول ص ١٦٣ جـ ٢ .

الإفطار . ما يثلج صدره . ويطفىء ظمأه فصنع له (خشافاً) كهذا الذى تصنعه فى رمضان من التمر والتين ، إلا أن نبيذ (خشاف) أبى هريرة تخمر . فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرحه .

إن مثل هذه الوقائع التى كانت تقع لأبى هريرة ولغيره ، لا يمكن أن ينساها لأنها تمثل جزءاً من حياته ، بل تمثل فترة بارزة من عمره ، عاش فيها مع الرسول الكريم ، ورأى بعينه ، وسمع بأذنه ، ووعى بقلبه . وقد شعر أبو هريرة بالسعادة تخالط نفسه ، وبالإيمان يملأ قلبه لملازمته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان كثيراً ما يشكر الله تعالى على هذه النعمة فيقول : « الحمد لله الذى هدى أبا هريرة للإسلام ، الحمد لله الذى علّم أبا هريرة القرآن ، الحمد لله الذى منّ على أبى هريرة بمحمد صلى الله عليه وسلم »(١) . هنيئاً لك يا أبا هريرة بهذا كله وهنيئاً لجميع المسلمين به أيضاً ، بل لتهنأ الإنسانية برسول الإنسانية العظيم ، وبرسالته الخالدة التى أرادها الله رحمة للعالمين .

وكان أبو هريرة من أكثر الصحابة حرصاً على الحديث ، روى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أخذ من أمتى خمس خصال فيعمل بهن ، أو يعلمهن من يعمل بهن » ؟ قال : قلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأخذ بيدى فعدهن فيها ، ثم قال : « اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب »(٢) .

وفى الحقيقة رأينا هذا الحديث ينطبق تماماً على أبى هريرة حينما عرضنا بعض أخبار التزامه للسنة ، والحرص عليها ، وتأسيه دائماً بالرسول . والامتثال لأوامره ، وطبعى أن يكون أبو هريرة أحد أعلام الصحابة

---

(١) تاريخ ابن عساكر ص ٥١١ جـ ٤٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢٢٨ حديث ٨٠٨١ جـ ١٥ ، وروى نحوه الترمذى وابن ماجه من عدة طرق ، والبيهقى ، وانظر الجامع الكبير ص ١٦ جـ ١ .

العظام ، وطبعى أن نراه فى منزلة رفيعة سامية ، بعد أن عاش سنوات مع الرسول الكريم لا يفارقه فيها ، يتخرج فى حلقاته ، وينهل من علمه .

وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم حرص أبى هريرة على الحديث ، فكان كثيراً ما يحدثه ، من هذا ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : «كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نخل لبعض أهل المدينة ، فقال : «يا أبا هريرة .. هلك المكثرون إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا ، ثلاث مرات : حثى بكفه عن يمينه وعن يساره وبين يديه — وقليل ما هم ، ثم مشى ساعة فقال : يا أبا هريرة .. ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : قل : « لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا ملجأ من الله إلا إليه » ، ثم مشى ساعة فقال : يا أبا هريرة ، هل تدرى ما حق الناس على الله ؟ وما حق الله على الناس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإن حق الله على الناس أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . فإذا فعلوا ذلك فحق عليه أن لا يعذبهم »(١) ، وغير ذلك من الأخبار التى تؤكد كثرة تحمله عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

❋ ❋ ❋

أمله .. علم لا ينسى :

جاء رجل إلى زيد بن ثابت فسأله عن شيء ، فقال له زيد : (عليك أبا هريرة ، فإنى بينما أنا وأبو هريرة وفلان فى المسجد ، ذات يوم ندعو الله تعالى ونذكره ، إذ خرج علينا النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى جلس إلينا ، فسكتنا . فقال : عودوا إلى الذى كنتم فيه . قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى قبل أبى هريرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن (يقول آمين) على دعائنا . ثم دعا أبو هريرة ، فقال : اللهم إنى أسألك ما سألك صاحباى ، وأسألك علماً لا ينسى ، فقال صلى الله عليه وسلم :

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٢٠ حديث ٨٠٧١ ج ١٥ .

آمين . فقلنا يا رسول الله ونحن نسأل الله علماً لا ينسى . فقال : « سبقكم بها الغلام الدوسى »(١) .

* * *

مجالسه ونشره الحديث :

كان أبو هريرة يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة ، وفى مكة المكرمة ، كما حدث فى دمشق ، وحفظ عنه أهلها ، وحدث فى العراق والبحرين ، وكان يحدث حيثما حل ، ويفتى الناس بما سمع من الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، ومن يتتبع حديثه يرى أنه قد جعل بيته معهداً للمسلمين يترددون إليه ، ليسمعوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) ، كما كان يستقبل طلاب العلم فى أرضه بالعقيق(٣) ، ويحدثهم ويكرمهم ، ويدخل السرور عليهم بما أنعم الله عليه من حسن المعشر ، ولطيف الخلق ، وكثرة العلم والخير .

وكانت أكثر مجالسه فى المسجد النبوى إلى جانب الحجرة المشرفة ، وقد عرف الناس فضله ومكانته ، فكانوا يرجعون إليه فى كثير من أمورهم ، وكان يفتى بوجود علماء الصحابة ، وكان بعض الصحابة كزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس يحيلون السائل عليه ، لأنهم عرفوا علمه واتقانه ، فعن معاوية بن أبى عياش الأنصارى ، أنه كان جالساً مع ابن الزبير ، فجاء محمد بن إياس بن بكير ، فسأل عن رجل طلّق ثلاثاً قبل الدخول ، فبعثه إلى أبى هريرة ، وابن عباس — وكانا عند عائشة — فذهب فسألهما ، فقال ابن عباس لأبى هريرة : أفته يا أبا هريرة ، قد جاءتك معضلة ، فقال : الواحدة تبينها والثلاث تحرمها(٤) .

(١) تهذيب التهذيب ص ٢٦٦ جـ ١٢ وفيه سألاك صاحبى ، والتصحيح من فتح البارى ص ٢٢٦ جـ ١ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ جـ ٢ ، وانظر حلية الأولياء ص ٣٨١ جـ ١ ، والبداية والنهاية ص ١١١ جـ ٨ .

(٢) انظر سنن أبى داود ص ٥٦٨ جـ ١ باب فى صوم يوم عرفة بعرفة ، كتاب الصيام .

(٣) انظر ذخائر المواريث ص ٤٦ جـ ٤ حديث (٨٧٢١) ، وموطأ الإمام مالك كتاب الجامع .

(٤) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ جـ ٢ ، وانظر سنن أبى داود ص ٥٠٩ جـ ١ .

ونقل لنا أبو داود عن محمد بن إياس أن ابن عباس وأبا هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص سئلوا عن البكر يطلقها زوجها ثلاثاً ، فكلهم قالوا : لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره(١) .

وروى أبو داود عن ابن عباس أنه قال : (كان الرجل إذا طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر . فلما رأى الناس قد تتابعوا فيها قال : أجيزوهن عليهم)(٢) . لما رأى عمر الناس يتابعون إيقاع الطلاق ثلاثاً في مجلس واحد ، استشار الصحابة في أن يجيزوها ثلاثاً زجراً لهم . فأوقعها عمر ثلاثاً(٣) ، والظاهر من فتوى أبي هريرة أنها كانت بعد أن أجرى عمر رضي الله عنه إيقاع الثلاث زجراً للناس .

وكان حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر من خلال حديثه عنه ، فكان أحياناً يقول : حدثني الصادق المصدوق ، وأحياناً: حدثني خليلي أبو القاسم ، ومرة يقول حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد يقول : قال صلى الله عليه وسلم فتخنقه عبرة الذكرى وينهض من مجلسه(٤) .

وكان يبتدىء حديثه بحديث : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . روى عاصم بن كليب عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول — وكان يبتدىء حديثه بأن يقول — : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو القاسم الصادق المصدوق : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »(٥) .

---

(١) انظر سنن أبي داود ص ٥٠٩ جـ ١ .

(٢) سنن أبي داود ص ٥٠٩ جـ ١ .

(٣) انظر بسط أقوال الأئمة من الصحابة والتابعين وأهل العلم من بعدهم في « الطلاق ثلاثاً » في نيل الأوطار للشوكاني ص ٢٤٥ — ٢٤٨ جـ ٦ .

(٤) انظر البداية والنهاية ص ١٠٧ جـ ٨ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٤٠ جـ ٢ ، ومسند الإمام أحمد ص ٢٤٦ جـ ١٣ .

(٥) ابن عساكر ص ٤٨٨ جـ ٤٧ .

ويصف لنا محمد بن عمارة بن عمرو بن حزم مجلساً لأبي هريرة فيقول : إنه قعد في مجلس فيه أبو هريرة . وفيه مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بضعة عشر رجلا ، فجعل أبو هريرة يحدثهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث ، فلا يعرفه بعضهم ، ثم يتراجعون فيه فيعرفه بعضهم ، ثم يحدثهم بالحديث ، فلا يعرفه بعضهم ، ثم يعرفه ، حتى فعل ذلك مراراً . قال : فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

وقد وثق الناس بأبي هريرة وعرفوا مكانته ، فكانوا يتواعدون لينطلقوا إليه ، فيسمعوا حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما رواه مكحول قال : تواعد الناس ليلة من الليالي إلى قبة من قباب معاوية ، فاجتمعوا فيها ، فقام أبو هريرة ، فحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح(٢) .

وعن محمد بن سيرين أن أبا هريرة كان يقوم كل خميس فيحدثهم(٣) .

وعن عاصم بن محمد عن أبيه قال : رأيت أبا هريرة يخرج يوم الجمعة ، فيقبض على رمانتي المنبر قائماً ، ويقول : حدثنا أبو القاسم صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق . فلا يزال يحدث حتى يسمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام فيجلس(٤) .

وقد عرف الصحابة والتابعون سعة علمه ، ومكانته من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكانوا لا يرونه في مكان إلا اجتمعوا حوله ينهلون من علمه ، ولم يقتصر ذلك على المدينة فحسب ، بل تعداه إلى الشام والعراق ، روى الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة قال : قال اسماعيل بن أبي خالد ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٤ ج ٢ ، وقد أخرجه البخاري في تاريخه والبيهقي في المدخل . انظر فتح الباري ص ٢٢٥ ج ١ .

(٢) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١١٤ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ ج ٢ ، والبداية والنهاية ص ١٠٦ ج ٨ .

(٣) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١١٣ : ب .

(٤) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٦ — ٤٤٧ ج ٢ .

عن قيس ، قال : نزل أبو هريرة بالكوفة ، — قال : فكان بينه وبين مولانا قرابة ، قال سفيان وهو مولى لأحمس — فاجتمعت أحمس ، قال قيس : فأتيناه نسلم عليه ، — وقال سفيان مرة : فأتاه الحى — فقال له أبى : يا أبا هريرة ، هؤلاء أنسباؤك أتوك يسلمون عليك ، وتحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مرحباً بهم وأهلا ، صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ، لم أكن أحرص على أن أعى الحديث منى فيهن ، حتى سمعته يقول : « والله لأن يأخذ أحدكم حبلا فيحتطب على ظهره ، فيأكل ويتصدق ، خير له من أن يأتى رجلا أغناه الله عز وجل من فضله ، فيسأله ، أعطاه أو منعه »(١) .

وكان أبو هريرة حريصاً جداً على تبليغ العلم ونشره ، وبيان السنة فى أية فرصة تسنح له ، من هذا ما رواه ابن ماجة بسنده عن أبى الشعثاء ، قال : كنا قعوداً فى المسجد مع أبى هريرة ، فأذن المؤذن ، فقام رجل من المسجد يمشى ، فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد . فقال أبو هريرة : أما هذا فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم(٢) .

وكان أبو هريرة دقيقاً ضابطاً لما يحفظ عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، يعزو ما يحدث به عن رسول الله ، إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، ويعزو قول غيره إلى قائله ، وإذا قال فى شىء برأيه قال : « هذه من كيسى »(٣) . وقد ثبت هذا بأدلة كثيرة ، وأخبار عدة منها ما رواه بكير بن الأشج قال : قال لنا بشر بن سعيد : اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة ، فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا عن كعب الأحبار ، ثم يقوم ، فأسمع بعض من كان معنا ، يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب ،

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ١٤٣ حديث ٧٩٧٣ جـ ١٥ ، وانظر ابن عساكر ص ٤٥٤ جـ ٤٧ .

(٢) سنن ابن ماجه ص ٢٤٢ حديث ٧٣٣ جـ ١ ، وأخرجه الإمام مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى فى كتاب الصلاة .

(٣) أعلام الموقعين ص ٦٤ جـ ١ .

وحديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث(١) .

وقد يؤكد أحياناً صحة ما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : (يشهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه)(٢) لأنه على يقين مما يقول ، فقد سمع بأذنه ، ووعى بقلبه وذكر بلسانه .

وقد يسأله بعض الحضور : أسمعت هذا من رسول الله ؟ فيقول : نعم . ويبين أن ذلك ليس رأيه ؛ من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو القارى ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : لا ورب هذا البيت ، ما أنا قلت : من أصبح جنباً فلا يصوم .. محمد ورب البيت قاله ، ما أنا نهيت عن صيام يوم الجمعة .. محمد نهى عنه ورب البيت(٣) .

وربما جلس إلى حجرة عائشة ، فيحدّث ثم يقول : ياصاحبة — وفي رواية يا أمه — أتنكرين مما أقول شيئاً ؟ قال ابن عباس : فلما قضت صلاتها ، لم تنكر ما رواه ، لكن قالت : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث سردكم(٤) . فلم تنكر عليه حفظه ، أو سماعه عن النبي عليه الصلاة والسلام إنما أنكرت سرده الحديث .

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يبين أهمية فهم ما يسمعه المرء ، ومكانة الفقه من الدين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين » . قال أبو هريرة : لأن أفقه ساعة أحب إلى

---

(١) البداية والنهاية : ٨/١٠٩ ونحوه في سير أعلام النبلاء : ٢/٤٣٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٣/٢٩١ رقم ٧٥٥٥ بإسناد صحيح وقد قال هذا بعد أن ذكر الحديث التالي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « منعت العراق قفيزها ودرهمها ، ومنعت الشام مدها ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم » . يشهد على ذلك . .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٣/١١٧ رقم ٧٣٨٢ إسناده صحيح ورواه البخاري .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٢/٤٣٧ . وقد اعتبر أعداء أبي هريرة قولها هذا تكذيباً لأبي هريرة ، وسنفنده في الباب الثاني إن شاء الله . انظر فقرة (أبو هريرة وعائشة) .

من أن أحيي ليلة أصليها حتى أصبح ، والفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شيء دعامة ، ودعامة الدين الفقه(١) .

وكان أبو هريرة يدعو الناس إلى طلب العلم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويضفي إلى ذلك شيئاً من مرحه فتقبله النفوس ، وتطمئن له القلوب ، من هذا ما روى عن أبي هريرة أنه مر ذات يوم بسوق المدينة — (وقد هاله انشغال الناس في الدنيا) — فوقف عليها فقال : يا أهل المدينة ما أعجزكم !! . قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال : ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم وأنتم ههنا ، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ؟ .

قالوا : وأين هو ؟ قال : في المسجد ، فخرجوا سراعاً ، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا ، فقال لهم : مالكم ؟ قالوا : يا أبا هريرة فقد أتينا المسجد فدخلنا فلم نر فيه شيئاً يقسم ، فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم في المسجد أحداً ؟ قالوا : بلى ، رأينا قوماً يصلون ، وقوماً يقرأون القرآن ، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام ، فقال لهم أبو هريرة : ويحكم ، فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم !! (٢) .

وكان أبو هريرة حين يعقد حلقات الحديث ، يسمح لبعض طلابه بالكتابة عنه ، ويمكننا أن نعتبر هذه الحلقات التي يكتب فيها طلاب أبي هريرة عنه — مجالس إملاء الحديث ، التي كثرت في العصور التالية ، وقد ثبت أنه أملى على التابعي الثقة بشير بن نهيك السدوسي البصري بعض حديثه ، وقرأ بشير ما كتبه عن أبي هريرة عليه قبل أن يفارقه(٣) .

ويحفظ لنا التاريخ وثيقة تاريخية علمية قيمة ، لما أملاه أبو هريرة على تلميذه همام بن منبه ، المولود سنة أربعين هجرية ، والمتوفى سنة

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع بتحقيق ف ١٣٦٤ . رواه الطبراني مرفوعاً وهو ضعيف . انظر مجمع الزوائد ص ١٢١ ج ١

(٢) مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج ١ ، رواه الطبراني في معجمه الأوسط ، وإسناده حسن .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ص ١٦٢ ، ج ٧ ، وكتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣ : ب ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٣٧ : ب ، والمحدث الفاصل ص ١٢٨ : أ .

إحدى وثلاثين ومائة ، فقد لقى همام بن منبه أحد أعلام التابعين الثقات الصحابى الجليل أبا هريرة رضى الله عنه ، وكتب عنه كثيراً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجمعه فى صحيفة أو صحف أطلق عليها اسم (الصحيفة الصحيحة)(١) . وربما سماها بالصحيحة على مثال (الصحيفة الصادقة) لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، وحق لهمام أن يسميها بالصحيحة ، لأنه كتبها عن صحابى خالط رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين ، وروى عنه الكثير .

وقد وصلتنا هذه الصحيفة كاملة ، كما رواها ودونها همام عن أبى هريرة رضى الله عنه ، فقد عثر على هذه الصحيفة الدكتور المحقق محمد حميد الله فى مخطوطتين متماثلتين فى دمشق وبرلين(٢) ، ووجدتُ لهذه الصحيفة نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية ، تحت رقم (١٩٨١حديث).

وتزداد ثقتنا بصحيفة همام حينما نعلم أن الإمام أحمد قد نقلها بتمامها فى مسنده ، كما نقل الإمام البخارى عدداً كثيراً من أحاديثها فى صحيحه فى أبواب شتى .

ولهذه الصحيفة أهمية تاريخية فى تدوين الحديث الشريف ، لأنها حجة قاطعة ودليل ساطع على أن الحديث النبوى كان قد دوّن فى عصر مبكر ، خلافاً للخطأ الشائع : أن الحديث لم يدوّن إلا فى أوائل القرن الهجرى الثانى ، ذلك لأن هماماً لقى أبا هريرة قبل وفاته ، وقد توفى أبو هريرة سنة ٥٩ للهجرة ، فمعنى ذلك أن هذه الوثيقة العلمية قد دوّنت قبل هذه السنة ، أى فى منتصف القرن الهجرى الأول ، وبهذا يكون لأبى هريرة فضل كبير فى تشجيع طلاب العلم على تدوين الحديث وحفظه ، وتضم صحيفة همام هذه (١٣٨) حديثاًوقد ذكر ابن حجر أن هماماً سمع من أبى هريرة نحو أربعين ومائة حديث بإسناد واحد(٣) ، وهذا يزيدنا ثقة بهذه الصحيفة ، لاتفاق عدد ما جاء فيها من الأحاديث وما ذكره العلماء . وقد رواها عن همام

---

(١) أنظر أقدم تدوين فى الحديث النبوى : صحيفة همام بن منبه ص ٢٠ .

(٢) انظر وصف الدكتور حميد الله المخطوطتين فى صحيفة همام ص ٢١ — ٢٣ .

(٣) انظر تهذيب التهذيب ص ٦٧ ج ١١ .

تلميذه معمر بن راشد ، ثم عبد الرزاق عن معمر ثم هلم جراً(١) .

* * *

كثرة حديثه وسعة علمه :

كان أبو هريرة من أوعية العلم ، ومن كبار أئمة الصحابة في الحديث ، مع الجلالة والعبادة ، والتواضع والورع ، ولم يكن أحد أكثر منه حديثاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عبد الله بن عمرو بن العاص ، كما قال أبو هريرة نفسه : (ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب)(٢) . إلا أن ظروف عبد الله بن عمرو وتنقله مع أبيه بين الحجاز ومصر والشام ، وعدم استقراره ، وانشغاله في العبادة عن التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل ما روى عنه أقل مما روى عن أبي هريرة بكثير(٣) .

وقد استكثر بعض الصحابة حديث أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين كانت سياسة الصحابة الإقلال من حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كيلا ينصرف الناس عن القرآن ، وخوفاً من الخطأ والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عن عمر أنه أمره بالإقلال من الرواية عن رسول الله ، إلا أنه عاد فسمح له حين عرف علمه ومكانته وورعه(٤) .

وكان أبو هريرة يبين أسباب كثرة حديثه فيقول :

إنكم لتقولون أكثر أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والله الموْعدُ ، ويقولون: ما للمهاجرين لا يحدِّثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأحاديث ، وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم

---

(١) انظر صحيفة همام بن منبه ص ٢٠ .

(٢) فتح البارى : ٢١٧/١ ومسند الإمام أحمد : ١١٩/١٣ رقم ٧٣٨٣ ورواه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو كثير : انظر رقم : ٦٥١٠ ، ٦٨٠٢ ، ٦٩٣٠ ، ٧٠١٨ .

(٣ و ٤) سأتعرض لهذا بالتفصيل في الباب الثاني من هذا الكتاب .

أرضوهم والقيام عليها ، وإنى كنت امرءاً مسكيناً (ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى)(١) وكنت أكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحضر إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا ، وإن النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا يوماً فقال : «من يبسط ثوبه حتى أفرغ فيه من حديثى ، ثم يقبضه إليه فلا ينسى شيئاً سمعه منى أبداً » فبسطت ثوبى — أو قال نمرتى — فحدثنى ثم قبضته إلىّ ، فوالله ما كنت نسيت شيئاً سمعته منه(٢) .

وكان يقول: وأيم الله .. لولا آية فى كتاب الله ما حدثتكم بشىء أبداً ، ثم يتلوا :

« إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »(٣) .

وكان يدعو الناس إلى نشر العلم ، وعدم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما يرويه عن النبى عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « من سئل عن علم فكتمه أُلجم بلجام من نار يوم القيامة »(٤) وعنه أيضاً : « ومن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »(٥) .

وكان أبو هريرة يقول : من كتم علماً ينتفع به أُلجم يوم القيامة بلجام من نار(٦) .

---

(١) ما بين القوسين من رواية الزهرى فى مسند الإمام أحمد : ١٢/٢٦٧ رقم ٧٢٧٣ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢/٥٦ و ٢/١١٨ وفتح البارى : ١/٢٢٤ ومسند الإمام أحمد ١٢/٢٧٠، وحلية الأولياء : ١/٣٧٨ ، وتاريخ الإسلام : ٢/٣٣٤ . والله الموعد : قال القاضى عياض فى المشارق : ٢/٢٩٠ أى عند الله المجتمع أو إليه ، أى الموعد موعد الله، أى هنالك تفتضح السرائر . على ملء بطنى: أى مقتنعاً بالقوت ، أى لم تكن له غيبة عنه . انظر هامش الصفحة : ٢٧٠ من الجزء ١٢ من مسند الإمام أحمد . وفى طبقات ابن سعد: ٢٤/٥٦ « فبسطه فعرف بيده ثم قال : ضمه . فضممته » .

(٣) فتح البارى : ١/٢٢٤ ومسند الإمام أحمد : ١٢/٢٧٠ رقم ٧٢٧٤ وفيه: لولا آيتان — والآية من سورة البقرة : ١٥٩ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٤/٥ رقم ٧٥٦١ بإسناد صحيح ، وطبقات ابن سعد : ٤/٥٦ .

(٥) فتح البارى : ١/٢١٢ من حديث طويل .

(٦) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢ / ٥٦ و ٥٧ .

هكذا كان يشعر أبو هريرة أن من واجبه أن يفقه الناس ، ويعلمهم ما سمعه من الصادق المصدوق ، ويرى هذا لزاماً عليه ، لذلك لم يتوان فى هذا المضمار ولم يقصر فيه ، بل كان فى طليعة المعلمين ، سعى لنشر العلم ، وأفتى الناس أكثر من عشرين سنة ، وكان طلاب العلم وأصحاب المسائل لا ينقطعون عنه ، لعلمه الجم ، وحفظه الجيد ، فقد كان من أعلم الصحابة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويظهر لنا ذلك فيما حدث له مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال أبو هريرة رضى الله عنه : أخذت الناس ريح بطريق مكة ، وعمر بن الخطاب حاج ، فاشتدت عليهم ، فقال عمر لمن حوله : من يحدثنا عن الريح؟ فلم يرجعوا إليه شيئاً ، فبلغنى الذى سأل عنه عمر من ذلك ، فاستحثثت راحلتى حتى أدركته ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أخبرت أنك سألت عن الريح ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الريح من روح الله ، تأتى بالرحمة ، وتأتى بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبُّوها ، وسلوا الله خيرها ، واستعيذوا به من شرها »(١) .

ومن هذا ما رواه الوليد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة حدّث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى على جنازة فله قيراط ، ومن صلى عليها وتبعها فله قيراطان » فقال عبد الله بن عمر : انظر ما تحدّث ، فإنك تكثر من الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخذه بيده ، فذهب به إلى عائشة فسألها عن ذلك ، فقالت : صدق أبو هريرة !! . ثم قال : يا أبا عبد الرحمن ، إنه والله ما كان يشغلنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفق فى الأسواق ، إنما كان يهمنى كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنيها ، أو لقمة يطعمنيها(٢) . وفى رواية : إنه لم يكن يشغلنى

---

(١) مسند الإمام أحمد : ١٤/٥٢ رقم ٧٦١٩ بإسناد صحيح ونحوه فى الأدب المفرد : ٣١٢ ، وأخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه ، وهذا الحديث دليل قاطع على قناعة عمر رضى الله عنه بحفظ أبى هريرة بالرغم من كثرة حديثه . وسأتعرض لهذا فى الباب الثانى من البحث .

(٢) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢/٥٧ وروى نحوه بإسناد صحيح الإمام أحمد فى مسنده : ١٢/١٧٥ رقم ٧١٨٨ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس بالوادى وصفق بالأسواق(١) . فقال ابن عمر : أنت أعلمنا يا أبا هريرة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظنا لحديثه(٢) .

وقد شهد له إخوانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة سماعه وأخذه عن رسول الله . وهذه الشهادات تدفع كل ريب أو ظن حول كثرة حديثه ، حتى إن بعض الصحابة رووا عنه لأنه سمع من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ولم يسمعوا . من هذا أن رجلا جاء إلى طلحة(٣) ابن عبيد الله ، فقال : يا أبا محمد ، أرأيت هذا اليمانى — يعنى أبا هريرة — أهو أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم ؟ نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم ، أم هو يقول عن رسول الله ما لم يقل ؟ .

قال : أما أن يكون سمع ما لم نسمع ، فلا أشك : سأحدثك عن ذلك : إنا كنا أهل بيوتات وغنم وعمل ، كنا نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار ، وكان مسكيناً ضيفاً على باب رسول الله يده مع يده ، فلا نشك أنه سمع ما لم نسمع ، ولا تجد أحداً فيه خير يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل(٤) . وقال فى رواية : « قد سمعنا كما سمع ، ولكنه حفظ ونسينا »(٥) .

وروى أشعث بن سليم عن أبيه قال : سمعت أبا أيوب (الأنصارى) يحدّث عن أبى هريرة فقيل له : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحدّث عن أبى هريرة ؟ فقال : إن أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع ، وإنى أن أحدّث عنه أحب إلىّ من أن أحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى ما لم أسمعه منه —(٦) .

---

(١) البداية والنهاية : ٨/١٠٧ ، وطبقات ابن سعد : ٢ : ٢/١١٨ .

(٢) المراجع السابقة : وروى نحو قول ابن عمر هذا الترمذى ونصه « كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفنا بحديثه » وقال الترمذى حسن . راجع فتح البارى : ١/٢٢٥ .

(٣) فى سير أعلام النبلاء « طليحة » والصواب طلحة كما فى فتح البارى ١/٢٢٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٢/٤٣٦ والبداية والنهاية : ٨/١٠٩ .

(٥) فتح البارى ص ٧٧ جـ ٨ .

(٦) البداية والنهاية : ٨/١٠٩ وسير أعلام النبلاء : ٢/٤٣٦ .

ثم إن جرأة أبي هريرة في سؤال الرسول عليه الصلاة والسلام ، أتاحت له أن يعرف كثيراً مما لم يعرفه أصحابه ، فكان لا يتأخر عن أن يسأله عن كل ما يعرض له ، حيث كان غيره لا يفعل ذلك . قال أبي ابن كعب : كان أبو هريرة جريئاً على النبي صلى الله عليه وسلم ، يسأله عن أشياء لا نسأله عنها(١) . كما كان يسأل الصحابة الذين سبقوه إلى الإسلام .

فكان لا يتأخر عن طلب العلم ، بل كان يسعى إليه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعد وفاته ، وهو الذي يروي عنه عليه الصلاة والسلام : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »(٢) . وقد رأينا أبا هريرة يحب الخير ويعمل من أجله ، فما أظنه يتأخر عن خير من هذا النوع ، وهو الذي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكلمة يعلمه إياها ، ولحكمة يعظه بها .

ونراه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجالس أصحابه يسألهم ويسألونه ، حتى إنه كان يأتي إلى كل من يظن عنده بعض العلم ؛ فقد جاء إلى كعب يسأل عنه ، وكعب في القوم ، فقال كعب : ما تريد منه ؟ فقال : أما إني لا أعرف أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني . فقال كعب : أما إنك لم تجد طالب شيء إلا سيشبع منه يوماً من الدهر إلا طالب علم أو طالب دنيا . فقال : أنت كعب ؟ فقال : نعم . فقال : لمثل هذا جئتك(٣) .

ولقي أبو هريرة كعب الأحبار فجعل يحدثه ويسأله ، فقال كعب : ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة(٤) .

وكان أبو هريرة واسع العلم كثير الحديث ، يحدث إخوانه وطلابه ،

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٢ / ٤٥١ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٢ / ١٨٠ رقم ٧١٩٣ ورواه الشيخان .

(٣) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢ / ٥٧ وسنن الدارمي : ١ / ٨٦ . وكعب تابعي عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يلقه توفي سنة ٣٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٢ / ٤٣٢ .

وقد يقول لهم : رب كيس عند أبي هريرة لم يفتحه ، يعني من العلم(١) .

وقال أبو هريرة : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم(٢) .

وكان يقول : (لو أنبأتكم بكل ما أعلم لرماني الناس بالخرق ، وقالوا : أبو هريرة مجنون)(٣) . وفي رواية : (لو حدثتكم بكل ما في جوفي لرميتموني بالبعر) . قال الحسن — راوي الحديث عن أبي هريرة — : صدق والله .. لو أخبرنا أن بيت الله يهدم أو يحرق ما صدقه الناس(٤) .

وفي رواية قال : (يقولون أكثرت يا أبا هريرة ، والذي نفسي بيده أن لو حدثتكم بكل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لرميتموني بالقشع — يعني بالمزابل — ثم ما نظرتموني)(٥) .

وأبو هريرة في هذا لا يكتم علماً ينتفع به ، ويشهد على ذلك قوله السابق : (من كتم علماً ينتفع به ألجم يوم القيامة بلجام من نار) ، وهو الذي قال : (لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بشيء)(٦) .

مما سبق يتبين لنا أن أبا هريرة قد بث بين الناس وعاء مما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبث الوعاء الآخر خوفاً من أن يكذّبه الناس ، أو يرموه بالقشع ، أويتهموه بالجنون .. وإن المرء ليتساءل عن ذلك الوعاء الذي يحفظه أبو هريرة ، ولا يحدّث منه ، فما هو ذلك العلم الذي لم يبثه أبو هريرة ؟ وترى هل خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الأمة بذلك ؟ نفهم من حديث أبي هريرة أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حمله نوعين من العلم ، كل نوع لو كتبه إنسان لكان جراباً كبيراً ،

---

(١) المرجع السابق : ٢/٤٣٠ رواه محمد بن راشد عن مكحول .

(٢) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢/٥٧ و ٢ : ٢/١١٨ وفتح الباري : ١/٢٢٧ وحلية الأولياء : ١/٣٨١ والبداية والنهاية : ٨/١٠٥ وتذكرة الحفاظ : ١/٣٤ وسير أعلام النبلاء : ٢/٤٣٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ ، و ص ١١٩ قسم ٢ ج ٢ ، والتخرق لغة في التخلق من الكذب .

(٤ و ٥) طبقات ابن سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ ، و ص ١١٩ قسم ٢ ج ٢ .

(٦) فتح الباري ص ٢٢٤ ج ١ ، وانظر مسند الإمام أحمد ص ٢٧٠ ج ١٢ .

أحدهما بثه والثانى لم يبثه ، أما أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختص أبا هريرة بشىء من الأحكام ، فغير معقول ، لأنه ينافى تبليغ الرسالة ، وأمر الله عز وجل فى قوله :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين »(١) .

وهل ما اختصه به من الآداب ؟ فبعيد جداً لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، ومنعه ذلك عن الأمة ينافى تبليغ الرسالة أيضاً ، فليس من المتصور أن يلقن الرسول الكريم ، بعض ما يتعلق بالأخلاق والآداب أبا هريرة ، ويترك الأمة من غير أن يفيدها بشىء من هذا ، من هنا يتأكد لنا أن الوعاء الثانى الذى لم يبثه أبو هريرة لم يكن فيه ما يتعلق بالأحكام ولا بالآداب والأخلاق ويرجح أن يكون بعض ما يتعلق بأشراط الساعة ، أو بعض ما يقع للأمة من فتن ، وما يليها من أمراء السوء ، ويقوى هذا عندى أن أبا هريرة ، كان يكنى عن بعض ذلك ، ولا يصرح به خوفاً على نفسه ممن يسيئه ما يقوله كقوله : (أعوذ بالله من رأس الستين ، وإمارة الصبيان »(٢) ، وقوله (ويل للعرب من شر اقترب)(٣) . كما كان يدعو (اللهم لا تدركنى سنة ستين)(٤) .

ولابد من أن ننبه إلى أنه ليس فى حديث أبى هريرة هذا ، أى دليل على أن للدين ظاهراً وباطناً ، ولا يجوز لأحد أن يتخذه ذريعة لذلك ، حتى ينتهى إلى التحلل من الدين ومخالفة أوامره .

وقد حرص أبو هريرة على أن يحدث الناس بما يعرفون ، حتى لا يكذب الله ورسوله ، إذا أخبر القوم بما لا تتصوره عقولهم(٥) ، وقد

---

(١) المائدة : ٦٧ .

(٢ و ٣) انظر فتح البارى ص ٢٢٧ جـ ١ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٠ جـ ٢ ، وانظر البداية والنهاية ص ١١٢ جـ ٨ وفيه « ويل للعرب من شر قد اقترب ، ويل لهم من إمارة الصبيان يحكمون فيها بالهوى ، ويقتلون بالغضب » .

(٤) انظر ترتيب الثقات لابن حبان ص ١٧١ : ب ، جـ ٣ .

(٥) من ذلك ما استشهد به ابن تيمية عن تنبؤ الرسول صلى الله عليه وسلم عن بعض أمور تقع فى المستقبل ، وذكر منها فى الصحيحين « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين =

روى البخاري عن عليّ رضي الله عنه قوله : (حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله)(١) .

أجل لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً من أبي هريرة ، ولكنه كان حذراً ، لا يحدِّث إلا بما ينتفع به الناس ، ويخشى أن يتقوَّل عليه ما لم يقل ، أو أن يضع السامعون ما يحدِّث به في غير مواضعه ، لذلك أبى أن يملي على مروان بن الحكم حديثه كله ، عندما طلب منه مروان — في ولايته على المدينة — أن يكتب حديثه . وقال له أبو هريرة : ارو كما روينا ، فلما أبى عليه تحيَّن له مروان فرصة مناسبة ، وأقعد له كاتباً ثقفاً ، ودعاه ، فجعل أبو هريرة يحدثه ، ويكتب ذاك الكاتب ، حتى استفرغ حديثه ، ثم قال مروان : (تعلم أنا قد كتبنا حديثك أجمع ؟ قال : وقد فعلت !! ؟ قال : نعم . قال : فاقرأوه عليَّ ، فقرأوه ، فقال أبو هريرة : أما إنكم قد حفظتم وإن تطعني تمحه — قال الراوي — فمحـــاه)(٢) .

❋ ❋ ❋

حفظ أبي هـــريرة :

رأيت أن أفرد هذه الفقرة ، تحت عنوان « حفظ أبي هريرة » لنعرف ضبطه لما يرويه ، ومقدار تثبته في حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسوخ قدمه ، وجلال قدره ، وكان من الممكن إدراج هذا

= ذلف الأنوف ، حمر الخدود ، ينتعلون الشعر ، كأن وجوههم المجان المطرقة — وهو من حديث أبي هريرة في الجهاد ، وباب قتال الترك — ويقول ناشر كتاب ابن تيمية « الرد على المنطقيين » وقد شاهد المصنف رحمه الله من وقائعهم ، وشارك في الجهاد معهم ، وكتب عنهم كثيراً ، انظر هامش الصفحة ٤٤٦ من كتاب الرد على المنطقيين ، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة : «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء بها أعناق الإبل ببصرى » وقد خرجت هذه النار قبل مجيء أكثر الكفار إلى بغداد سنة خمس وخمسين وستمائة وتواتر خبرها ، وللاستزادة راجع فتح الباري ، وتاريخ ابن كثير ، وشذرات الذهب في السنة المذكورة ، والرد على المنطقيين ص ٤٤٥ — ٤٤٦ .

(١) فتح الباري ص ٢٣٥ ج ١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٣١ ج ٢ ، رواه عوف الأعرابي عن سعيد بن أبي الحسن .

فيما سبق مما ذكرته فى كثرة حديثه وسعة علمه ، إلا أن كثرة الحديث وسعة العلم قد لا تدلان على قوة الحفظ والإتقان ، فقد يكون الراوى كثير الحديث غير ضابط لما يروى ، فإذا اجتمع العلم الكثير ، والحفظ المتقن ، كان ذلك غاية ما يتمنى أولو العلم .

ونحن الآن بين يدى حفظ أبى هريرة راوية الإسلام ، ومحدّث الأمة فى القرن الأول ، الذى حفظ على الأمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال عبد الله بن عمر .

لقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحفظ ، وبسط له رداء كان على ظهره ، وحدّثه ، ثم أمره أن يضمه إليه ، فلم ينس بعد ذلك مما حدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، وكان أبو هريرة ، يدعو الله أن يهبه علماً لا ينسى ، فأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد عرفنا حرصه على الحديث النبوى ، وحبه العظيم للرسول الكريم ، الذى وجد عنده الخير كله ، فانكب على طلب العلم ، من بيت العلم ومنزل الوحى ، ومعين المعرفة ، وتعلق بهذا طيلة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعد وفاته ، فكان يحاول أن يعى كل ما يحدّث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك يقول أبو هريرة : (صحبت النبى ثلاث سنين ، ما كنت سنوات قط أعقل منى ، ولا أحب إلىّ أن أعى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن)(١) .

فقد اجتمع لأبى هريرة عاملان عظيمان هما حبه للرسول الكريم وتعلقه به ، واندفاعه وراءه فى سبيل كلمة يعلّمه إياها ، أو حكمة ينتفع بها ، ونحن نعلم ما لهذا العامل النفسى من أثر بعيد فى تثبيت تلك الأحاديث فى نفس طالبها ، والعامل الآخر هو دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالحفظ ، وتشجيعه إياه على ذلك ، ونحن نعلم ما لأثر المربى والمعلم فى توجيه طلابه وتفوقهم ونجاحهم ، فكيف يكون توجيه معلم الإنسانية وتشجيعه ، وخاصة من حيث إنه رسول رب العالمين ! ! ؟ فقد تعاضد

---

(١) طبقات ابن سعد ص ٥٤ قسم ٢ ج ٤ ، رواه قيس بن أبى حازم عن أبى هريرة .

هذان العاملان ليجعلا من أبي هريرة راوية الإسلام حافظ السنة ، وإني أومن بالأثر العظيم الذي تركه دعاؤه صلى الله عليه وسلم في نفس أبي هريرة إيماناً لا يعتريه الشك ، كما أومن بإقبال أبي هريرة على طلب الحديث بنفس صافية وعزيمة قوية ، وهمة عالية ؛ أومن بذلك إيمان اليقين ، وإن سيرته وحياته تؤكدان ذلك .

وما كان أبو هريرة ليكتفي بما يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في نهاره أو ليله ، بل كان يراجع حديثه عليه الصلاة والسلام ، ويكرره في المسجد ، وفي الطريق ، وفي بيته ؛ ليلا ونهاراً ، لأنه يرى في ذلك نوعاً من أنواع العبادة ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : (جزأت الليل ثلاثة أجزاء : ثلثاً أصلي ، وثلثاً أنام ، وثلثاً أذكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم)(١) .

وهذا عامل ثالث من عوامل تثبيت الحديث في صدر أبي هريرة وحفظه ، وذاك غاية ما يفعله المتعطشون للعلم المحبون له ، الساعون وراءه ، فكيف بأبي هريرة الذي عرفنا عزيمته وإقدامه على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ! ؟ .

ويذكر لنا أبو الزعيزعة ، كاتب مروان ، ما يثبت اتقانه وحفظه ، فيقول : دعا مروان أبا هريرة ، فجعل يسأله ، وأجلسني خلف السرير ، وجعلت أكتب عنه ؛ حتى إذا كان رأس الحول ، دعا به ، فأقعده من وراء الحجاب ، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدّم ولا أخّر(٢) ! ! .

ومن هذا أيضاً أنه لقي رجلا ، فقال له : بأي سورة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة في العتمة ؟ . فقال : لا أدري . قال : لم تشهدها ؟

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٨٠ : ب — ١٨١ : أ ، وانظر سنن الدارمي ص ٨٢ ج ١ .

(٢) البداية والنهاية ص ١٠٦ ج ٨ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣١ ج ٢ ، وقد جمعت بين الروايتين .

قال له : بلى . فقال أبو هريرة : إنى أدرى ، قرأ بسورة كذا وكذا(١) .

وقد شهد له بذلك الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم(٢) .

* * *

حضه على صيانة الحديث من الكذب :

أجل لقد كان أبو هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحرص على نشره ، ومع هذا فإنه كان حريصاً حرصاً شديداً على ألا يدخل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس منه ، وألا يكذب أحد على الرسول الكريم ، لهذا كان كثيراً ما يحذر الناس من ذلك ، وينذرهم بعذاب الله تعالى ، ويذكرهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيمر فى السوق ويقول : (يا أيها الناس .. من كان يعرفنى ، فأنا الذى عرفتم ، ومن لم يعرفنى فأنا أبو هريرة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »)(٣) .

* * *

أبو هريرة والقرآن الكريم :

مما لا شك فيه أن أبا هريرة سمع القرآن الكريم من الرسول صلى الله عليه وسلم كما سمع منه الحديث ، وكان يتلو منه فى أكثر أوقاته ، وبخاصة فى صلواته ليلا ، التى كان يحيى بها ثلث ليله(٤) .

وعرض أبو هريرة القرآن الكريم على الصحابى الجليل أبى بن كعب سيد القراء ، وأخذ عنه : الأعرج ، وأبو جعفر وطائفة(٥) .

وكان أبو هريرة رضى الله عنه شيخ شيوخ نافع صاحب القراءة المشهورة . قال ابن حزم رحمه الله : (ولأهل المدينة القراءة المعروفة بنافع بن أبى نُعيم ، مات سنة تسع وستين ومائة ، قرأ على يزيد بن القعقاع ،

---

(١) ابن عساكر ص ٤٨٩ جـ ٤٧ .

(٢) سأذكر هذا قريباً تحت عنوان « الثناء على أبى هريرة » .

(٣) ابن عساكر ص ٣٨٨ جـ ٤٧ .

(٤) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع .

(٥) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٤٩ و ٤٥٠ جـ ٢

وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ومسلم بن جندب الهذلى ، ويزيد ابن رومان ، وشيبة بن نصاح . هؤلاء عن أبى هريرة ، وابن عباس وعبد الله بن عباس بن أبى ربيعة المخزومى . هؤلاء كلهم عن أبى بن كعب) (١)

قال سليمان بن مسلم بن جماز : سمعت أبا جعفر يحكى لنا قراءة أبى هريرة فى « إذا الشمس كورت »(٢) يحزنها شبه الرثاء(٣) .

قال الذهبى رحمه الله : (ذكرته فى طبقات القراء ... وذكرته فى تذكرة الحفاظ ، فهو رأسٌ فى القرآن ، وفى السنة وفى الفقه)(٤) .

* * *

أبو هـــــريرة والفتوى :

لم يكن أبو هريرة راوية للحديث فقط ، بل كان من رؤوس العلم فى زمانه ، فى القرآن والسنة والاجتهاد ، فإن صحبته وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاحت له أن يتفقه فى الدين ، ويشاهد السنة العملية ، عظيمها ودقيقها ، ويحفظ عن الرسول الكريم الكثير الطيب ، فتكوّنت عنده حصيلة كثيرة ، من الحديث الشريف ، وقد اطلع على حلول أكثر المسائل الشرعية ، التى كانت تعرض للمسلمين فى عهده عليه الصلاة والسلام ، كل ذلك هيأ أبا هريرة ، لأن يفتى المسلمين فى دينهم نيفاً وعشرين سنة ، والصحابة كثيرون آنذاك . ويذكر لنا زياد بن مينا ، أنه كان ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد ، وأبو هريرة ، وجابر ، مع أشباه لهم يفتون بالمدينة ، ويحدّثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن توفى عثمان إلى أن توفوا . قال : هؤلاء الخمسة إليهم صارت الفتوى(٥) .

---

(١) جوامع السيرة ص ٢٦٩ . (٢) أى سورة التكوير : الآية ١ .
(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٥١ ج ٢ . (٤) المرجع السابق ص ٤٤٩ ج ٢ .
(٥) تاريخ الإسلام ص ٣٣٧ ج ٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤٣٧ ج ٢ .

وقد ولى أبو هريرة البحرين لعمر ، وأفتى فيها فى مسألة المطلّقة طلقة ، ثم يتزوج بها آخر ، ثم بعد الدخول فارقها ، فتزوجها الأول . هل تبقى عنده على طلقتين — كما هو قول عمر وغيره من الصحابة ، ومالك والشافعى ، وأحمد فى المشهور عنه — أو تلغى تلك التطليقة ، وتكون عنده على الثلاث ، كما هو قول ابن عباس ، وابن عمر وأبى حنيفة ، ورواية عن عمر ، بناء على أن إصابة الزوج تهدم ما دون الثلاث ، كما هدمت إصابته لها الثلاث .

فالأول مبنى على أن إصابة الزوج الثانى ، إنما هى غاية التحريم الثابت بالطلاق . فهو الذى يرتفع ، والمطلقة دون الثلاث لم تحرم ، فلا ترفع الإصابة منها شيئاً .

وبهذا أفتى أبو هريرة ، فقال له عمر : لو أفتيت بغيره لأوجعتك ضرباً (١) .

وقد سأله قوم محرمون عن محلّين أهدوا لهم صيداً ، فأمرهم بأكله ، ثم لقى عمر بن الخطاب فأخبره بذلك ، فقال له : لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعتك (٢) .

وقد أفتى أبو هريرة فى مسائل دقيقة ، مع مثل ابن عباس (٣) ، وعمل الصحابة ومن بعدهم — رضى الله عنهم — بحديث أبى هريرة ، فى مسائل كثيرة ، تخالف القياس ، كما عملوا كلهم بحديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا تنكح المرأة على عمتها ، ولا خالتها » ، كما عمل أبو حنيفة والشافعى وغيرهما بحديثه ، أن « من أكل ناسياً فليتم صومه » ، وهو مخالف للقياس ، كما عمل الإمام مالك بحديثه : « إذا ولغ الكلب فى الإناء » فى غسل الإناء سبعاً ، مع أن القياس عنده : أنه لا يغسل لطهارته عنده (٤) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٥ جـ ٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٦ جـ ٢ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ ، ٤٤٥ جـ ٢ .

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٤٥ جـ ٢ .

وهكذا تصدر أبو هريرة فى المدينة للفتوى والاجتهاد يسأله الناس فيجيبهم ، ويستفتونه فيفتيهم ، ويستشهدونه على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشهد لهم . من هذا ما رواه البخارى بسنده عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصارى يستشهد أبا هريرة ، فيقول : يا أبا هريرة .. نشدتك بالله ، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ياحسان أجب عن رسول الله ، اللهم أيده بروح القدس » ؟ قال أبو هريرة : نعم (١) .

ويسأله مروان بن الحكم عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجنائز فيجيبه (٢) .

وعرف الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم منزلته ومكانته ، فكانوا يحتجون بعمله واجتهاده ، من هذا ما رواه الإمام مالك عن نافع ، مولى عبد الله بن عمر أنه قال : شهدت الأضحى والفطر مع أبى هريرة . فكبَّر فى الركعة الأولى سبع تكبيرات قبل القراءة . وفى الآخرة خمس تكبيرات قبل القراءة (٣) .

ومن هذا أيضاً ما رواه الإمام مالك عن يحيى بن سعيد ، أنه قال : سمعت سعيد بن المسيِّب يقول : صليت وراء أبى هريرة على صبى لم يعمل خطيئة قط ، فسمعته يقول : اللهم أعذه من عذاب القبر (٤) .

وأختم هذا بما قاله الإمام مالك : إنه بلغه أن عثمان بن عفان ، وعبد الله ابن عمر ، وأبا هريرة كانوا يصلون على الجنائز بالمدينة . الرجال والنساء ، فيجعلون الرجال مما يلى الإمام ، والنساء مما يلى القبلة (٥) .

من هذا يتبين لنا أن أبا هريرة كان أحد أعلام الصحابة رضوان الله عليهم

---

(١) صحيح البخارى بحاشية السندى ص ٧٤ ج ٤ ، وانظر مسند الإمام أحمد ص ٦٣ ج ١٤ .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ص ٢١٤ حديث ٧٤٧١ ج ١٣ .

(٣) موطأ الإمام مالك ص ١٨٠ حديث ٩ ج ٢ ، وأخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة ، باب التكبير فى العيدين .

(٤) موطأ الإمام مالك ص ٢٢٨ حديث ١٨ ج ١ .

(٥) موطأ الإمام مالك ص ٢٣٠ حديث ٢٤ ج ١ .

عليهم جميعاً ، في الفتوى والاجتهاد ، وأنه لا يقل في ذلك عن عبد الله ابن عمر ، وعثمان بن عفان وغيرهما من كبار الصحابة ، وأنه كثيراً ما كانت تتلاقى فتاواه بفتاوى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

ولسعة علمه ، واتقانه وحفظه ، وفضله ومكانته ، وورعه وتقواه كثر الناس عليه ، في عصره ينهلون من علمه ، ويحملون به ، وبقي علماً لمن بعده يقتدي به ويهتدي بسيرته . .

وكان أبو هريرة في فتواه يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحرص على تتبع حديثه عليه الصلاة والسلام وأحكامه وفتاواه ، من هذا ما رواه أبو داود بسنده عن هلال بن أسامة أن أبا ميمونة سلمى مولىً من أهل المدينة رجل صدق ، قال : بينما أنا جالس مع أبي هريرة جاءته امرأة فارسية معها ابن لها فادعياه ، وقد طلقها زوجها ، فقالت : يا أبا هريرة ، ورطنت له بالفارسية ، زوجي يريد أن يذهب بابني ، فقال أبو هريرة : استهما عليه ، ورطن لها بذلك ، فجاء زوجها فقال : من يحاقني في ولدي؟ فقال أبو هريرة : اللهم إني لا أقول هذا ، إلا أني سمعت امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا قاعد عنده ، فقالت : يا رسول الله إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عنبة ، وقد نفعني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استهما عليه » ، فقال زوجها : من يحاقني في ولدي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هذا أبوك ، وهذه أمك ، فخذ بيد أيهما شئت » فأخذ بيد أمه ، فانطلقت به (١) .

---

(١) قوله من يحاقني : الحقاق والاحتقاق : الخصام والاختصام أي من يخاصمني في ولدي . رواه أبو داود في سننه ص ٥٣٠ ج ١ ، وروى نحوه أهل السنن وابن أبي شيبة وصححه الترمذي وابن حبان وابن القطان ، وفي هذا الباب أخبار أخرى نحوه ، وفي هذا دليل على أنه إذا تنازع الأبوان في ابن لهما كان الواجب هو تخيير الولد ، فن اختاره ذهب به . وقد أخرج البيهقي عن عمر أنه خير غلاماً بين أبيه وأمه ، وأخرج أيضاً عن علي أنه خير عمارة الجذامي بين أمه وعمه ، وكان ابن سبع أو ثمان سنين .

وقد ذهب الشافعي وأصحابه وإسحاق بن راهويه إلى أن يبقى الولد مع الأم إلى سبع سنين ثم يخير ، وقيل إلى خمس ، وذهب الإمام أحمد إلى أن الصغير إلى دون سبع سنين أمه أولى به ، وعند بلوغه السابعة ، ففي الذكر ثلاثة أقوال : وهو أن يخير وهذا هو المشهور عن أصحاب الإمام =

ومن ذلك أيضاً ما رواه الإمام مالك ، أنه بلغه عن المقبرى ، أنه قال : سئل أبو هريرة عن الرجل تكون عليه رقبة ، هل يعتق فيها ابن الزنا ، فقال أبو هريرة : نعم ذلك يجزى عنه (١) .

وسبق أن ذكرنا بعض نماذج من فتاواه ، عندما تكلمنا عن تمسكه بالسنة ، وعن مجالسه .

وإن المقام يضيق بنا عن حصر فتاواه رضى الله عنه ، ولن نفرّط فى القول فندعى أنه كان من المكثرين فى الفتيا ، بل كان من المتوسطين فى ذلك ، كما ذكره الإمام أبو محمد بن حزم ، قال : (والمتوسطون منهم فيما روى عنهم من الفتيا : أبو بكر الصديق ، وأم سلمة ، وأنس بن مالك ، وأبو سعيد الخدرى ، وأبو هريرة ، وعثمان بن عفان . . فهؤلاء ثلاثة عشر يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير جداً) (٢) .

وقد جمع شيخ الإسلام تقى الدين السبكى جزءاً سماه (فتاوى أبى هريرة) (٣) .

* * *

أبو هـــريرة والقضاء :

لم ينقل إلينا أن أحداً من الخلفاء أو الأمراء ولى أبا هريرة قضاء المدينة

= أحمد . وإن لم يختر أقرع بينهما . والثانية أن الأب أحق به ، والثالثة أن الأب أحق بالذكر ، والأم بالأنثى إلى تسع سنين ثم يكون الأب أحق بها .

وحكى عن الحنفية والهادوية ومالك أنه لا يخير ، بل متى استغنى بنفسه ، فالأب أولى بالذكر والأم بالأنثى ، وعن مالك: الأنثى للأم حتى تزوج وتدخل ، الأب له الذكر حتى يستغنى . وحاول النافون للتخيير الاستدلال بحديث: « أنت أحق بها ما لم تنكحى » وأجيب عنه بكونها أحق به فيما قبل سن التمييز وذلك بقرينة أحاديث الباب . وقال الشوكانى : واعلم أنه ينبغى قبل التخيير والاستهام ملاحظة ما فيه مصلحة الصبى ، فإذا كان أحد الأبوين أصلح للصبى من الآخر قدم عليه من غير قرعة ولا تخيير هكذا قال ابن القيم . . انظر نيل الأوطار ص ٣٥٠ — ٣٥١ جـ ٦ . وواضح أن التخيير لا يكون إلا بعد تمييز الصبى ، وعندما يستوى الأبوان فى الصلاح والرعاية وحسن التوجيه ، وإذا ثبت للقاضى سوء تصرف أو توجيه أحدهما توجيهاً شاذاً قضى به لمن يحسن رعايته وتأديبه .

(١) موطأ الإمام مالك ص ٧٧٧ جـ ٢ .

(٢) أعلام الموقعين ص ١٢ جـ ١ ، والإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ص ٦٦٦ .

(٣) الأعلام ص ٨١ جـ ٤ حيث ذكر السبكى ومؤلفاته .

أو غيرها ، ولكن لابد أنه نظر فى بعض القضايا حينما ولى البحرين لعمر
أمير رضى الله عنه ، والمدينة لمعاوية ومروان ، وليس بعيداً أن يرجع
إليه بعض المتخاصمين فى قضية لم يقتنعا فيها بحكم القاضى ، فيعيد النظر
فيها ، ذلك لأنه لم يكن منصب قاضى المظالم قد أفرد لقاضى المظالم بعد ،
بل كان ينظر فى المظالم الخليفة أو الأمير ، ثم ما لبثت محكمة المظالم أن تبلورت
فى عهد عبد الملك بن مروان (١) .

ولا شك فى أنه إذا جاء إلى أبى هريرة متظلم أنصفه ، لأنه كان مسئولا
عن أمور رعيته أثناء إمارته .

ومع أنه لم ينقل إلينا أنه ولى القضاء لأحد، فإن البلاذرى يذكر أنه ولى
قضاء البحرين (٢) ، كما أننا نرى فى بعض الأخبار أنه فصل فى بعض القضايا ،
من هذا ما أخرجه أبو داود بسنده عن عمر بن خلدة قال : أتينا أبا هريرة فى
صاحب لنا أفلس ، فقال : لأقضين فيكم بقضاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « من أفلس أو مات فوجد رجل متاعه بعينه فهو أحق به » (٣) .

***

٧- شيوخه ومن روى عنه :

روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير الطيب ،
وروى عن بعض الصحابة منهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ،
والفضل بن عباس بن عبد المطلب ، وأُبىّ بن كعب ، وأُسامة بن زيد ،
وعائشة أم المؤمنين ، وبصرة بن أبى بصرة .

---

(١) انظر تاريخ الإسلام ص ٤٩١ ج ١

(٢) انظر فتوح البلدان ص ٩٣ ، والإصابة ترجمة قدامة بن مظعون ، والأنوار الكاشفة ص ٢٢٥ .

(٣) سنن أبى داود ص ٢٥٧ ج ٢ كتاب البيوع ، باب فى الرجل يفلس فيجد الرجل متاعه بعينه عنده وانظر مسند الإمام أحمد ص ١٠٣ حديث ٧٣٦٦ ج ١٢ . والراجح عندى أن ما ذكرته كان فى قضية مرفوعة إلى أبى هريرة والنص ظاهر فى هذا ، ويؤكد ما ذهبت إليه أن أبا داود نفسه روى بسند آخر هذا الحديث عن أبى هريرة من غير أن يذكر القضاء فيه ، وروى نحوه من طريق ثالث عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه أيضاً قول أبى هريرة : « لأقضين فيكم بقضاء رسول الله » .

الصحابة الذين رووا عنه :

منهم ابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، وواثلة بن الأسقع ، وجابر بن عبد الله الأنصارى (١) ، وأبو أيوب الأنصارى (٢) .

التابعون الذين رووا عنه :

لقد روى عن أبى هريرة خلق كثير فيهم أئمة التابعين ، وأعلامهم فى الحديث والفقه ، منهم إبراهيم بن إسماعيل ، وإبراهيم بن عبد الله بن حنين ، وإبراهيم بن عبد الله بن قارظ الزهرى — ويقال : عبد الله بن إبراهيم — وإسحاق مولى زائدة ، وأسود بن هلال ، وأغر بن سليك ، والأغر أبو مسلم ، وأنس بن حكيم ، وأوس بن خالد ، وبسر بن سعيد ، وبشير ابن نهيك ، وبشير بن كعب ، وبعجة بن عبدالله الجهنى ، وبكير بن فيروز ، وثابت بن عباس ، وثابت بن قيس الزرقى ، وثور بن غفير ، وجبر بن عبيدة ، وجعفر بن عياض ، وجمهان (٣) الأسلمى ، والجلاس ، والحارث .

والحارث بن مخلد ، وحريث بن قبيصة ، والحسن البصرى ، وحصين ابن اللجلاج — ويقال : خالد . ويقال : قعقاع — وحصين بن مصعب ، وحفص بن عامر بن عمر ، وحفص بن عبد الله بن أنس ، والحكم بن مينا ، وحكيم بن سعد ، وحميد بن عبد الرحمن الزهرى ، وحميد بن عبد الرحمن ، وحميد بن مالك ، وحنظلة بن على ، وحيان بن بسطام والد سليم .

وخالد بن عبد الله ، وخالد بن غلاق ، وخباب صاحب المقصورة ، وخلاس ، وخيثمة بن عبد الرحمن .

وذهيـــل بن عوف .

وربيعة الجرشى ، ورميح الجذامى .

وزرارة بن أوفى (٤) ، وزفر بن صعصعة — بخلف — وزياد بن ثوب ،

---

(١) الإصابة : ٧/٢٠١ وتهذيب التهذيب : ١٢/٢٦٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٢/٤٣٦ .

(٣) بضم أوله ، وذكر صاحب الخلاصة وميزان الاعتدال بتقديم الهاء على الميم .

(٤) فى الإصابة : ابن أبى أوفى ، انظر ٧/٢٠١ .

وزياد بن رباح ، وزياد بن قيس ، وزياد الطائى ، وزيد بن أسلم — مرسل — وزيد بن أبى عتاب .

وسالم العمرى ، وسالم بن أبى الجعد ، وسالم أبو الغيث ، وسالم مولى البصريين ، وسميم الزهرى ، وسعد بن هشام ، وسعيد بن الحارث ، وسعيد ابن أبى الحسن ، وسعيد بن حيان ، وسعيد المقبرى ، وسعيد بن سمعان . وسعيد ابن عمرو بن الأشدق ، وسعيد بن مرجانة ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد ابن أبى هند ، وسعيد بن يسار ، وسلمان الأغر ، وسلمة بن الأزرق ، وسلمة الليثى ، وسليمان بن حبيب المحاربى ، وسليمان بن سنان ، وسليمان بن يسار ، وسنان بن أبى سنان .

وشتير — وقيل سمير بن نهار ، وشداد أبو عمار ، وشريح بن هانىء ، وشفى بن ماتع ، وشقيق بن سلمة ، وشهر بن حوشب ، وصالح بن درهم ، وصالح بن أبى صالح ، وصالح مولى التوءمة ، وصعصعة بن مالك ، وصهيب العتوارى .

والضحاك بن شرحبيل ، والضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم ، وضمضم بن جوش ، وطارق بن مخاش . . . وعامر بن سعد بن أبى وقاص ، وعامر بن سعد البجلى ، وعامر الشعبى . . وعبد الله بن رافع مولى أم سلمة . وعبد الله بن سعد مولى عائشة . . وعبد الله بن عتبة الهذلى ، وعبد الله بن عمرو القارىء ، وعبد الله بن فروخ ، . . . وعبد الرحمن بن أبى عمرة ، وعبد الرحمن بن غنم ، وعبد الرحمن بن مهران مولى أبى هريرة ، وعبد الرحمن بن أبى نعيم البجلى ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وعبد العزيز ابن مروان ، وعبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن . . وعروة بن الزبير . . وعطاء بن أبى رباح ، وعطاء بن أبى علقمة . وعطاء بن يسار . . وعمار ابن أبى عمار مولى بنى هاشم ، وعمر بن الحكم بن رافع ، وعمر بن خلدة قاضى المدينة ، وعمر بن دينار . . وعنبسة بن سعيد بن العاص . . وعوف ابن الحارث رضيع عائشة .

والقاسم بن محمد ، وقبيصة بن ذؤيب . . وكثير بن مرة ، والمحرر ابن أبى هريرة . . ومحمد بن سيرين . . ومحمد بن كعب القرظى ، ومحمد

ابن مسلم الزهرى - ولم يلحقه - ومحمد بن المنكدر ، ومروان بن الحكم ، ومضارب بن حزن ، ومكحول - ولم يره - . وميمون بن مهران ، وميناء مولى عبد الرحمن بن عوف ، ونافع بن جبير ، ونافع بن عباس مولى أبي قتادة ، وهمام بن منبه ، الذى أملى عليه أبو هريرة صحيفة مشهورة . .

ويحيى بن جعدة ، . . ويحيى بن أبي صالح ، . . ويزيد بن هرمز . . ويعلى بن مرة ، ويوسف بن ماهك .

وأبو إدريس الخولانى ، وأبو إسحاق مولى بنى هاشم ، . . وأبو بكر ابن عبد الرحمن ، وأبو جعفر المدنى - فإن كان الباقر فرسل - . . وأبو رزين الأزدى ، وأبو زرعة البجلى ، وأبو سعيد المقبرى ، . . وأبو صالح السمان ، . . وأبو عثمان النهدى ، . . وأبو مدله مولى عائشة ، وأبو يونس مولى أبي هريرة . . وابن مكرز - شامى ، وكريمة بنت الحسحاس ، وأم الدرداء الصغرى ، وآخرون كثيرون ، وهؤلاء بعض من روى عن أبي هريرة ، وأحاديثهم فى الكتب الستة (١) .

قال البخارى : روى عنه نحو ثمانمائة رجل أو أكثر ، من أهل العلم من الصحابة والتابعين (٢) .

***

عدة ما روى عنه من الحديث :

سبق أن ذكرت ، أن أبا هريرة أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولن نستغرب هذا بعد أن عرفنا حبه وملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم ، وحبه للعلم ، وحرصه على طلب الحديث ، وجرأته فى السؤال ، وتكراره ومذاكرته حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى كل فرصة تسنح له ، وجده واجتهاده ونشاطه ، ولن نستغرب كثرة ما روى عنه ، بعد أن عرفنا حرصه على نشر الحديث وتبليغه ،

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤١٨ - ٤٢٣ ج ٢ ، وتهذيب التهذيب ص ٢٦٣ - ٢٦٥ ج ١٢ ، والاصابة ص ٢٠١ - ٢٠٢ ج ٧ .

(٢) انظر تهذيب التهذيب ص ٢٦٥ ج ١٢ ، والبداية والنهاية ص ١٠٣ ج ٨ .

وحضه الأمة على التمسك بالسنة النبوية ، واقتداءه بالرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع أحواله ، وتحديثه فى الشام والعراق والبحرين ، والحجاز ، وبعد أن عرفنا منزلته ومكانته وفضله ، وكثرة الرواة عنه ، لهذا كان أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان محل عناية وتقدير واحترام من جميع المسلمين قديماً وحديثاً .

وقد أخرج أحاديثه كثير من أئمة الحفاظ ، فأخرج له أصحاب المسانيد ، والصحاح ، والسنن ، والمعاجم ، والمصنفات ، وما من كتاب معتمد فى الحديث ، إلا فيه أحاديث عن الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه .

وتتناول أحاديثه معظم أبواب الفقه : فى العقائد ، والعبادات ، والمعاملات ، والجهاد، والسير ، والمناقب ، والتفسير ، والطلاق ، والنكاح ، والأدب ، والدعوات ، والرقاق ، والذكر والتسبيح . . وغير ذلك .

روى له الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده (٣٨٤٨) حديثاً وفيها مكرر كثير باللفظ والمعنى ، ويصفو له بعد حذف المكرر خير كثير (١) .

وروى له الإمام بقى بن مخلد (٢٠١ — ٢٧٦ هـ) فى مسنده (٥٣٧٤) خمسة آلاف حديث ، وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً (٢) .

وروى له أصحاب الكتب الستة والإمام مالك فى موطئه (٢٢١٨) ألفى حديث ، ومائتين وثمانية عشر حديثاً مما اتفقوا عليه وانفردوا به (٣) .

له فى الصحيحين منها (٦٠٩) ستمائة وتسعة أحاديث ، اتفق الشيخان : الإمام البخارى ، والإمام مسلم عن (٣٢٦) ثلاثمائة وستة وعشرين حديثاً

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد ص ٨٣ جـ ١٢ .

(٢) انظر البارع الفصيح فى شرح الجامع الصحيح مخطوط دار الكتب المصرية ص ٩ : ب عن مسند الإمام بقى بن مخلد . وفى تاريخ الإسلام ص ٣٣٤ جـ ٢ عدد أحاديثه (٥٣٧٠) حديثاً ، وانظر شذرات الذهب ص ٦٣ جـ ١ .

(٣) انظر ذخائر المواريث ص ٢٢٩ جـ ٣ ، و ص ٢ — ١٥٥ جـ ٤ . حيث ذكر له فى الأطراف من رقم (٨٢٤١) إلى الرقم (١٠٤٥٧) .

منها . وانفرد الإمام البخاري بـ (٩٣) بثلاثة وتسعين حديثاً ، ومسلم بـ(١٩٠) بتسعين ومائة حديث (١) .

وعلى هذا يكون له في السنن الأربعة وفي موطأ الإمام مالك (١٦٠٩) ألف وستمائة وتسعة أحاديث . مما اتفقوا عليه وانفردوا به .

وكان الحافظ أبو يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت السدوسي البصري (ـ ٢٦٢ هـ) قد صنف مسنداً كبيراً ما صُنِّفَ مسند أحسن منه ـ لكنه لم يتمه ـ وقيل إن نسخة لمسند أبي هريرة عنه شوهدت بمصر فكانت مائتي جزء (٢) .

وقد جمع أبو إسحاق إبراهيم بن حرب العسكري المتوفى سنة (٢٨٢ هـ) مسند أبي هريرة ، وتوجد نسخة منه في خزانة كوبرلي بتركيا (٣) .

وقد أفرد الإمام الحافظ مسند الدنيا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠ هـ) مسند أبي هريرة في مصنف (٤) .

بعد هذا نذكر نماذج من مروياته وبالله التوفيق .

نمـــاذج من مروياته :

لقد عرفنا كثرة حديث أبي هريرة ، وعرفنا قوة حفظه وضبطه وإتقانه ، وكنت أتمنى لو يتسع المقام لدراسة مروياته في أمهات كتب السنة ، وموازنة طرقها ومناقشتها ، ومقارنتها بمرويات غيره من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً لما في ذلك من فائدة علمية عظيمة ، تزيدنا ثقة براوية الإسلام وحفظه وإتقانه وسعة علمه ، ولكن هذه الدراسة تحتاج إلى عشرين مجلداً أو يزيد ؛ وإذا كان من الصعب القيام بهذه الدراسة على صفحات هذا الكتاب ، فإننا لن نحرم من عرض نماذج مما رواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) انظر الرياض المستطابة ص ٧٠ ، وشذرات الذهب ص ٦٣ جـ ١ ، وفي سير أعلام النبلاء انفرد البخاري بثلاثة وتسعين ، ومسلم بثمانية وتسعين ، والصواب ما أثبتناه ، وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١٣٨ جـ ٤ ، وفي بعضها أن الشيخين اتفقا على (٣٢٥) وانفرد مسلم بـ (١٨٩) .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ ص ١٥٥ جـ ٢ الطبعة الثانية .

(٣) انظر تاريخ الأدب العربي ص ١٥٤ جـ ٣ .

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ص ١٢٦ ، ١٢٧ جـ ٣

مما أخرجه له أشهر أئمة الحفاظ في كتبهم . وسأكتفي بعرض ثلاثة أو أربعة أحاديث ، مما أخرجه له كل إمام من أئمة الحفاظ في مصنفه متوخياً في هذا تناول عدة أبواب من تلك الكتب ، ومع هذا فإن هذه النماذج لا تعدو صورة مصغرة جداً لمرويات أبي هريرة .

١ — مما أخرجه الإمام مالك في الموطأ :

عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا اشتد الحر ، فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم » (١) .

عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد ، فتمسه النار ، إلا تحلة القسم » (٢) .

عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله تبارك وتعالى ، يوم القيامة ، إلى من يجر إزاره بطراً » (٣) .

عن مالك عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، وعن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الركاز الخمس » (٤) .

***

---

(١) الموطأ ص ١٦ حديث ٢٩ ج ١ ، وأخرجه البخاري ومسلم .

(٢) الموطأ « باب الحسبة في المصيبة » ص ٢٣٥ حديث ٣٨ ج ١ ، وأخرجه الشيخان . ومعنى « تحلة القسم » أي ما ينحل به القسم وهو اليمين . يقال: فعلته تحلة القسم ، أي قدرما حللت به يميني ، والمراد به قوله تعالى « وإن منكم إلا واردها » (مريم : ٧١) . قال الخطابي : معناه لا يدخل النار ليعاقب بها ، ولكنه يدخلها مجتازاً ، ولا يكون ذلك الجواز إلا قدر ما تنحل به اليمين ، وهو الجواز على الصراط .

(٣) الموطأ ص ٩١٤ حديث ١٠ ج ٢ باب « ما جاء في إسبال الرجل ثوبه » ، وأخرجه البخاري .

(٤) الموطأ « باب زكاة الركاز » ص ٢٤٩ حديث ٩ ج ١ ، وأخرجه البخاري . والركاز هو كنوز الجاهلية المدفونة في الأرض ، وإنما فيه الخمس لكثرة نفعه وسهولة أخذه .

٢ ــ مما أخرجه الإمام أحمد :

حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انتدب الله عز وجل لمن يخرج في سبيله ، لا يخرج إلا جهاداً في سبيلي ، وإيماناً بي ، وتصديقاً برسولي ، فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه ، نائلا ما نال ، من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده ، ما من كلم يُكْلَمُ في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِمَ ، لونه لون دم ، وريحه ريح مسك ، والذي نفس محمد بيده ، لولا أن أشق على المسلمين ، ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً . ولكني لا أجد سعة فيتبعوني ، ولا تطيب أنفسهم فيتخلفون بعدي ، والذي نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل ، ثم أغزوا فأُقتل ثم أغزو فأُقتل » (١) .

حدثنا أبو كامل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان رجل يداين الناس ، فكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا ، قال : فلقي الله عز وجل فتجاوز عنه » (٢) .

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته بيده ، يجأ بها (٣) في بطنه في نار جهنم ، خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بسم ، فسمه بيده ، يتحساه (٤) في نار جهنم ، خالداً

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ١٤٠ حديث ٧١٥٧ جـ ١٢ ، وإسناده صحيح ، وأخرجه الإمام مسلم ، والبخاري مختصراً ، ورواه النسائي متفرقاً . وقوله « انتدب » أي أجابه إلى غفرانه . يقال : ندبته فانتدب ، أي بعثته ودعوته فأجاب . وقال الحافظ ابن حجر : أي سارع بثوابه وحسن جزائه . والكلم : الجرح . و « خلاف سرية » أي خلفها وبعدها . انظر هامش ص ١٤١ جـ ١٢ منه .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ١٦ حديث ٧٥٦٩ جـ ١٤ . ورواه البخاري ومسلم .

(٣) يجأ : يطعن . (٤) يتحساه : يتجرعه .

مخلداً فيها أبداً ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه ، فهو يتردى في نار جهنم ، خالداً مخلداً فيها أبداً » (١)

حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي عثمان ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله الصادق المصدوق أبا القاسم صاحب الحجرة صلى الله عليه وسلم يقول « لا تنزع الرحمة إلا من شقي » (٢) .

حدثنا هشيم عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البكر تستأمر ، والثيب تشاور . قيل: يا رسول الله . . إن البكر تستحي ؟ قال: سكوتها رضاها »(٣) .
وواضح هذا في زواج البنات . وهذا دليل على أن الإسلام لا يجبر الفتاة على الزواج من رجل لا ترضى به ، ولهذا أمر الولي بسؤال الفتاة واستشارتها ، وفي هذا الحكمة كل الحكمة .

❋ ❋ ❋

٣ — مما رواه الإمام البخاري :

حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى عن عبيد الله ، قال : حدثني حبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عدل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » (٤) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ١٨٥ حديث ٧٤٤١ ج ١٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ١٥٦ حديث ٧٩٨٨ ج ١٥ . ورواه البخاري وأبو داود والطيالسي والترمذي والحاكم .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ١٠٢ حديث ٧١٣١ ج ١٢ ، رواه أصحاب الكتب الستة من عدة طرق عن أبي هريرة .

(٤) صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٢٤٨ ج ١ ، كتاب الزكاة باب « الصدقة باليمين » . وأخرجه الإمام مسلم في الزكاة والترمذي في الزهد ، والنسائي في القضاء .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال ابن المسيب : إن أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحلف مُنَفِّقَةٌ للسلعة مُمْحِقَةٌ للبركة »(١). وواضح فى هذا النهى عن الحلف من أجل إنفاق السلعة وبيعها .

حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب قال : حدثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك ، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام ، فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام ، فأخبرتاه فقال : ائتونى بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله ، هو ابنها .. فقضى به للصغرى »(٢) قال أبو هريرة والله إن ما سمعت بالسكين قط إلا يومئذ ، وما كنا نقول إلا المدية .

حدثنا سليمان أبو الربيع ، قال : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، قال : حدثنا نافع بن مالك بن أبى عامر أبو سهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » (٣) .

* * *

٤ — مما رواه الإمام مسلم :

حدثنا يحيى بن يحيى التميمى وأبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن العلاء الهمدانى — واللفظ ليحيى — (قال يحيى : أخبرنا . وقال الآخران : حدثنا) أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نفّس عن مؤمن كربة من كرب

---

(١) صحيح البخارى بحاشية السندى ص ٩ ج ٢ .

(٢) صحيح البخارى بحاشية السندى ص ١٧٠ ج ٤ ، ولعل قول أبى هريرة : « ما سمعت بالسكين قط إلا يومئذ . . » — أنه لم يسمع بها فى قومه فى اليمن ، وقد كانت لغات العرب كثيرة ، ولهجاتها مختلفة ، فقربها الإسلام ووحدها القرآن ، وحفظها ، وستبقى خالدة إلى يوم الدين .

(٣) صحيح البخارى بحاشية السندى ص ١٥ ج ١ ، فى كتاب الإيمان باب « علامة المنافق » ، وأخرجه مسلم فى « الإيمان » والترمذى والنسائى فيه أيضاً .

الدنيا ، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسّر على معسر ، يسّر الله عليه فى الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلماً ، ستره الله فى الدنيا والآخرة . والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه . ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سّهل الله له به طريقاً إلى الجنة . وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده . ومن بطّأ (١) به عمله لم يسرع به نسبه » (٢) .

حدثنى زهير بن حرب ، حدثنا ابن أبى أويس ، حدثنى عبد العزيز ابن المطلب ، عن سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ، فليأت الذى هو خير ، وليكفّرْ عن يمينه » (٣) .

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، وأبو كريب ، قالا : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة — وهذا حديث أبى بكر — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل . ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر (٤)

---

(١) ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه : أى من كان عمله ناقصاً لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال ، فينبغى ألا يتكل على شرف النسب ، وفضيلة الآباء ، ويقصر فى العمل .

(٢) صحيح مسلم ص ٢٠٧٤ حديث ٣٨ جـ ٤ . وأخرجه أبو داود فى الأدب ، والترمذى فى الحدود ، وابن ماجه فى السنة .

(٣) صحيح مسلم ص ١٢٧٢ حديث ١٣ جـ ٣ . وأخرجه الترمذى فى النذور ، والإمام مالك فيه أيضاً .

(٤) والمقصود ببيع الرجل الرجل بعد العصر : أى بيعه فى آخر النهار لينفق سلعته ، فيحلف له أنه اشتراها بكذا وكذا ليربح على رأس ماله قليلا أو يبيعها برأس المال لأن النهار قد انصرم ، فيصدق المشترى قوله ويأخذها بذلك الثمن . فى حين يكون البائع كاذباً . وإنما ذكر (بعد العصر) فى الحديث لأنه يغلب حلف الباعة فى ذلك الوقت ، فيحتج الحالف بانتهاء النهار وبأنه يريد أن يبيع حاجته بأى ثمن كيلا تبقى إلى الغد . . ولهذا استحق ما جاء فى الحديث ومفهوم أن مثل هذا البيع منهى عنه فى أى وقت .

فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدّقه ، وهو على غير ذلك . ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منهـا وفى وإن لم يعطه منها لم يف » (١) .

❋ ❋ ❋

٥ — مما رواه الإمام أبو داود :

حدثنا عبد الله بن محمد النفيلى ، حدثنا زهير ، حدثنا داود بن أبى هند ، عن عامر ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تُنكح المرأة على عمتها ، ولا العمة على بنت أخيها ، ولا المرأة على خالتها ، ولا الخالة على بنت أختها ، ولا تُنكح الكبرى على الصغرى ، ولا الصغرى على الكبرى » (٢) .

حدثنا أحمد بن أبى بكر أبو مصعب الزهرى ، قال : حدثنا الدراوردى ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد » (٣) .

حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا ابن إدريس ، عن ابن جريج ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن أبى سلمة — أو عن سعيد بن المسيب ، أو عنهما جميعاً — عن أبى هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قسمت الأرض وحُدّت فلا شفعة فيها » (٤) .

---

(١) صحيح مسلم ص ١٠٣ حديث ١٧٣ جـ ١ ، وأخرج البخارى نحوه فى الأشربة والتوحيد ، وفى الشهادات وفى الأشربة وأبو داود فى البيوع ، والترمذى فى السير ، والنسائى فى البيوع ، وابن ماجه ، كما أخرجه الإمام أحمد فى مسند أبى هريرة .

(٢) سنن أبى داود ص ٤٧٦ جـ ١ . كتاب النكاح باب « ما يكره أن يجمع بينهن من النساء » وأخرج نحوه البخارى فى النكاح ، ومسلم فى النكاح أيضاً ، والترمذى وابن ماجه ومالك فى النكاح أيضاً . .

(٣) سنن أبى داود ص ٢٧٧ جـ ٢ . كتاب الأقضية باب « القضاء باليمين والشاهد » . وأخرجه الترمذى فى الأحكام ، كما أخرجه ابن ماجه .

(٤) سنن أبى داود ص ٢٥٦ جـ ٢ كتاب البيوع ، باب «الشفعة» . وأخرجه ابن ماجه فى الأحكام .

حدثنا مسدد ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : حدثنا عمارة ابن القعقاع ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة قال : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. أى الصدقة أفضل ؟ قال : « أن تصدّق وأنت صحيح حريص تأمل البقاء ، وتخشى الفقر ، ولا تمهل ، حتّى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا ، وقد كان لفلان » (١) .

* * *

٦ — مما رواه الإمام الترمذى :

حدثنا أبو موسى محمد بن المثنّ . حدثنا عثمان بن عمر ، قال : وأخبرنا ابن أبي ذئب عن المقبرى عن أبيه عن أبي هريرة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة بأن يدع طعامه وشرابه » (٢) . قال أبوعيسى الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

حدثنا محمد بن عمر بن على المقدمىّ ، أخبرنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن عبد الله بن بشر الخثعمى ، عن أبي زرعة عن أبي هريرة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فركب راحلته قال باصبعه ومد شعبة اصبعه — قال : « اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل ، اللهم أصحبنا بنصحك ، واقلبنا بذمة ، اللهم ازو لنا الأرض ، وهوّن علينا السفر . اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب » (٣) .

---

(١) سنن أبي داود ص ١٠٢ جـ ٢ كتاب الوصايا . باب « ما جاء فى كراهية الإضرار بالوصية » .

(٢) سنن الترمذى بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ص ٨٧ حديث ٧٠٧ جـ ٣ كتاب الصوم باب « ما جاء فى التشديد فى الغيبة للصائم » . كما أخرجه البخارى فى كتاب الصوم ، وأبو داود فى كتاب الصيام أيضاً .

(٣) سنن الترمذى طبع دهلى ص ١٨١ جـ ٢ ، كتاب الدعوات ، باب « ما يقول إذا خرج مسافراً » .

حدثنا بندار ، حدثنا صفوان بن عيسى ، عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة ، ثلاث مرار ، قالوا : يارسول الله لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » (١) . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

حدثنا حُميد بن مسعدة ، حدثنا سفيان بن حبيب ، عن الحجاج الصوّاف ، عن يحي بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يغار والمؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتى ما حرّم عليه » (٢) .

❋ ❋ ❋

٧ — مما رواه الإمام النسائى :

أخبرنا قتيبة (ابن سعيد) قال : حدثنا الليث ، عن ابن الهاد ، عن محمد ابن إبراهيم ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء »؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : « فكذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا » (٣) .

أخبرنا محمد بن رافع قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا معمر ، عن الزهرى ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة قال : سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . . أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الإيمان بالله » قال : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » ، قال : ثم ماذا ؟ قال : « ثم حج مبرور » (٤) .

---

(١) سنن الترمذى طبع دهلى ص ١٤ ج ٢ ، كتاب البر والصلة ، باب « ما جاء فى النصيحة » .

(٢) سنن الترمذى طبع دهلى ص ١٨١ ج ١ ، كتاب الرضاع ، باب « ما جاء فى الغيرة » .

(٣) سنن النسائى ص٨١ ج ١ كتاب الصلاة باب «فضل الصلوات الخمس» . أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة ، وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب الصلاة أيضاً ، كما أخرجه الترمذى فى الأمثال .

(٤) سنن النسائى ص ٣ ج ٢ كتاب الحج باب « فضل الحج » .

أخبرنا أحمد بن عمرو بن السرح قال : حدثنا ابن وهب . قال : أخبرنى مالك ، عن ابن شهاب . عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة : « أن امرأتين من هذيل فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رمت إحداهما الأخرى ، فطرحت جنينها . فقضى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة : عبد أو وليدة » (١) .

أخبرنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب . قال : أخبرنى يونس وابن أبى ذئب ، عن ابن شهاب ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توفى المؤمن وعليه دين سأل هل ترك لدينه قضاء ؟ فإن قالوا : نعم . صلى عليه ، وإن قالوا : لا . قال : صلوا على صاحبكم . فلما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى وعليه دين ، فعلىّ قضاؤه ، ومن ترك مالاً فهو لورثته » (٢) . قال السندى : (ترك صلى الله عليه وسلم فى أول الأمر الصلاة على من عليه دين ، زجراً لهم عن التساهل فى الاستدانة ، وعن إهمال وفائها) (٣) أقول : ولما قويت الدولة الإسلامية وقوى الإسلام فى نفوس المسلمين ، وتمثلوا هذا الدين الحنيف ، كان المسلم إذا استدان لا يستدين إلا عن حاجة ، ولا يتساهل بالاستدانة . حينئذ رأى الرسول الكريم أن تتحمل الدولة دين المتوفى ؛ لأنه على يقين من أن المتوفى لم يتمكن من الإيفاء قبل وفاته لفقره وحاجته ، وقد كان المسلمون أعزة كرام النفوس لا يمكن أن يستلف أحدهم وفى نيته عدم الوفاء . وهذه صورة واضحة للتكافل الاجتماعى ، والتعاون بين أبناء الأمة الواحدة . ودليل واضح على أن الشريعة الإسلامية تهدف إلى تأمين الكفاية والحياة الكريمة لكل فرد من أفراد الأمة .

* * *

---

(١) سنن النسائى ص ٢٤٩ ج ٢ كتاب الديات باب «دية الجنين» . والغرة اسم للإنسان المملوك العبد أو الأمة . و (أو) ليست للشك بل للتقسيم . أخرجه البخارى فى الديات ، ومسلم فى الحدود ، وأبو داود فى الديات .

(٢ و ٣) سنن النسائى ص ٢٧٩ ج ١ .

٨ — مما رواه الإمام ابن ماجه :

حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، ويعقوب بن حُميد بن كاسب ، وسويد بن سعيد، قالوا: حدثنا مروان بن معاوية الفزارى، حدثنا يزيد ابن كيسان عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً ، فطوبى للغرباء » (١) .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن يونس بن الحارث ، عن إبراهيم بن أبى ميمونة ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزلت فى أهل قباء — « **فيه رجال يحبون أن يتطهّروا ، والله يحب المطهّرين** »(٢) — قال : كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية (٣) .

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا أبو معاوية ووكيع ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله . يقول الله : إلا الصوم ، فإنه لى ، وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى . للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه . ولَخَلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » (٤) .

وإلى هنا نكتفى بعرض هذه النماذج من مرويات أبى هريرة ، علماً بأنه قد أخرج له أصحاب المسانيد والصحاح جميعاً والحاكم فى المستدرك ، وغيرهم كما أسلفنا .

❋ ❋ ❋

---

(١) سنن ابن ماجه ص ١٣١٩ حديث ٣٩٨٦ جـ ٢ . وأخرجه الإمام مسلم فى الإيمان .

(٢) التوبة : ١٠٨ .

(٣) سنن ابن ماجه ص ١٢٨ حديث ٣٥٧ جـ ١ . ورواه أبو داود فى أول كتاب الطهارة والترمذى فى التفسير .

(٤) سنن ابن ماجه ص ٥٢٥ حديث ١٦٣٨ جـ ١

أصح الطرق عن أبي هريرة :

حكى عن ابن المديني أنه من أصح الأسانيد (إطلاقاً) حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة (١) .

وقال سليمان بن داود : أصح الأسانيد كلها يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة (٢) .

وأصح ما يروى من الحديث عن أبي هريرة ما جاء عن :

الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة .

أبي الزناد ، عن الأعرج — عبد الرحمن بن هرمز — عن أبي هريرة .

ابن عون ، وأيوب عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة (٣) .

ونضيف إلى هذه الأسانيد ما خرّجه الشيخ أحمد محمد شاكر واعتبره من أصح ما روى عن أبي هريرة لمكانة الرواة وثناء العلماء عليهم ، ولإمامتهم في هذا العلم . وهي :

مالك عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة .

إسماعيل بن أبي حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمى عن أبي هريرة .

معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة (٤) .

❋ ❋ ❋

---

(١) تدريب الراوى ص ٣٦ ، والكفاية ص ٣٩٨ .

(٢) انظر الكفاية ص ٣٩٨ .

(٣) تدريب الراوى ص ٣٦ ، وسير أعلام النبلاء ص ٣٤٨ ج ٢ ، وتوضيح الأفكار ص ٣٥ ج ١ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ص ١٤٩ — ١٥٠ ج ١ .

الثنـــاء على أبي هريرة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفس محمد بيده ، لقد ظننت أنك أول من يسألنى عن ذلك من أمتى ، لما رأيت من حرصك على العلم » (١) .

وفى رواية قال : « لقد ظننت لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث » (٢) .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبو هريرة وعاء من العلم ! ! » (٣) .

قال زيد بن ثابت : فقلنا : يا رسول الله ، ونحن نسأل الله علماً لا ينسى ، فقال : « سبقكم بها الغلام الدوسى » ! ! (٤) .

قال أبو هريرة : ما أحدٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً منى عنه ، إلا ما كان من عبد الله بن عمر — رضى الله عنه فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب (٥) .

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد نهى أبا هريرة من الإكثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نهى غيره ، لأن سياسة عمر وبعض الصحابة الإقلال من رواية الحديث ، لأن فى الإكثار مظنة الخطأ ، وخوفاً من أن يشغل الناس بالحديث عن القرآن ، ومع هذا فقد سمح عمر رضى الله عنه لأبى هريرة بالتحديث ، بعد أن عرف ورعه وتقواه .

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٠٨ ج ١٥ .
(٢) فتح البارى ص ٢٠٢ ج ١ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٠ ج ٢ ، وهو صحيح .
(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٠ ج ٢ ، فى إسناده مقال لاختلافهم فى أحد رجال سنده ، (زيد العمى) . انظر ميزان الاعتدال ص ٣٦٣ ج ١ .
(٤) فتح البارى ص ٢٢٦ ج ١ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ ج ٢ وحلية الأولياء ص ٣٨١ ج ١ .
(٥) فتح البارى ص ٢١٧ ج ١ ، وجامع بيان العلم ص ٧٠ ج ١ .

روى الذهبي عن أبي هريرة قال : (بلغ عمر حديثي . فأرسل إليّ ، فقال : كنت معنا يوم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت فلان ؟ قلت : نعم . وقد علمت لأي شيء سألتني ، قال : ولِمَ سألتك ؟ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ : « من كذب عليّ متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار . قال : أما لا فاذهب فحدِّث) (١) . وفي رواية قال عمر : (حدث الآن عن النبي صلى الله عليه وسلم ما شئت) (٢) ؛ وفي رواية أخرى قال : (أمالي فاذهب فحدث) (٣) .

وهذا السماح توثيق لأبي هريرة من أمير المؤمنين .

قال عبد الله بن عمر : يا أبا هريرة ، كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعلمنا بحديثه) (٤) .

وقيل لابن عمر : هل تنكر مما يحدِّث به أبو هريرة شيئاً ؟ فقال : لا . ولكنه اجترأ وجبنا (٥) . وفي رواية قال ابن عمر : أبو هريرة خير مني ، وأعلم بما يحدث (٦) . وكان يكثر الترحم عليه ، ويقول : كان ممن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين (٧) . قال أُبي بن كعب : كان أبو هريرة جريئاً على النبي صلى الله عليه وسلم ، يسأله عن أشياء ، لا نسأله عنها (٨) .

قالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : صدق أبو هريرة (٩) ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٤ ج ٢ ، إلا أنه في سنده يحيى بن عبيد الله مختلف فيه انظر ميزان الاعتدال ص ٢٩٧ ج ٣ ، ولكنه روي عن طرق أخرى ثابتة .

(٢ ، ٣) ابن عساكر ص ٤٨٧ ج ٤٧ .

(٤) المحدث الفاصل ص ١٣٤ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٥ ج ٢ ، وطبقات ابن سعد ص ١١٨ ج ٢ قسم ٢ وفي فتح الباري ص ٢٢٥ ج ١ : (أعرفنا بحديثه) وقال فيه الترمذي : حسن . انظر سنن الترمذي ص ٢٢٤ ج ٢ .

(٥) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ ج ٢ ، وتاريخ دمشق ص ٤٩٢ ج ٤٧ .

(٦) الإصابة ص ٢٠٤ ج ٧ ، وسنن الترمذي ص ٢٢٤ ج ٢ .

(٧) طبقات ابن سعد ص ٦٣ ج ٤ قسم ٢ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٥ ج ٢ ، والبداية والنهاية ص ١٠٧ ج ٨ ، وابن عساكر ص ٤٩٣ ج ٤٧ .

(٨) سير أعلام النبلاء ص ٤٥١ ج ٢ .

(٩) طبقات ابن سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ . والإصابة ص ٢٠٥ ج ٧ .

حين أرسل ابن عمر يستفهم عن حديث الجنازة الذى رواه أبو هريرة .

قال طلحة بن عبيد الله : لا نشك أنه سمع ما لم نسمع (١) ، وفى رواية : قد سمعنا كما سمع ولكنه حفظ ونسينا (٢) .

قال زيد بن ثابت لرجل سأله عن شىء : عليك بأبى هريرة (٣) .

جاء رجل إلى ابن عباس فى مسألة ، فقال ابن عباس لأبى هريرة : أفته يا أبا هريرة فقد جاءتك معضلة (٤) .

قال مروان بن الحكم : إنى رأيتك اليوم حبراً (٥) . وذلك حين عاده فى مرضه وسمعه يدعو الله قائلا : « اللهم إنى أحببت لقاك ، فأحبب لقائى » .

قال كعب الأحبار : ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبى هريرة (٦) .

وقال محمد بن عمارة بن عمرو بن حزم : فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) ، وذلك حين حضر مجلسه الذى كان فيه مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحدثهم ، فلا يعرف بعضهم الحديث ، ثم يتراجعون فيه فيعرفونه .

قال أبو صالح السمان : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (٨) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ جـ ٢ ، رواه عن طليحة والتصحيح من الإصابة ص ٢٠٤ جـ ٧ وفتح البارى ، وطلحة هذا صحابى جليل رضى الله عنه توفى الرسول وهو راض عنه .

(٢) فتح البارى ص ٧٧ جـ ٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ و ٤٤٣ جـ ٢ وتهذيب التهذيب ص ٢٦٦ جـ ١٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ جـ ٢ .

(٥) ابن عساكر ص ٥٣٤ — ٥٣٥ جـ ٤٧ .

(٦) الإصابة ص ٢٠٥ جـ ٧ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ جـ ٢ .

(٧) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٤ جـ ٢ وفتح البارى ص ٢٢٥ جـ ١ .

(٨) تذكرة الحفاظ ص ٣٤ جـ ٢ ، وابن عساكر ص ٤٨١ جـ ٤٧ .

وعنه أيضاً قال : ما أزعم أن أبا هريرة كان أفضلهم — يعني الصحابة — ولكنه كان أحفظ (١) .

ويعرف سيرين الأنصاري — أبو محمد ويحيي ابني سيرين — مكانة أبي هريرة ، فيبعث بنيه إليه ليعلمهم (٢) . وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كثرة ، مما يدل على شهرة أبي هريرة ، وحفظه وإتقانه ؛ ولولا هذا ما بعث إليه أبناءه الذين أصبحوا من أعلام رجال الحديث بعد ذلك . .

قال الإمام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره (٣) .

قال الإمام البخاري : روى عنه نحو ثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره (٤) .

قال حافظ المغرب يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (٣٦٨ — ٤٦٣ هـ) : كان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي (نسخة أخرى من كتابه) : كان أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار ، لاشتغال المهاجرين بالتجارة ، والأنصار بحوائجهم (٥) .

وقال الإمام المؤرخ علي بن محمد (ابن الأثير) الجزري (٥٥٥ — ٦٣٠هـ) أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم حديثاً عنه (٦) .

---

(١) ابن عساكر ص ٤٨٢ جـ ٤٧ .
(٢) انظر تهذيب التهذيب ص ٢٢٨ جـ ١١ .
(٣) انظر الرسالة للشافعي ص ٢٨١ وابن عساكر ص ٤٨٣ جـ ٤٧ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ جـ ٢ .
(٤) تهذيب التهذيب ص ٢٦٥ جـ ١٢ ، وانظر البداية والنهاية ص ١٠٣ جـ ٨ .
(٥) الاستيعاب ص ١٧٧١ جـ ٤ .
(٦) أسد الغابة ص ٣١٥ جـ ٥ .

ويقول الإمام الحافظ الذهبي (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ) :

أبو هريرة : الإمام الفقيه المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو هريرة الدوسي اليماني ، سيد الحفاظ الأثبات (١) .

وقال في موضع آخر : أبو هريرة إليه المنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأدائه بحروفه (٢) . وقال أيضاً : كان أبو هريرة وثيق الحفظ ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث (٣) .

وقال الذهبي أيضاً : هو رأسٌ في القرآن ، وفي السنة ، وفي الفقه (٤) . وقال : أين مثل أبي هريرة في حفظه وسعة علمه (٥) .

ويقول الحافظ ابن كثير (٧٠١ — ٧٧٤هـ) :

وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم(٦) ، وقال : روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير الطيب ، وكان من حفاظ الصحابة(٧) .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ — ٨٥٢هـ) :

إن أبا هريرة كان أحفظ من كل من يروى الحديث في عصره ، ولم يأت عن أحد من الصحابة كلهم ما جاء عنه(٨) .

قال يحيى بن أبي بكر العامري (٨١٦ — ٨٩٣هـ) :

أبو هريرة : كان عريف مساكين الصفة ، حلفاء الفقر والصبر ، وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ملازماً له في جميع الأحوال ، لا يشغله عنه دنيا ، ولا أهل ولا مال ، ولملازمته وخصوصيته

---

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤١٧ جـ ٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٥ جـ ٢ .
(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٦ جـ ٢ .
(٤) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٩ جـ ٢ .
(٥) انظر المرجع السابق ص ٤٣٨ جـ ٢ .
(٦) البداية والنهاية ص ١١٠ جـ ٨ .
(٧) البداية والنهاية ص ١٠٣ جـ ٨ .
(٨) تهذيب التهذيب ص ٢٦٦ جـ ١٢ .

الأخرى في الحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكثر الصحابة رواية على الإطلاق وأحفظهم .

وقال : وكان حافظاً متثبتاً ذكياً مفتياً ، صاحب صيام وقيام(١) .

قال المؤرخ عبد الحي بن أحمد (ابن العماد) الحنبلي (١٠٣٢–١٠٨٩م) :

كان كثير العبادة والذكر ، حسن الأخلاق ، ولي إمرة المدينة ، وكان حافظ الصحابة وأكثرهم رواية(٢) .

وإلى هنا أكتفي بما ذكرته من شهادات رؤوس العلم في أبي هريرة ، وإن ثناء العلماء عليه وتوثيقه يحتاج وحده إلى مجلد ، وإن مكانة أبي هريرة ، وسعة علمه ، وكثرة حديثه ، وفضله وورعه ، وضبطه وإتقانه ، لا تخفى على مسلم في مشارق الأرض ومغاربها ، وما سقته من ثناء عليه إنما كان على سبيل الذكرى ، وإلا فإني أظلم راوية الإسلام — رضي الله عنه وأرضاه — إذا حاولت أن أحدد أو أحصر من أثنى عليه ، وهل هنالك أحد من أهل العلم والمعرفة يجهل أبا هريرة ومنزلته !! ؟ .



---

(١) الرياض المستطابة ص ٧٠ .

(٢) شذرات الذهب ص ٦٣ ج ١ .

الباب الثاني

الرد على الشبه التي أثيرت حول أبي هريرة

- أبو هريرة وبعض الباحثين
- موقف الصحابة من أبي هريرة

أبو هريرة وبعض الباحثين

ذلكم أبو هريرة الذى عرفناه قبل إسلامه وبعد إسلامه ، عرفناه فى هجرته وصحبته للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فكان الصاحب الأمين والطالب المجد ، يدور مع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فى حله وترحاله ، ويشاركه أفراحه وأحزانه . وعرفنا التزامه للسنة المطهرة ، وتقواه وورعه ، فى شبابه وهرمه ، وفى غناه وفقره . وقرأنا كثيراً عن تواضعه وكرمه . ورأينا مواقفه المشرفة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واعتزاله الفتن وحبه للجماعة وسعيه للخير ، وكشفنا عن روحه الطيبة المرحة ، ونفسه الصافية ، وأخلاقه الكريمة ، وزهده فى الدنيا وتفانيه فى سبيل الحق . وعرفنا مكانته العلمية ، وكثرة حديثه ، وقوة حافظته ، ورأينا منزلته بين أصحابه ، وثناء العلماء عليه .

ذلكم أبو هريرة الذى صوره لنا التاريخ من خلال البحث الدقيق . إلا أن بعض الباحثين لم يسرهم أن يروا أبا هريرة فى هذه المكانة السامية ، والمنزلة الرفيعة . فدفعتهم ميولهم وأهواؤهم إلى أن يصوروه صورة تخالف الحقيقة التى عرفناها . فرأوا فى صحبته للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، غايات خاصة لأبى هريرة ، ليشبع بطنه ويروى نهمه ، وصوروا أمانته خيانة ، وكرمه رياء ، وحفظه تدجيلا ، وحديثه الطيب الكثير كذباً على رسول الله عليه الصلاة والسلام وبهتاناً ، ورأوا فى فقره مطعناً وعاراً ، وفى تواضعه ذلا ، وفى مرحه هذراً ، وصوروا أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لوناً من المؤامرات لخداع العامة . ورأوا فى اعتزاله الفتن تحزباً ، وفى قوله الحق انحيازاً ، فهو صنيعة الأمويين الذين طووه تحت جناحهم فكان أداتهم الداعية لمآربهم السياسية ، فكان لذلك من الكاذبين الواضعين للأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراءً وزوراً ! ! .

هكذا أراد أن يصوره بعض أهل الأهواء ، كالنظام ، والمريسى ، والبلخى ، وتابعهم فى هذا العصر بعض المستشرقين أمثال (جولدتسيهر)

و (شبرنجر) وأغرب من هذا أن يطعن فيه وفى السنة بعض من ينسب إلى العلم . فقد عثرت أثناء بحثى على كتاب تحت عنوان (أبو هريرة) ألفه عبد الحسين شرف الدين العاملى ، وهو إمامى ، والإمامية يتخذون أبا هريرة هدفاً لكى يوهّنوا أحاديث أهل السنة ويرفضوها ، ويروّجوا أخبارهم . وقد لف لفهم من كان لهم تابعاً مجرباً على تبعيته . ولم أكد أتصفحه حتى دهشت لما جاء فيه من الافتراءات والطعون ، والتأويلات التى لا تتمشى مع البحث العلمى ، ولا توافق التاريخ . . وقد استقى من هذا الكتاب أيضاً محمود أبو ريه صاحب كتاب (أضواء على السنة المحمدية) ، فكان أشد على أبى هريرة من أستاذه ، وأكثر مجانبة للصواب ، فرأيت من واجبى أن أرد تلك الشبهات التى أثارها بعض أهل الأهواء والمستشرقين وبعض الباحثين ، الذين كشفوا عن جوانب من سيرة أبى هريرة ، وتركوا الجوانب الأخرى ، كما حدث للباحث الأستاذ أحمد أمين ، ورأيت أن أرد على بعض ما جاء فى كتاب (أبو هريرة) وأتناول خلال ذلك بعض النقاط التى اشترك فيها هؤلاء جميعاً ، مبيناً فى ذلك كله وجه الحق بالأدلة والبراهين ، معتمداً على الله عز وجل طالباً منه التوفيق والسداد .

❋ ❋ ❋

مقدمة كتاب (أبو هريرة) :

قال عبد الحسين شرف الدين : (هذه دراسة لحياة صحابى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثر حتى أفرط ، وروت عنه صحاح الجمهور وسائر مسانيدهم ، فأكثرت حتى أفرطت أيضاً ، ولا يسعنا إزاء هذه الكثرة المزدوجة إلا أن نبحث عن مصدرها لاتصالها بحياتنا الدينية ، والعقلية ، اتصالا مباشراً . ولولا ذلك لتجاوزناها ، وتجاوزنا مصدرها إلى ما يغنينا عن تجشم النظر فيها وفيه .

ولكن أسلات هذه الكثرة قد استفاضت فى فروع الدين وأصوله ، فاحتج بها فقهاء الجمهور ومتكلموهم فى كثير من أحكام الله عز وجل وشرائعه ، ملقين إليها سلاح النظر والتفكير .

ولا عجب منهم فى ذلك بعد بنائهم على أصالة العدالة فى الصحابة أجمعين ، وحيث لا دليل على هذا الأصل « كما هو مبين محله بإيضاح ») .

أى إفراط كان من أبى هريرة ؟ وهو الحافظ الذى عرفناه ، والمفتى الذى احتاجت إليه الأمة ، بعد وفاة رؤوس الصحابة . وبقى أبو هريرة مع من بقى فى المدينة مرجعاً للمسلمين فى دينهم وشريعتهم ، بعد أن انطلق الصحابة إلى الأقطار الإسلامية يعلمون أهلها ويفقهونهم . وسنعرض للرد التفصيلى على دعواه هذه فيما بعد ، ولكن لابد من الإشارة إلى أن أبا هريرة لم يكن مفرطاً ، بل كان كغيره من علماء الصحابة ، يُستفتى فيفتى ، ويُسأل فيجيب ، فلم يكن مفرطاً فى عهد الخلفاء الراشدين ولا بعدهم ، إنما وثق به القوم ، وعرفوا مكانته ، فوضعوه حيث يستحق ، فكم من راحل يقطع المسافات ليرى أبا هريرة ، وكم من مقيم يترك كبار الصحابة ويأتيه فى مسألة أو حديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأبو هريرة لم يكثر من عنده ، إنما وثق الناس بحفظه فحرصوا على أن ينهلوا منه ، فما جريرته فى ذلك ؟ وقد شهد بعلمه وحفظه ابن عمر وطلحة بن عبيد الله والزبير وغيرهم ، حتى إنه قال — عندما استكثروا حديثه — : ما ذنبى إذا حفظت ونسوا ؟ .

وأما أن الصحاح وسائر مسانيد الجمهور قد أفرطت فيما روته عنه ، فهذا ظلم وجور ، لا نوافقه عليه ، ولا يقبله منه إنسان منصف ، ولا يقره عليه عقل راجح ، وأنه حكم بلا دليل ولا حجة ، فإن الصحاح لم تضم بين دفاتها أى حديث إلا بعد بحث وتنقيب وتمحيص ، ومقارنة وتحقيق ، يتناول حياة الراوى وسلوكه وحفظه ، ولا يؤخذ عن إنسان إلا بعد التحقق من عدالته ، ولم يكتف المحدثون بهذا ، بل كان للعقل محله ودوره واعتباره فى التحمل ، والأداء وحين الحكم على الرواة ، وعلى الأحاديث ، فكان النقد يتناول الرجال والمتن ، ولم يكن النقد خارجياً فقط ، بل كانوا يعرضون الرواية على القرآن والسنة ، حتى يتأكدوا من صحة الخبر ، وكان منهم من يجمع الأخبار المتعارضة فيسلك طريق الدراسة والموازنة والتوفيق والترجيح حتى يتبين له وجه الحق والصواب ، فلم تكتب الصحاح إلا على أسس علمية دقيقة ، تتناول السند والمتن على السواء .

فى هذا الطعن أخطأ المؤلف طريقه ، وتنكب جادة الصواب ، واتهم المسلمين جميعاً بأنهم لم يعرفوا قيمة الصحاح ، وفى هذا إنكار شديد للمنهج العلمى الذى نهجه المحدثون للمحافظة على السنة الشريفة ، وقد ذاعت شهرة هذا المنهج وانتشرت فى الآفاق ، حتى شهد الغرباء عن الإسلام ، بل أعداء الإسلام بدقة العمل الذى كان عليه حفاظ الأمة ومحدثوها ، من ذلك ما قاله مرجليوث : « ليفتخر المسلمون ما شاؤوا بعلم حديثهم »(١) .

ولكن المؤلف لا يذكر هذا ليعمى على المسلمين طريقهم ويشككهم فى كتبهم المعتمدة ، قبل أن يدلى بأية حجة أو أن يعرض عليهم بعض بحثه ، يريد منا أن نسلم له بما يقول ويرى ، فنحن كقراء لا نعرف شيئاً عن أبى هريرة وحديثه ، لا يمكننا أن نحكم عليه ما لم ندرسه دراسة نزيهة محررة ، نحكم عليه من خلالها . أما أن نكون فريسة خياله وأهوائه فهذا خلاف البحث العلمى ، وما عهدنا بحثاً توضع نتائجه قبل مناقشته ومحاكمته ، فهذا خلاف المنهج العلمى الذى يدعيه .

ثم إنه يرى ذلك نتيجة طبيعية للأصل الذى أجمع عليه الجمهور ، وهو عدالة الصحابة ، ويدعى عدم وجود دليل على هذا الأصل . إلا أننا أثبتنا صحة ما ذهب إليه الجمهور وبينا الأدلة فى ذلك(٢) ثم يقول : (لم يكن لنا بد من البحث عن هذا المكثر نفسه ، وعن حديثه كماً وكيفاً لنكون على بصيرة فيما يتعلق من حديثه بأحكام الله فروعاً وأصولا ، وهذا ما اضطرنا إلى هذه الدراسة الممعنة فى حياة هذا الصحابى — وهو أبو هريرة — فى نواحى حديثه ، وقد بالغت فى الفحص ، وأغرقت فى التنقيب حتى أسفر وجه الحق فى كتابى هذا ، وظهر فيه صبح اليقين) .

لقد تصور أحاديث أبى هريرة موضوعة ومكذوبة ، وقد تغلغل هذا الوضع فى أصول الدين وفروعه ، وغفل عنه المسلمون !! لذلك كان من واجبه الدفاع عن الشريعة الغراء ، وحمايتها من الأكاذيب والأوهام ،

---

(١) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل عن المقالات العلمية : ٢٣٤ — ٢٣٥ .
(٢) انظر ما كتبناه عن عدالة الصحابة وأدلة ذلك فى هذا الكتاب .

فكان لابد له من دراسة أبي هريرة ، تلك الدراسة التي كشفت عن وجه الحق — كما يدعى — إلا أنها دراسة كشفت عن نوايا خبيثة في نفوس أعداء السنة وخصوم الصحابة رضوان الله عليهم ، دراسة بينت حقدهم على الصحابة ، وعلى أبي هريرة بوجه خاص ، ومن يطلع على كتابه هذا ، لا يشك في أنه حلقة في سلسلة الأبحاث التي يقوم بها المستشرقون المتطرفون ، وأتباعهم من المسلمين المغرضين ، وليس إلا خدمة لأعداء الإسلام ، ووسيلة لتصديع جمع المسلمين في وقت كادت كلمتهم أن تتفق ، وأوشكت وحدتهم أن تتم .

ويرى المؤلف أنه حلل نفسية أبي هريرة تحليلا علمياً حتى فهم (كنهه وحقيقته من جميع نواحيه) لنلركه بحواسنا كلها .

كما يرى أنه أمعن النظر في حديثه كماً وكيفاً فيقول : (فلم يسعنا — شهد الله — إلا الإنكار عليه في كل منهما) .

ويكثر الطعن في أبي هريرة وحفظه وكثرة حديثه ويعيب عليه أميته ، ثم يقول : (ونحن حين نحكم الذوق الفني والمقياس العلمي نجدهما لا يقران كثيراً مما رواه هذا المفرط في اكثاره وعجائبه ... ص : ب) .

وتابع المؤلف الحط من قدر أبي هريرة وأقل ما قاله في الصفحة (ج) : (فالسنة أرفع من أن تحتضن أعشاباً شائكة ، وخز بها أبو هريرة ضمائر الأذواق الفنية ، وأدمى بها تفكير المقاييس العلمية ، قبل أن يشوه بها السنة المنزهة ، ويسيء إلى النبي وأمته) .

أجل لقد وخز أبو هريرة بقول الحق ضمائر من يريدون الباطل ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يتفق مع أهل الأهواء وعقائدهم ، فناصبوه لذلك العداء .

والمؤلف ينادي بالذوق الفني ، والتفكير العلمي ، فأي ذوق يريد وأي تفكير يقصد ؟ بعد أن أجمعت الأمة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، على دقة الذوق الفني عند المحدثين في علمهم ومنهجهم ، حتى أصبح تثبتهم في العلم مضرب الأمثال ، لم يتركوا كبيرة

أو صغيرة إلا بينوها ، فعرفوا الصحيح والضعيف والسليم والمعلول .
لم تأخذهم فى ذلك عاطفة أو هوى ، فطبقوا مقاييسهم الدقيقة على الجميع ، فكانوا قدوة حسنة فى إخلاصهم وأمانتهم ، حتى إن الرجل يأبى أن يحدث عن أبيه أو أخيه بالرغم من ورعه وصلاحه ، ويبين أمره للناس ، من ذلك قول على بن المدينى فى أبيه حين سألوه عنه قال : (سلوا عنه غيرى ، فأعادوا المسألة ، فأطرق ثم رفع رأسه فقال : هو الدين إنه ضعيف)(١)
كما كانوا يأبون أن يحدثوا من يرتابون فى أمره ، وإن كان صالحاً أو ذا منزلة ومكانة ، من هذا ، ما رواه أحمد بن أبى الحوارى قال : جاء رجل من بنى هاشم ليسمع من ابن المبارك فامتنع . فقال الهاشمى لغلامه : قم بنا ، فلما أراد الركوب ، جاء ابن المبارك ، ليمسك بركابه ، فقال : يا أبا عبد الرحمن لا ترى أن تحدثنى وتمسك بركابى . . ! ! ؟ قال : رأيت أن أذل لك بدنى ، ولا أذل لك الحديث ! !) (٢) ؟

هؤلاء جهابذة العلم ، ورجال الفن ، الذين تقبل حكمهم فى أبى هريرة ، فلو عرفوا عنه شيئاً ما سكتوا عنه وإن كان صحابياً جليلا ، لأن السنة والشريعة لا تحابى أحداً .

ولكنهم لم يجدوا ما يأخذونه عليه ، بل كان عندهم الثقة الأمين . . على ضوء المقاييس العلمية والأذواق الفنية المجردة .

ويتابع الكاتب قوله : (... فلا يصح فى منطق أن نسكت عن هذا الدخل الشائن لجوهر الإسلام ، وروحه الرفيعة المنادية بالتحرر والانعتاق من كبول العقائد السخيفة والخرافات التى يسبق إلى الذهن استنكارها ، وإذن فالواجب تطهير الصحاح والمسانيد من كل ما لا يحتمله العقل من حديث هذا المكثار) . أى دخل شائن لجوهر الإسلام وروحه ؟ نحن على استعداد ، بل المسلمون جميعاً مستعدون ، للدفاع عن الإسلام وتخليصه من

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : ٦٦ وانظر أيضاً قول زيد بن أبى أنيسة فى أخيه : صحيح مسلم بشرح النووى : ١٠ / ١٢١ .
(٢) تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٥٥ .

الشوائب ، ولكن أى خرافات وسخافات فى حديث أبى هريرة ؟ وهل يريد منا المؤلف أن ننظر إلى تلك الأحاديث من زاوية معينة ؟ أم أنه يظن أن الأمة بقيت فى غفلة عن تلك الأوهام والضلالات ، طيلة أربعة عشر قرناً لا تعرف جوهر الإسلام ، ولا تميزه من خرافاته ، لقد طعن فى طلائع العلماء وأئمة النقد ، واتهمهم بالسكوت على المنكر ، وهذا يوجب تأثيم الأمة بأجمعها ، ولا أظن أحداً يقول هذا ! ؟ لقد جعل تلك المواكب المتتالية ، والأمواج المتتابعة من أبناء الأمة ، رجال العلم والبحث ، خلال تلك القرون الطويلة ، ينسون أو يتجاهلون ما ورد عن أبى هريرة من تلك الخرافات التى — يزعمها المؤلف — ليتسنى له الكشف عن ذلك على يدى بحثه العلمى !!! فينقذ به الأمة من قيود الجهل والغفلة !! وقد شعر المؤلف بخطر بحثه فقال : (... أقول هذا وأنا أرى وجوهاً تنقبض دونى ، ونفوساً تتقبض مزورة عنى . وقد يكون لها بسبب الوراثة والتربية والبيئة أن تنقبض و تتقبض أمام حقيقة وضعها البحث على غير ما ألفت من احترام الصحابة واعتقاد عدالتهم أجمعين أكتعين أبصعين ، من غير أن تزن أعمالهم وأقوالهم بالموازين التى أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بها أمته لأن الصحبة عندهم بمجردها حرم لا تنال من اعتصم به معرة ولا يمس بجرح ، وإن فعل ما فعل ، وهذا شطط على المنطق وتمرد على الأدلة ص : ج) كيف لا تتقبض النفوس الصافية عن الباطل ؟ وكيف لا يثور المرء المعتدل للحق إذا ديست حرمته ؟ إنه يفترى على الصحابة نقلة الشريعة وحفاظها ، ويريد منا أن نكون فى برد وسلام !! ثم من هم الصحابة الذين فعلوا ما فعلوا وجعلهم الجمهور معصومين ؟ لقد بينت فيما سبق أن من اختلف فى عدالتهم من الصحابة لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة . ومع هذا فقد انتصر لهم ابن العربى وبيّن الحق وأبطل ما ادعاه الخصم .

ثم يتابع قوله مبيناً أحوال الصحابة إلى أن يقول : (هذا رأينا فى حملة الحديث من الصحابة وغيرهم ، والكتاب والسنة بينتنا على هذا الرأى — « ويقول فى هامش ص : د » : ولكن الجمهور بالغوا فى تقديس كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال فاحتجوا بالغث منهم والسمين) —

فالوضاعون لا نعفيهم من الجرح وإن أطلق عليهم لفظ الصحابة ، لأن فى إعفائهم خيانة لله عز وجل ولرسوله ولعباده . . وعلى هذا فقد اتفقنا فى النتيجة وإن قضى الالتواء فى المقدمات شيئاً من الخلاف ، فإن الجمهور إنما يعفون أبا هريرة وسمرة بن جندب والمغيرة ومعاوية وابن العاص ومروان وأمثالهم تقديساً لرسول الله لكونهم فى زمرة من صحبه صلى الله عليه وسلم . ونحن إنما ننتقدهم تقديساً لرسول الله ولسنته صلى الله عليه وسلم شأن الأحرار فى عقولهم ممن فهم الحقيقة من التقديس والتعظيم . ص : د) .

إن بحثه هذا عن أبى هريرة سيبين مقدار محافظته ودفاعه عن السنة ؛ فالدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقديس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون فى طعن أصحابه وتكذيبهم ، والافتراء عليهم ، والاستهزاء بهم ، وهو القائل : « لا تسبوا أصحابى » . و « احفظونى فى أصحابى » ثم إنه بعد ذلك يبين أن كتابه هذا وضعه مخلصاً للحق ، ولا يريد من أحد أن يتقبض وجهه (ص : هـ) ثم يقول : (لا نقصد بهذا الكتاب — شهد الله . أن نصادع هذه الوحدة المتواكلة المتراكة فى هذه اللحظة المستيقظة ، بل نقصد تعزيز هذه الوحدة وإقامتها على حرية الرأى والمعتقد لتكون الوحدة على هذا الضوء أهدى للغاية ، وأدل على القصد) .

وشهد الله أن كتابه معول هدام فى بناء هذه الوحدة . وعامل لتفريق كلمتها ، وتشتيت شملها ، وأن حرية الرأى والمعتقد اللتين يراهما ، إنما هما الفوضوية والعصبية والهوى بعينه ، تحت أسماء مغرية براقة ، فهل الحرية فى التفكير أن يقول من شاء ما شاء ومتى شاء وكيف شاء !! ؟ أم أن الحرية والذوق الفنى والكرامة العقلية خاصة بفئة معينة ، وخاضعة لمقاييس شخصية تتبدل حسب الميول والأهواء ؟ أم أن الكرامة العقلية والتفكير العلمى مجرد الدفاع عن مبدأ مهما كان نصيبه من الصواب والخطأ ؟؟ لا أظن أحداً يوافق على مثل هذا . فالتفكير العلمى والذوق الفنى يكونان على أسس ثابتة لا تتأثر بنزعة أو هوى ، أسس عامة شاملة لا تنظر النظرة الخاصة الضيقة ، أسس مبنية على منهج علمى سليم .

ثم يسرد الكاتب ألواناً موجزة فى مقدمته مما جاء فى كتابه ، كخلاصة أو فكرة عامة عن جهوده وبحثه ، مما سنعرض له بما يتناسب وهذه الرسالة الموجزة . أتحرى الحق ، غير منحاز إلى فئة أو متأثر بهوى : أبحث ما جاء فى كتابه وأشير أحياناً إلى ما ذكره بعض الطاعنين فى أبى هريرة إذا ما اقتضى الأمر ، لاشتراك المؤلف وبعض الطاعنين فى فكرة أو رأى .. ، وستكون هذه الدراسة على ضوء ما عرفناه من حياة أبى هريرة ، وعلمه فى الباب السابق ، ولن أبادل الطاعنين استهزاءهم وازدراءهم لأبى هريرة ، بازدراء مثله ؛ ولن أرد شتائمهم وسبابهم وافتراءاتهم بمثل ما فعلوا ، لأن المنهج العلمى يأبى هذا كله .

❋ ❋ ❋

١ — اسمه ونسبه :

يقول الكاتب : (كان أبو هريرة غامض الحسب ، مغمور النسب فاختلف الناس فى اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً . لا يحاط به ولا يضبط فى الجاهلية والإسلام . وإنما يعرف بكنيته ، وينسب إلى دوس : ص ٢) .

أراد أن يغض من قدر أبى هريرة ، ويغمز نسبه لأنه لم يكن معروفاً فى الجاهلية ، ولاختلاف الناس فى اسمه ، ومتى كان الاختلاف فى اسم إنسان يشينه أو يسقط عدالته ؟ ويكفى أن نعرفه بكنيته كما عرفنا أبا بكر وأبا عبيدة وأبا دجانة الأنصارى وأبا الدرداء ، الذين اشتهروا بكناهم وغابت أسماؤهم عن كثير من الناس . . ولم نسمع فى يوم من الأيام أن الحسب والنسب يقدم صاحبه فى المفاضلة العلمية أو يؤخره . ثم إنه اشتهر بكنيته من صغره وعرفه الناس جميعاً بذلك ، فما يضيره أن يعرف بكنيته ويختلف اسمه ؟ والاختلاف فى الاسم طبيعى وبدهى لا فى أبى هريرة وحده بل فى كل إنسان عرف بكنيته منذ نعومة أظفاره ، ولم هذه الحملة وإيهام القارىء بأن اسمه لا يحاط به ولا يضبط ؟ ومرد الخلاف فيه إلى ثلاثة أسماء (عمير وعبد الله وعبد الرحمن) كما قال ابن حجر(١) ، وقد اختلف فى

---

(١) الإصابة : ٧ / ٢٠١ .

اسم غيره على أكثر من ذلك ولم ير فيهم عيباً أو مطعناً بسبب ذلك ! ! .

ثم يقول : (وكنى أبا هريرة بهرة صغيرة كان مغرماً بها ولعل من غرامه بها حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها ص ٣ — ٤) .

إن أبا هريرة الطفل الصغير الذى كان يرعى غنم أهله ، ويداعب هرته فى نهاره ويضعها فى شجرة أثناء الليل ، ما كان يظن ولا يتوقع أن تصبح كنيته سبب مهانته وازدرائه ؛ فأى عار لأبى هريرة فى كنيته وأى إثم اقترفه حين لقبه أهله بذلك .

ثم نحن أمام زعم خطير من المؤلف ، فإما يتهمه أنه وضع حديث الهرة على رسول الله ، أو أنه سمعه فحدث به ، فإن كانت الأولى ، فمعاذ الله أن يجرؤ أبو هريرة ويكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل هرته التى رافقته فى صغره . ثم إن الحديث قد رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم والدارمى وابن ماجه . وصحيح أن راويه فى مسلم أبو هريرة وحده وأما فى البخارى فلم يتفرد به أبو هريرة بل رواه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر وأسماء بنت أبى بكر(١) ، فهل هؤلاء شاطروا أبا هريرة فى كذبه !! ؟ أم أن لهؤلاء هرراً حملتهم على وضع مثل حديث أبى هريرة !!! ؟ إن الحقيقة ترد هذا الافتراض والتخمين الذى تصوره المؤلف .

وإذا كان المؤلف يقصد الثانية وهى سماع أبى هريرة الحديث والتحديث به ، فأى جريمة يقترفها من يبلغ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى حض الصحابة على نقل وتبليغ حديثه ؟ فهل يؤخذ على أبى هريرة أمر منكر فى هذا !! ؟ أم أن المؤلف نظر من زاوية خاصة إلى زاوية الإسلام فكانت لا تعكس عليه إلا ما فى نفسه من الظلمات ؟ .

نحن فى موضع الحكم على صحابى ، بل على إنسان له شعوره وكرامته ؛

---

(١) فتح البارى : ٥/٤٣٩ وصحيح مسلم : ٤/٢٠٢٣ و ٢١١٠ .

وحقوقه الاجتماعية — أقول هذا بغض الطرف عن مكانة وشرف الصحبة — والحكم على إنسان مهما كان شأنه صعب يحتاج إلى روية ، وبحث وتنقيب ، وعقل وتفكير ، لأننا إذا طعنا فيه يعني ذلك أننا حرمناه من جميع حقوقه الاجتماعية ، والثقافية والسياسية وغيرها : ورفضنا كل ما يصدر عنه وتركنا كل ما رواه أو قاله . وإن حكمنا بعدالته نكون قد اعترفنا له بكل حقوقه وأقررنا وقبلنا مروياته ، ولهذا وجب علينا أن نتجرد ، لنرضى الله تعالى ونكون مع الحق الذى أمرنا باتباعه وتطبيقه . وإن كان فى هذا غضب أصحاب الأهواء والغايات .

* * *

٢ — نشأته وإسلامه :

قال الكاتب : (نشأ فى مسقط رأسه « اليمن » وشب ثمة حتى أناف على الثلاثين ، جاهلياً لا يستضيء بنور بصيرة ، ولا يقدح بزناد فهم ، صعلوكاً قد أخمله الدهر ويتيما أزرى به الفقر ، يخدم هذا وذاك وتى وتلك ، مؤجراً نفسه بطعام بطنه حافياً عارياً ، راضياً بهذا الهوان ...) .

أترك القارىء الأمين يحكم على هذا النص ويستنتج منه روح ونفسية الكاتب الذى وضع نفسه قاضياً أو حكماً لينصف الإسلام فى شخصية أبى هريرة ، ويضع أبا هريرة حيث يليق به .

أيها الناس.. هل من إنسان متجرد للحق وحده يقبل أن يقال فى أبى هريرة هذا . . بعد أن رأى الصورة الصادقة التى لم يخالطها هوى ، أو تعتريها رغبات نفس حقودة ، أو طائفية موروثة !! ؟؟ .

نحن نقبل الذوق الفنى والمقياس العلمى الذى ادعاه الكاتب فى مقدمة كتابه . فنقول : متى كان الجهل يسقط العدالة ؟ وهل كان جميع الناس فى الجاهلية متعلمين أو علماء ؟ ألم يكن كثير من الصحابة أميين جاهلين قبل الإسلام فشرح الله صدورهم للإيمان ، وثبته فى قلوبهم ، فغدوا سادات زمانهم ، وعلماء عصرهم ، وأساتذة أممهم .

وغريب كيف استنتج هذا الكاتب عدم فهم أبي هريرة ؟ هل استعمل معه مقاييس الحفظ والذكاء ؟ أم أن هذا قدح ضمير وتحليق نخبير ؟ أم أنه ابداع بلا تفكير !! ؟ .

وما يضير أبا هريرة إذا لم ينتشر صيته فى الآفاق ، وهل كان وحده كذلك أم أن أبا بكر وعمر وعثمان وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وأكثر الصحابة كانوا غير معروفين قبل الإسلام ؟ وهل يجرؤ امرؤ أن يسلب عدالة هؤلاء وغيرهم لأن شهرتهم لم تطر فى مشارق الأرض ومغاربها قبل أن يكونوا مسلمين ؟ . أما أنه يرمى أبا هريرة بالتصعلك فهذا لا نرضاه منه ولا من غيره . فإن كان يريد بها ما يفهمه عوام عصرنا ، من الدناءة والخسة وانحطاط القدر والتطفل ، فيكون قد حكم عليه من غير دليل ولا حجة . وإن كان يريد بها الفقر والفاقة — وهو المعنى اللغوى — فلا داعى لتكرار كلمة (الفقر) ثانية فى جملة واحدة ، وهذا لا يليق بمن يتصدر للكتابة والحكم ، لأن فى الإطالة ما يصدم النفس ، ويسىء إلى الذوق ، والكاتب لا يحب أن يجرح أذواق قرائه ، لأنه يحب الذوق الفنى السليم ، فتعين أن مراده المعنى الأول ، وهو أمر وأدهى .

أجل . . لم يكن أبو هريرة غنياً ، ولا أرستقراطياً ، إنه أحد ملايين الفقراء الذين عاشوا كراماً رغم الفاقة والحرمان . ومتى كان الفقر رذيلة أو عاراً ؟ إننا لم نسمع فى عصر من العصور بسقوط عـــدالة إنسان ، أو احتقاره بسبب فقره ، وأن مثل هذا الحكم لا يصدر إلا فى بيئة مادية ، يعيش أبناؤها مترفين مبذرين . . أو فى مجتمع تحكمت به عادات الأرستقراطية وحفنة أعرافها وتقاليدها . .

وما كنا نظن أن يحكم الكاتب على أبى هريرة بالمهانة والازدراء لكونه فقيراً ، لأننا على علم يقين بأنه ليس واحداً ممن ذكرنا ، وهو الذى قال فى مقدمة كتابه : إنما يحكم بما أمر الله ورسوله ، ويتبع فى بحثه الحق ، فعلى أى أساس بنى حكمه هذا !! ؟ هل فى القرآن أو السنة ما يجعل الفقر عيباً أو عاراً ؟ . . كلا . . فها هو يجانب المنهج العلمى الذى وضعه لنفسه .

ثم هل في عمل أبي هريرة وسعيه — كي لا يكون عالة على قومه — عيب ؟ وهل كان العمل في يوم من الأيام عاراً ؟ .

وأغرب من هذا أنه يأخذ على أبي هريرة (حفاه) ويدعى (عريه) راضياً بهذا الهوان .

أقول هل كان جميع الناس ينتعلون الأحذية والنعال ؟ ومتى كان مقياس العدالة الانتعال أو عدمه ؟ ونحن في القرن العشرين ما سمعنا في يوم من الأيام بسقوط عدالة حاف ، أو ثبوت عدالة منتعل !! والحفاة كثيرون . فالناس سواء حفاتهم ومنتعلوهم ، وإنما المفاضلة في التقوى وحسن الخلق ، كما قال تعالى : « **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** »(١) .

وإني لأعجب من ادعائه (عرى) أبي هريرة ، وأتساءل كيف استنتج هذا ؟ ومن نقل إليه ذلك ؟ . ثم هل في كل ما سبق هوان وذل لأبي هريرة رضي الله عنه ؟ .

ثم يقول الكاتب: (لكن لما أظهر الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم في المدينة الطيبة بعد بدر وأحد والأحزاب وبعد اللتيا والتي ، لم يكن لهذا البائس المسكين حينئذ مذهب عن باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهاجر إليه بعد فتح خيبر فبايعه على الإسلام . وكان ذلك سنة سبع للهجرة باتفاق أهل الأخبار أما صحبته فقد صرح أبو هريرة — في حديث أخرجه البخاري — بأنها إنما كانت ثلاث سنين : ص ٥) .

لقد سبق أن بينت أن الفقر والمسكنة لا يحطان من قدر المرء ومكانته إلا عند من أعمت المادة قلوبهم ، ولم يكن دخول الجنة مشروطاً باللبس والبذخ . « فرب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره »(٢) . ولعل المؤلف يرد هذا الحديث لأن راويه أبو هريرة .

ثم إن أبا هريرة أسلم قبل خيبر على يد الطفيل بن عمرو (٣) وإنما هاجر

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) صحيح مسلم : ٤/٢٠٢٤ و ٢١٩١ .

(٣) الإصابة : ٣/٢٨٧ وانظر في هذا الكتاب « إسلامه وهجرته » .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام فتح خيبر ، فأكرمه الرسول صلى الله عليه وسلم وأسهم له كما فى إحدى الروايات ، وأشار أبو هريرة حينذاك على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يقسم لأبان بن سعيد بن العاص ، لأنه قاتل ابن قوقل(١) . وابن قوقل هو النعمان صحابي استشهد يوم أحد . فهذا دليل على أن أبا هريرة كان قد أسلم قبل خيبر وكان يتتبع أخبار المسلمين قبل هجرته إلى المدينة . وأنه من ذوى الرأى يتقدمون به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو علمنا جدلا بأنه أسلم يوم خيبر ، أنعيب عليه إسلامه هذا ؟ ألم يسلم بعد خيبر خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن أبى طلحة وغيرهم ؟ .

وأما أن صحبته ثلاث سنوات كما قال أبو هريرة نفسه ، فهذا من باب التقريب لا من باب الحصر ، فأبو هريرة لم يعلم أنه سيأتى فى آخر الزمان من يعصى عليه أيام صحبته ، ويتتبع مناقصه ويزدريه لفقره ، ويرى فى هذا لوناً من الهوان والذل . وإذا عرفنا أن غزوة خيبر كانت فى (محرم) من السنة السابعة ، أى فى أول تلك السنة واستمرت الغزوة نحو ثلاثين يوماً ، وأن أبا هريرة قدم المدينة على أشهر الروايات أيام فتح خيبر ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبها أى فى العشر الأول من صفر ، وأن وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام كانت يوم الاثنين (١٣ ربيع أول سنة ١١ للهجرة الموافق ٨ يونيو سنة ٦٣٣م)(٢) — إذا عرفنا ذلك — تبين أن أبا هريرة قد تشرف بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنوات وثلاثة وثلاثين يوماً . وإذا أراد أبو هريرة من تصريحه بالسنوات الثلاث الحصر ، يكون قد رفع من صحبته وملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم ما قضاه فى البحرين مع العلاء الحضرمى سنة ثمان للهجرة .

❋ ❋ ❋

---

(١) فتح البارى : ٦ / ٢٨١ والبخارى بشرح السندى : ٣ / ٥٥ .

(٢) نور اليقين : ٢٧٤ .

٣ — على عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

وصفه بالفقر وأنه من أهل الصفة الذين لا مأوى لهم ولا معين (ص ٥ — ٨) ونسى أو تناسى أن يبين أن أهل الصفة كانوا أضياف الإسلام ، وقفوا أنفسهم للجهاد فى سبيل الله وطلب العلم ، وكانوا صلة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعامة المسلمين ، فإذا ما أراد أن يبلغ تنزيلا أو يجمع المسلمين دعا بعض أهل الصفة لينادوا فى المسلمين ويجمعوهم ، وكان أكثرهم من المهاجرين وفيهم كرام الصحابة ، وكان يحبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكرمهم ، وكثيراً ما كان يأكل معهم .

ثم عرض الكاتب جوع أبى هريرة وفقره ، وملازمته رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه ، وفى هذا كله لم ير براءة أبى هريرة وصفاء نفسه وحسن سريرته ، بل حاول أن يعرضه على القارىء عرض الفقير البائس ، المنقطع المتشرد الذى يستجدى الصحابة ويلازم الرسول فقط ليشبعه ، لم ير فى ذلك حرصه على العلم وعدم طمعه فيما فى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصوره الجائع المتهاوت من جوعه : يريد فتات الموائد ، ويطلب الحياة الدنيا ، وأغمض الكاتب عينيه عن الروايات الثابتة التى تبين حقيقة ملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام ، وزهده فى الدنيا وانقطاعه لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم طلباً للعلم ، وقد سأله رسول الله : «ألا تسألنى من هذه الغنائم التى يسألنى أصحابك» ؟ فقال أبو هريرة : أسألك أن تعلمنى مما علمك الله (١) .

ثم ذكر الكاتب ثناء أبى هريرة على جعفر بن أبى طالب لأنه كان للمساكين عوناً يكرمهم ويواسيهم . ويختم هذه الفقرة بقوله : (وما زالت الصفة موطن أبى هريرة الذى يطمئن إليه ليلا ونهاراً لا يأوى إلى ما سواها حتى ارتحل النبى صلى الله عليه وسلم من هذه الدار الفانية ، ولحق بالرفيق الأعلى ، وقبل ذلك لم يقم أبو هريرة بشىء يعود عليه بشبع بطنه سوى

---

(١) حلية الأولياء : ١ / ٣٨١ والبداية والنهاية : ٨ / ١١١ .

القعود فى طريق المارة ينزع إليهم بجوعه ، لا تحفزه مهمة ولا يذكر فى حرب ولا فى سلم) .

هكذا أراد أن يختم الكاتب حياة أبى هريرة فى عهد رسول الله . مهيناً ذليلا يستجدى أكف المارة . أمن العدالة ؟ أم من الحق ؟ أم من الوجدان العلمى والذوق الفنى الذى يدعيه الكاتب أن يصور أبا هريرة بهذه الصورة ؟ أبو هريرة الصحابى الذى ترك الدنيا وراءه . وهاجر إلى رسول الله حباً فى الإسلام وطاعة لله : ولازم النبى الكريم أربع سنوات لا يريد منه إلا العلم الطيب الكثير . أبو هريرة الذى ترك الدنيا لأهلها ووقف نفسه للعلم وخدمة الرسول صلى الله عليه وسلم مقابل كلمات يعلمه إياها ومواعظ يؤدبه بها . أبو هريرة الذى عرفنا عفة نفسه وكرم أخلاقه وشهامته يوم أراد عمر أن يوليه على البحرين ثانية فأبى أن يقبلها بعد أن نزعت منه . يصوره الكاتب الأمين تلك الصورة التى لا يرضاها له حق بل ينفيها الواقع والتاريخ .

* * *

٤ — على عهـــد الخليفتين :

يقول الكاتب فى (الصفحة ١٤ — ١٥ : ألممنا بأخبار الخليفتين واستقرأنا ما كان على عهدهما فلم نجد لأبى هريرة أثراً يذكر سوى أن بعثه عمر والياً على البحرين سنة إحدى وعشرين ، فلما كانت سنة ثلاث وعشرين عزله . وولى عثمان بن أبى العاص الثقفى ، ولم يكتف بعزله ، حتى استنقذ منه لبيت المال عشرة آلاف زعم أنه سرقها من مال الله فى قضية مستفيضة) . ويحيلنا الكاتب إلى العقد الفريد .

أما أنه ألم بأخبار الخليفتين ، واستقرأ ما كان على عهدهما ، فلم يجد لأبى هريرة أثراً يذكر : فهذا مجرد زعم وادعاء ، فإن أبا هريرة اشترك فى حروب الردة فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، فقد روى الإمام أحمد ما دار بين أبى بكر وعمر عن أبى هريرة وفيه (فلما كانت الردة قال عمر لأبى بكر تقاتلهم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول كذا وكذا ؟ قال فقال أبو بكر : والله لا أفرّق بين الصلاة والزكاة ، ولأقاتلن من فرق بينهما ، قال— أبو هريرة— فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشداً) (١)

وكان يعرّ عوقف أبي بكر رضى الله عنه ويثنى عليه . فقد أخرج البيهق وابن عساكر عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : والذى لا إله إلا هو . . لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله تعالى . ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، فقيل له : مه يا أبا هريرة ! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد فى سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذى خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب حول المدينة ، واجتمع إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : رُدَّ هؤلاء، تُوجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟ فقال : والذى لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشاً وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا حللتُ لواء عقده ، فوجه أسامة ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ، ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام)(٢) .

وفى عهد عمر رضى الله عنه اشتغل فى طلب العلم والتعليم ورافق أمير المؤمنين فى حجه . وحدثه حديث الريح عندما اشتدت بهم حين لم يذكر أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آنذاك شيئاً فيها (٣) ، كما اشترك فى وقعة اليرموك كما أسلفنا . فلم يخمل ذكر أبي هريرة فى عهد الخليفتين الراشدين إلا أن الكاتب لم يلم بأخبارهما كما ادعى . وأما ولايته على البحرين والرواية التى ذكرها ابن عبد ربه من غير سند ، ويستشهد بها المؤلف فيقول (ثم دعا أبا هريرة ، فقال له : علمت أنى استعملتك على البحرين . وأنت بلا نعلين ، ثم بلغنى أنك ابتعت أفراساً بألف دينار

---

(١) مسند الإمام أحمد : ١٨١/١ بإسناد صحيح .

(٢) البداية والنهاية ص ٣٠٥ ج ٦ ، والخلفاء للسيوطى ص ٧٤ ، والكامل ص ٦٢ ج ٢

(٣) مسند الإمام أحمد : ٥٢١/٤ رقم ٧٦١٩ بإسناد صحيح .

وستمائة دينار قال — (أبو هريرة) — كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت ، قال : حسبت لك رزقك ومؤنتك ، وهذا فضل فأده . قال : ليس لك ذلك . قال : بلى والله وأوجع ظهرك . ثم قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه . ثم قال : ائت بها ، قال : أحتسبها (١) عند الله ، قال : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً . أجئت من أقصى حجر البحرين (٢) . يجبى الناس لك لا لله ولا للمسلمين ؟ ما رجَّعَتْ(٣) بك أميمة إلا لرعية الحمر) (٤) . رأى المؤلف هذه الرواية توافقه فاستشهد بها ، ولم يذكر الرواية التي بعدها مباشرة ، فليس في تلك ضرب عمر لأبي هريرة ، بل فيها ردّ أبي هريرة على عمر حين قال له : ياعدو الله سرقت مال الله ، قال أبو هريرة : ما أنا عدو الله وعدو كتابه ، ولكني عدو من عاداهما . .

إن ما استشهد به المؤلف مجرد عن السند ، فلو كان لروايته في الأصل سند أمكننا أن نتعرف من خلاله مقدار صحتها ، بينما وردت الرواية الثانية التي لم تنص على ضرب عمر لأبي هريرة في مراجع كثيرة جداً بأسانيد صحيحة ،في حلية الأولياء وطبقات ابن سعد وتاريخ الإسلام والإصابة وفي عيون الأخبار ، وقد ذكرت هذا في ترجمته ، فهذه الرواية التي استشهد بها المؤلف تردّ لأنها تخالف روايات أصح منها . ولو فرضنا صحتها ، فإن الرواية الثانية التي تليها وليس فيها ضرب عمر لأبي هريرة ، بل فيها مناقشة أبي هريرة عمر ، وبيان طريق أمواله التي جمعها ، ورده اتهامه الذي وجهه إليه ؛ أقول إن هذه الرواية تصحح ما قبلها ، وتلقي ضوءاً عليها إذ فيها (فقبضها — الدراهم — مني فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين) .

إن أبا هريرة يستغفر لأمير المؤمنين الذي شاطره ماله ، وهو يعلم

(١و٢و٣و٤) في العقد الفريد : ١/٣٤ : احتسبتها ... ومن أقصى حجر بالبحرين . ورجعت من غير تشديد الجيم . قال الكاتب في هامش الصفحة (١٥) : (الرجيع والرجيع العذرة والروث سميا رجيعاً لأنهما رجعا من حالتهما الأولى بعد أن كانا طعاماً وعلفاً .. وكلمة الخليفة هذه من أفظع كلمات الشتم) . أقول إن سوء فهم الكاتب للنص وهواه جعلاه يفسر هذه الكلمة بما فسر ، بينما الحقيقة ما رجعت أي ما عادت . والنص لا يحتمل أكثر من هذا التفسير . فلم هذا التحامل ؟ وهل هذا سبيل الباحث النزيه !! ؟ .

أن ما أخذه الأمير منه إنما هو عطاياه وأسهمه ، ومع هذا لم يحقد على عمر رضى الله عنه بل شعر فى نفسه أنه مظلوم ، فراح يستغفر لأميره . .

هذا إذا اعتبرنا صحة الرواية ، علماً بأن الروايات الأخرى تقول : (قال : فمن أين هى لك ؟ قلت : خيل نتجت ، وغلة رقيق لى ، وأعطية تتابعت علىّ ، فنظروا ، فوجدوه كما قال) (١) وفى بعضها أنه أخذ منه إثنى عشر ألفاً (٢) وأرجح أن عمر رضى الله عنه شاطره ماله ، كما شاطر غيره من الأمراء ، إلا أنه لم يضربه ، وفى الحقيقة إن ابن عبد ربه يقول : (ولما عزل عمر أبا موسى الأشعرى عن البصرة وشاطره ماله وعزل أبا هريرة عن البحرين وشاطرة ماله ، وعزل الحارث بن كعب بن وهب وشاطره ماله . . ودعا أبا موسى . . ثم دعا أبا هريرة . .) (٣) وقاسم عمر سعد بن أبى وقاص ماله حين عزله عن العراق (٤) ، فعمر لم يتهم أبا هريرة ولم يشاطره ماله وحده بل تلك كانت سياسته مع ولاته ، كى لا يطمع امرؤ فى مال الله ، ويحذر الشبهات ، وكان يعزل ولاته لا عن شبهة ، بل من باب الاجتهاد وحسن رعاية أمور المسلمين ، فلما عزل (المغيرة بن شعبة عن كتابة أبى موسى ، قال له : أعن عجز أم خيانة يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكنى أكره أن أحمل فضل عقلك على العامة) (٥) .

وكتاب عمر رضى الله عنه إلى العلاء بن الحضرمى يؤكد سياسته مع جميع ولاته وعماله فقد جاء فى كتابه : (سر إلى عتبة بن غزوان — كان والياً على البصرة — فقد وليتك عمله ، واعلم أنك تقدم على رجل من المهاجرين الأولين الذين سبقت لهم من الله الحسنى لم أعزله ألا يكون عفيفاً صليباً شديد البأس ، ولكنى ظننت أنك أغنى عن المسلمين فى تلك الناحية

(١) تاريخ الإسلام : ٢/٣٣٨ ، وحلية الأولياء : ١/٣٨٠ ، والبداية والنهاية : ٨/١١١ .
(٢) طبقات ابن سعد : جـ ٤ ، القسم الثانى ص ٥٩ .
(٣) العقد الفريد : ١/٣٣ .
(٤) انظر طبقات ابن سعد ، ص ١٠٥ ، قسم ١ ، جـ ٣ .
(٥) العقـد الفريد : ١/٦٠ .

منه ، فاعرف له حقه . وقد وليت قبلك رجلا فمات قبل أن يصل ، فإن يرد الله أن تلي وليت . وإن يرد الله أن يلي عتبة فالخلق والأمر لله رب العالمين . .) (١) .

أما أنه ضربه فإنه غير معقول لأن عمر رضي الله عنه يعرف مكانته ومنزلته ، وأما أنه أهانه وقال له : (استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين) ، فالواقع يكذب هذا لأن جميع المسلمين تحسنت أحوالهم أيام عمر ، وكثر عطاؤهم عندما فتحت البلاد المجاورة فأغدقت عليهم الغنائم والأموال الكثيرة . وإلى جانب هذا لم يرد في الروايات الصحيحة المعتمدة شيء من ذلك .

وهناك ما يدل على عدم اتهام عمر لأبي هريرة ، ويدل على استقامته وأمانته ، وهو أن أمير المؤمنين عاد إلى أبي هريرة ، وطلب أن يستعمله ثانية على البحرين فأبى . وأن هذه الرواية تتمة ما نقله الكاتب . إلا أنه حذفها كي لا يظهر بطلان ما يدعيه ، وليتمم طعنه في أبي هريرة وفيها (فقال لي بعد ذلك : ألا تعمل ؟ قلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف صلوات الله عليه . قلت : يوسف نبي وأنا ابن أميمة ، أخشى أن يشتم عرضي ، ويضرب ظهري ، وينزع مالي) (٢) . هذا النص تتمه الخبر الذي رواه الكاتب وأبى أن يثبته للحقد الذي في نفسه على راوية الإسلام ، وهذا النص يؤكد عدم ضرب عمر لأبي هريرة إذ لو صح أنه ضربه لقال له أبو هريرة : لن أعود بعد أن شتم عرضي وضرب ظهري . وهكذا ثبتت براءة أبي هريرة مما تجناه عليه الكاتب .

***

٥ — على عهد عثمان : (ص ١٦ — ٢١) :

لقد رأينا موقف أبي هريرة يوم الدار ، وكيف حث الناس على الدفاع عن أمير المؤمنين ، إلا أن عثمان رضي الله عنه منعهم من القتال .

---

(١) طبقات ابن سعد ، ص ٧٨ ، قسم ٢ ، ج ٤ .

(٢) العقد الفريد : ١/٣٤ — ٣٥ و ٦٠ .

وأجمعت كل الروايات على وجود أبى هريرة بين من دافع عن عثمان رضى الله عنه يوم الدار .

إلا أن المؤلف يصوره بالمنتهز المستغل لتلك الفتنة من أجل تحقيق مآربه وغاياته ، فيقول بعد ذلك : (وبهذا نال نضارة بعد ذبول ونباهة بعد خمول) ويقول : (وكان أبو هريرة على علم بأن الثائرين لايطلبون إلاعثمان ومروان ، وهذا ما شجعه على أن يكون فى المحصورين) . لا أدرى كيف قرأ سريرة أبى هريرة واطلع عليها ، وليس لنا إلا الظاهر ، فقد كان محصوراً فى الدار مع عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين فكل افتراض يفترضه بالنسبة لأبى هريرة يفترض بالنسبة لمن كان معه فهل يقبل المؤلف هذا لسيدى شباب أهل الجنة ! ؟ .

ثم يقول : (ومهما يكن فقد اختلس الرجل هذه الفرصة فربحت صفقته وراجت سلعته ، وأكب بعدها بنو أمية وأولياؤهم على السماع منه فلم يأل جهداً فى نشر حديثه والاحتجاج به . وكان ينزل فيه على ما يرغبون) . ثم استشهد بأحاديث موضوعة على أبى هريرة وحمله وزر وضعها وهو لا يد له فيها . وعلق فى هامش (ص ١٨ و ١٩) (أن أولياء أبى هريرة يحيلون الآفة بها على رواة فى أسانيدها) . ويأبى هو إلا أن يجعل أبا هريرة وضاعاً وألعوبة فى أيدى الأمويين ، والأمويون لم يظهروا بعد . . . ! ؟ .

***

٦ — على عهد على (ص ٢١ — ٢٦) :

بينت فيما سبق اعتزال أبى هريرة جميع ما جرى من حوادث بعد استشهاد عثمان رضى الله عنه ، إلا أن المؤلف يأبى ألا أن يعتمد على روايات ضعيفة ليشرك أبا هريرة فى بعض هذه الحوادث ، وليته يكتفى بذلك ، بل يعرض ما يريد مستهزئاً مزدرياً . فيقول : (خفت صوت أبى هريرة على عهد أمير المؤمنين ، واحتبى برد الخمول ، وكاد أن يرجع إلى سيرته الأولى ، حيث كان هيان بن بيان ، وصلعمة بن قلعمة قعدا عن نصرة أمير المؤمنين فلم ينضو إلى لوائه ، بل كان وجهه ونصيحته إلى أعدائه) .

ثم ساق رواية واهية مفادها أن معاوية أرسل أبا هريرة والنعمان بن بشير ليفاوضا علياً ويأخذا قتلة عثمان إلى معاوية ، لتجتمع كلمة المسلمين بعدها ؛ وأقام النعمان بن بشير عند على وعاد أبو هريرة إلى معاوية وأخبره بما حدث فى محاولتهما . قال المؤلف : (فأمره معاوية أن يعلم الناس ففعل ذلك وعمل أعمالا ترضى معاوية) وهذه الرواية لم ترو بسند صحيح قط ولم أجدها إلا فى نهج البلاغة .

ثم إن صحت الرواية فهل يعاب على أبى هريرة أن يكون وسيط خير وداعياً إلى جمع كلمة المسلمين ! ! ؟ وأما ما ذكره ابن قتيبة من قدوم أبى هريرة وأبى الدرداء على معاوية وعلى رضى الله عنهما ومناصحتهما معاوية لحقن دماء المسلمين ثم اتصالهما بعلى رضى الله عنه من أجل قتلة عثمان ، فإنها تدل على اعتزال أبى هريرة الفتنة ومحاولة جمع كلمة المسلمين ، بالرغم من ضعف هذه الرواية (١) .

ثم يقول الكاتب : (وحين حمى وطيس الحرب ورد على أبى هريرة من الهول ما هزم فؤاده وزلزل أقدامه ، وكان فى أول تلك الفتنة لا يشك فى أن العاقبة ستكون لعلى ، فضرب الأرض بذقنه قابعاً فى زوايا الخمول يثبط الناس عن نصرة أمير المؤمنين بما يحدثهم به سراً ؛ وكان مما قاله يومئذ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم » ص : ٢٤) .

هل بعد هذا النص شك فى أن الكاتب متحامل على أبى هريرة ؟ إنه يدعى البحث العلمى والذوق الفنى ، ثم يسيره هواه أنى يشاء ضارباً بما ادعى عرض الحائط ! ! ويأبى أن يقبل ما دل من النصوص على اعتزال أبى هريرة جميع الحوادث ، التى دارت بين على ومعاوية رضى الله عنهما .

ويحاول الكاتب أن يستنتج من غزوة بسر بن أبى أرطأة الحجاز واليمن قبول أبى هريرة ولاية المدينة . فيقول : (وفى ختام هذه الفظائع أخذ

---

(١) الإمامة والسياسة : ٢/١٧٥ .

(بسر) البيعة لمعاوية من أهل الحجاز واليمن عامة ، فعندها باح أبو هريرة عما فى صدره واستراح إلى بسر بن أرطأة بمكنون سره ، فوجد بسر منه إخلاصاً لمعاوية ونصحاً فى أخذ البيعة له من الناس فولاه على المدينة حين انصرف عنها وأمر أهلها بطاعته ص : ٢٥) وهذا لم يثبت قط وقد بينت الصواب فيما سبق من حياة أبى هريرة (١) .

***

٧ — على عهد معاوية (ص ٢٦ — ٣١) :

قال الكاتب : (نزل أبو هريرة أيام معاوية إلى جناب مريع وأنزل آماله منه منزل صدق ، لذلك نزل فى كثير من الحديث على رغائبه فحدث الناس فى فضل معاوية وغيره أحاديث عجيبة) ثم تكلم عن وضع الحديث فى عهد الأمويين وكثرة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وادعى أن أبا هريرة كان فى الرعيل الأول من هؤلاء فحدث بأحاديث منكرة ذكرها ابن عساكر وغيره ، وساق أحاديث موضوعة لايقبلها عقل ولا يرضاها ضمير ، وضعها أتباع الأمويين بعد عهد معاوية ، نكاية بأتباع أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وجميع ما ادعاه يعرف أهل السنة مفتريه ووضاعه ، ويقول الكاتب (ص٢٩—٣١: غير أنهم لم يجعلوا الآفة فيها من أبى هريرة نفسه وإنما جعلوها ممن نقلها عنه . . وكذلك فعلوا فى سائر ما صنعته يدا أبى هريرة مما ضاق ذرعهم . . وله فى صحيحى البخارى ومسلم أحاديث أفرغها على هذا القالب وحاكها على هذا المنوال) .

إن الكاتب يتهم أبا هريرة اتهامين خطيرين ؛ الأول أنه تشيع لبنى أمية ، والثانى أن حبه لبنى أمية حمله على وضع الحديث لهم (أى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

ولهذا يعقد فصلين من كتابه ليبين (أيادى بنى أمية عليه) ثم (تطوره

---

(١) انظر « أبو هريرة فى عهد على » من هذا الكتاب .

فى شكر أياديهم) وسنرد هذين الاتهامين بنقض حججه ، وبيان وجه الحق فى ذلك فنبدأ برد الشبهة الأولى .

أولا — هل تشيع أبو هريرة للأمويين :

إن أهل العلم جميعاً يعلمون أن أبا هريرة كان محباً لأهل البيت ، ولم يناصبهم العداء قط ، ومشهور عنه أنه تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان يحب من أحبه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأبو هريرة هو الذى كشف عن بطن الحسن بن على رضى الله عنهما وقال : أرنى أقبل منك حيث رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ، وقبل سرته (١) .

ثم إن أبا هريرة لم يكن دائماً على صلة حسنة بمعاوية ، فقد كان يعزله عن المدينة ويعين مروان بن الحكم ، ومن العجيب أن يدعى إنسان نهل من العلم بعضه أن أبا هريرة يكره علياً وأهله ، بعد أن يسمع ما دار بين مروان بن الحكم وأبى هريرة ، حين أراد المسلمون دفن الحسن مع النبى صلى الله عليه وسلم . فكان مما قاله : (والله ما أنت بوال ، وإن الوالى لغيرك فدعه ، ولكنك تدخل فيما لا يعنيك ، إنما تريد بهذا إرضاء من هو غائب عنك . يعنى معاوية . .) ! ! (٢) ولكن الكاتب المتحامل على أبى هريرة والذى امتلأ قلبه ضغناً وحقداً عليه يرى هذا مجرد رياء ومؤامرة مدبرة بينهما . ! ! (٣) ونرى أبا هريرة ينكر على مروان بن الحكم فى مواضع عدة ، فهل هذا الإنكار أيضاً من باب المؤامرات التى يدبرها مروان وأبو هريرة لمخادعة العامة — كما زعم مؤلف كتاب (أبو هريرة) ؟ ، لقد أنكر عليه عندما رأى فى داره تصاوير فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقول الله عز وجل : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق

---

(١) مسند الإمام أحمد : ١٣/١٩٥ ، رقم ٧٤٥٥ .

(٢) البداية والنهاية : ٨/١٠٨ .

(٣) انظر أبو هريرة لعبد الحسين : ٤٠ — ٤١ ،

خلقاً كخلقي ! فليخلقوا ذرة » (١) وأبطأ مروان بن الحكم يوماً بالجمعة فقام إليه أبو هريرة فقال له : (أتظل عند ابنه فلان تروّحك بالمرواح وتسقيك الماء البارد ، وأبناء المهاجرين والأنصار يصهرون من الحر ؟ لقد هممت أن أفعل وأفعل ، ثم قال : اسمعوا من أميركم) (٢) فهل هذا موقف المتشيع لبني أمية ، النازل على رغباتهم في الحديث ، الداعي لهم ! ! أم أن هذا موقف ملتزم الحق ؟ إنه أنكر على الأمير تأخره ، وحفظ له حقه فأمر المسلمين بالسماع إليه . وهذا دليل آخر على مكانة أبي هريرة بين المسلمين . فلو كان حقيراً مهيناً ما سمع منه المسلمون وما تحمله مروان . ومع هذا فإن المؤلف لكتاب (أبو هريرة) قد يرى في هذه القصة لوناً جديداً من المؤامرات لتثبيت ملك الأمويين كما يتخيل المؤلف أبا هريرة في تفكيره وعلمه وذوقه الفني ، واستنتاجه واستقرائه . . ! !

وكان يجدر بالمؤلف أن يتهم أبا هريرة بالتشيع لأهل البيت ، لما روى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مناقبهم ومدحهم مما ورد في صحاح السنة المطهرة(٣) ، وهذا أولى له من أن يتتبع الأحاديث الضعيفة ، والموضوعة على أبي هريرة في مدح الأمويين ، ليتهمه بموالاتهم وتأييدهم ، بالرغم من وضوح وضع تلك الأحاديث ، ومعرفة الكذبة الواضعين لها . وجلاء أمرها . .

ولو كان أبو هريرة متشيعاً للأمويين لأبى أن يروى بعض فضائل أهل البيت ، وبوجه خاص فضائل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، ولكن شيئاً من هذا لم يقع ، وكان أبو هريرة أسمى وأعلى من أن يكتم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لميل أو هوى ، وأرفع من أن يكذب على حبيبه الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم ، وإننا

---

(١) مسند الإمام أحمد : ١٤٨/١٢ ، رقم ٧١٦٦ بإسناد صحيح ورواه البخاري .

(٢) العقد الفريد : ٤٢/١ .

(٣) انظر مسند الإمام أحمد ص ١٢٩ ، حديث ٧٣٩٢ . وص ١٩٥ ، رقم ٧٤٥٥ ج ١٣ . وص ٦٩ ، حديث ٧٦٣٦ . وص ٢٦٠ ، حديث ٧٨٦٣ ، ج ١٤ . وفتح الباري ص ٧٦ و ٩٥ ، ج ٨ . وقد ذكرت هذا ما حضرني ، وليس على سبيل الحصر .

نراه يروى فى فضائل على مالا يخفى ، من هذا ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله . يفتح الله على يديه » . قال عمر بن الخطاب : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، قال : فتساورت لها (١) رجاء أن أدعى لها . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فأعطاه إياها ، وقال : « امش ، ولا تلتفت . حتى يفتح الله عليك » . قال : فسار على شيئاً ثم وقف ولم يلتفت . فصرخ : يا رسول الله ! على ماذا أقاتل الناس ؟ قال : « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فإذا فعلوا ذلك ، فقد منعوا منك دماءهم ، وأموالهم . إلا بحقها . وحسابهم على الله » (٢) .

إننا نرى المنصفين من أهل العلم لم يتهموا أبا هريرة — لروايته هذا الحديث — بالتشيع لعلى رضى الله عنه ، وبالعداء لأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، فأبو هريرة لا يتحزب لأحد ولا يمالىء أحداً ، ولا يسير وراء هوى متبع أو شهوة جامحة ، إنما هو ذلك الصحابى العظيم الذى عرفنا استقامته وعدالته ، وتقواه وورعه وأمانته .

وقد تصور المؤلف جميع ما بين يدى أبى هريرة من نعمة وخير هى أفضال الأمويين عليه ، وإكرام منهم له ، لما بذله فى سبيل تدعيم ملكهم ! ! ونسى أو تناسى أن أبا هريرة كان يحب العمل إلى جانب حبه العلم ، ونسى ما كان له من أعطيات وتجارة ، كما نسى أنه ولى البحرين للخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، وبين له مورد ماله الذى جاء به ، بل رأى أن جميع ما بين يديه من منح بنى أمية له ، فهم الذين كسوه الخز ، وألبسوه الكتان ، وبنوا له فى العقيق قصراً ، وهم الذين زوجوه بسرة بنت غزوان ، أخت الأمير عتبة بن غزوان ، ويستشهد لذلك بما رواه مضارب بن حزن

---

(١) فتساورت لها : معناه تطاولت لها . أى حرصت عليها ، أى أظهرت وجهى وتصديت لذلك ليتذكرنى . انظر صحيح مسلم ، ص ١٨٧٢ ، هامش (١) ، ج ٤ .

(٢) صحيح مسلم ، ص ١٨٧١ ، حديث ٣٣ ، ج ٤ .

حين سمع أبا هريرة يكبّر فى الليل ، قال مضارب : (بينما أنا أسير تحت الليل ، إذا رجل يكبّر ، فألحقه بعيرى ، فقلت من هذا ؟ قال أبو هريرة . قلت : ما هذا التكبير ؟ قال : شكر . قلت : على مه ؟ قال : كنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بعُقبة(١) رجلى ، وطعام بطنى ، وكانوا إذا ركبوا سقت بهم ، وإذا نزلوا خدمتهم ، فزوجنيها الله ! ! فهى امرأتى) (٢) .

فأبو هريرة يشكر الله عز وجل على نعمه وتوفيقه لزواجه من بسرة ، وأى شىء فى هذا ؟ أى شىء أكثر من طيب نفس أبى هريرة وصفائها ، ورضائها بما قسم الله له . واحترامه لأنعم الله تعالى . وتواضعه وتذكره ما كان عليه وإقراره بفضل الله عز وجل عليه . ولكن المؤلف استغل طيب نفس أبى هريرة للتشهير به ، ورأى فى كل ذلك مادة غزيرة يشوهها كما يحب ويرضى .

وفى هذا كله يرى أن الأمويين استعبدوه ببرهم (فملكوا قياده ، واحتلوا سمعه وبصره وفؤاده ، فإذا هو لسان دعايتهم فى سياستهم ، يتطور فيها على ما تقتضيه أهواؤهم .. ص ٣٥) .

هكذا أراد المؤلف أن يصوّر أبا هريرة ، الذى عرفنا اعتزاله الفتن ، وسيره مع الحق ، ومناصحته للمسلمين ، وحبه لأهل البيت .

وهكذا يأبى الله إلا أن يقوّض ما حاكه أعداء أبى هريرة من شبهات ضده ، ويكشف النقاب عن وجه الحق ، ليزهق الباطل ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه** »(٣) .

❋ ❋ ❋

ثانياً — هل وضع أبو هريرة الأحاديث كذباً على رسول الله ؟

لقد افترى المؤلف على أبى هريرة افتراءات لا يتصورها إنسان من مستشرق متجاهل أو من عدو متحامل ، قال : (فتارة يفتئت الأحاديث

---

(١) العقبة ، أى نوبة ركوبه .
(٢) سير أعلام النبلاء ، ص ٤٤٠ ، ج ٢ .
(٣) الأنبيـاء : ١٨ .

فى فضائلهم . . . . وتارة يلفق أحاديث فى فضائل الخليفتين ، نزولا على رغائب معاوية وفئته الباغية . إذ كانت لهم مقاصد سياسية ضد الوصى وآل النبى . . وحسبك حديثه فى تأمير أبى بكر على الحج سنة براءة — وهى سنة تسع للهجرة — وحديثه فى أن عمر كان محدثاً تكلمه الملائكة (١) . وقد اقتضت سياسة الأمويين فى نكاية الهاشميين تثبيت هذين الحديثين وإذاعتهما بكل ما لمعاوية وأعوانه . . من وسيلة أو حيلة . . حتى أخرجتهما الصحاح . . وتارة يقتضب أحاديث ضد أمير المؤمنين جرياً على مقتضى تلك السياسة كقوله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم تحبس الشمس أو ترد لأحد إلا ليوشع بن نون ليالى سار إلى بيت المقدس» . . ص ٣٦ — ٣٧) .

لقد سيطر على المؤلف هواه ، حتى أصبح لا يرى فى أبى هريرة إلا الكذوب الوضاع ، فتنكب سبيل الحق ، وقذف الصحابة بالكذب ، وتجاهل ما أجمع عليه المؤرخون الثقات ، واعتمد على روايات الضعفاء ، فكان كلام الطبرسى عنده كالتنزيل الحكيم ، وضرب بصحاح الكتب عرض الحائط ، فيحاول طمس الحق ، وتحريف الصواب ؛ وإنى قبل أن أجيب عن زعمه أن الرسول صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر عن ولاية الحج أتساءل كيف حبست الشمس أو ردت لأمير المؤمنين على رضى الله عنه ؟ وهل أمسكت الشمس عن الغروب ليتمكن رضى الله عنه من أداء صلاة العصر فى وقتها ؟ إن هذه معجزات لا تكون فى كل وقت ، ولا يمن الله بها إلا على رسله ! ! ثم لمَ تُرد الشمس له أو تمسك ، ويمكنه أن يقضى الصلاة ! ! والصحاح لم تذكر شيئاً عن هذا الخبر ، فأترك للمؤلف أن يبين لنا كيف حبست الشمس ومتى كان ذلك علنا نفيد منه ؟ لقد ادعى هذا قبله ابن المطهر الحلى ، ورد عليه ابن تيمية رداً قوياً ، وبيّن كذب هذا الادعاء (٢) .

---

(١) يشير إلى حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر) . فتح البارى : ٨/٤٩ . محدث بفتح الدال : أى ملهم وصادق الظن ، يجرى الصواب على لسانه ، والتاريخ يشهد لعمر بهذا فى أمور مشهورة .

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ، ص ٥٢٤ وما بعدها .

وأما حديث أبي هريرة في تأمير أبي بكر على الحج سنة براءة ، فإنه جاء من طرق كثيرة لا يرقى إليها الشك ، ولا يتناولها الظن ، والمؤرخون مجمعون على أنه كان أمير الحج ذلك العام ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث علياً بأول براءة ، ليقرأها على الناس ، وقد سأل أبو بكر علياً عندما أتاه : هل استعملك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على الحج ؟ قال : لا ولكن بعثني أقرأ أو أتلو براءة على الناس(١) ، ويقول الإمام الشافعي : (بعث رسول الله أبا بكر والياً على الحج في سنة تسع ، وحضره الحج من أهل بلدان مختلفة ، وشعوب متفرقة ، فأقام لهم مناسكهم ، وأخبرهم عن رسول الله بما لهم وما عليهم ، وبعث عليّ بن أبي طالب في تلك السنة فقرأ عليهم في مجمعهم يوم النحر آيات من سورة (براءة) ، ونبذ إلى قوم على سواء ، وجعل لهم مُدداً ونهاهم عن أمور) (٢) .

ولكن المؤلف — الذي اتبع المنهج العلمي ، والذوق الفني السليم ، كما ادعى — أبى إلا أن يساير أصول عقيدته ، ورفض هذه الروايات ، وقبل رواية الطبرسي وفيها أنه أعطى علياً أول براءة (وعهد إليه بالولاية العامة على الموسم ، وأمره بأن يخير أبا بكر بين أن يسير مع ركابه أو يرجع إلى المدينة)(٣) .

الأول : أنها شاذة ومنكرة لمخالفتها الروايات الصحيحة الموثوق بها .

الثاني : أنها غير مسندة فلا تقوم دليلا ؛ وكيف نحكم بصحتها ، ونقبلها من غير أن نعرف الأمناء الذين نقلوها إلينا ؟ .

ولو فرضنا أنها صحيحة السند ، ولم يذكره الكاتب ، فهي مردودة من

---

(١) سيرة ابن هشام : ٢٠١/٤ . وانظر البخاري بشرح السندي : ٧٦/٣ ، حج أبي بكر بالناس سنة ٩ .

(٢) الرسالة : ٤١٤ ، رقم الفقرة : ١١٣٣ و ١١٣٤ . وانظر المنتقى من منهاج الاعتدال ، ص ٣٤٠ حيث يرد ابن تيمية على الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي ، (٦٤٨ — ٧٢٦هـ) ، وينقض ما ادعاه من عدم تولية الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر إمارة الحج سنة تسع . وانظر ص ٤٩٧ و ٥٣٩ منه .

(٣) أبو هريرة لعبد الحسين : ١٦٢ عن مجمع البيان : ٣/٣ .

حيث المتن ، لأنها تخالف إجماع الروايات الموثوق بها ، التي لم يستشهد بها المؤلف (١) ثم حاول الكاتب أن يدعم رأيه هذا بروايات ضعيفة تطعن في كبار الصحابة ، وهي تتنافى مع المنطق السليم ، ويرفضها الذوق الفني ، ويردها المنهج العلمي ، ويدحضها الواقع التاريخي بما يعارضها وينفي صحتها .
فمما استشهد به ما رواه عن ابن عباس في الصفحة (١٦٦) من كتابه قال : (قال مرة : إني لأماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة إذ قال لي : يا ابن عباس ما أرى صاحبك إلا مظلوماً ، قال : فقلت في نفسي : والله لا يسبقني بها . فقلت له : يا أمير المؤمنين : فاردد إليه ظلامته ، فانتزع يده من يدي ومضى يهمهم ساعة ، ثم وقف فلحقته ، قال : يا ابن عباس ، ما أظنهم أنهم منعهم عنه إلا أنهم استصغروه ، فقلت : والله ما استصغره الله ورسوله حين أمره أن يأخذ براءة من صاحبك ، فأعرض عني وأسرع الحديث) .

ـ إن هذا الخبر مردود من وجوه ينطق بها النص نفسه ، منها :

ـ أولا : متى ماشى الخليفة الفاروق ابن عباس رضي الله عنهما ؟ ومتى دار بينهما هذا الحوار ؟ يفهم من النص أن هذا الحادث كان في خلافة عمر رضي الله عنه أي بين سنة (١٣ و ٢٣) فإن كان خطابه هذا في أول خلافته ـ أي حين كان عمر ابن عباس ست عشرة سنة وعمر أمير المؤمنين ثلاثاً وخمسين سنة ، لأن عمر ولد قبل الهجرة بأربعين سنة ، وابن عباس ولد قبلها بثلاث سنين ـ فهو غير معقول ، ولا يتصور أن يناقش عمر رضي الله عنه ابن عباس ـ وهو فتى يافع في مقتبل العمر ـ في أمور الخلافة ، وفي الأمة أكابر الصحابة ! !

وإن كانت الحادثة في آخر عهد عمر رضي الله عنه يكون له ثلاث وستون سنة ولابن عباس ست وعشرون سنة ، يبعد معها أن تجري مثل هذه

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد : ٣٢/٢ رقم ٥٩٤ وصفحة ٢١٩ رقم الحديث : ١٢٨٦ ، وسيرة ابن هشام والبخاري والرسالة المذكورين آنفاً . وتاريخ الطبري : ٣٨٢/٢ .

المناقشة بينهما ، لما عرفت من أدب ابن عباس ووقار عمر ، ورجوعه إلى الحق .

ثانياً : إن علائم الوضع ظاهرة على هذا الخبر ، ذلك لأن علياً رضي الله عنه لم تقم له بعد جماعة وأصحاب ، حتى يقول أمير المؤمنين عمر لابن عباس : (ما أرى صاحبك إلا مظلوماً) ولِمَ كان مظلوماً؟ وما هي المناسبة التي تدعو أمير المؤمنين لأن يتعطف ابن عباس ويسرّي عنه باعترافه بظلامة أبي الحسن ؟ .

ثم هل يتصور من عمر أن يعرف ظلامة لإنسان ولا يردها ؟ وكيف يكون هذا ولا يرد ظلامة صاحبه علي رضي الله عنهما ؟ .

ولو سلّمنا بوقوع هذه المحاورة ، فمن هؤلاء الذين ظلموه ؟ ومن يعني في قوله : (ما أظنهم منعهم عنه إلاأن استصغروه) ؟ .

ثم من الذين منعوا عنه الخلافة ، ومن الذي استصغره ، وهل كان صغيراً حقاً ؟؟ لم يمنع أحد الخلافة عنه أيام بيعة الصديق ، بل أجمع الناس على خلافة أبي بكر ، ولم يبد علي رضي الله عنه أي استياء منها وسرعان ما أعلن بيعته ؛ ولا يمكن أن يقصد عمر بقوله هذا أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة من الصديق ؛ والتاريخ دليل على ما ذهب إليه جمهور المسلمين . ثم إن علياً نفسه لم يكن صغيراً آنذاك ؛ وكما وافق على خلافة أبي بكر وافق على خلافة عمر وأعلن بيعته ، والإمام علي نفسه يشهد للعمرين بمكانتهما فيدحض كل افتراء وكذب ، وينقض ما ورد في هذا الخبر . ويأبى الله إلا أن يظهر الحق على لسان ابن عباس رضي الله عنهما ، الذي لُفّقَ ذاك الخبر على لسانه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : وضع عمر على سريره فتكنفه الناس ، يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم ، فلم يرعني إلا رجل آخذ بمنكبي ، فإذا علي بن أبي طالب فترحم على عمر وقال : ما خلّفت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وحسبت أني كنت كثيراً أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر

وخرجت أنا وأبو بكر وعمر » (١) . فرضى الله عن الصحابة جميعاً وأرضاهم ، فقد كانوا خير قدوة للناس فى حياتهم وأخوتهم ، ولكن أهل الأهواء أبوا ألا أن يبعدوا الشقة بينهم ، ويصطنعوا الخلافات ، ويستغلوا بعض الحوادث ، يدفعهم إلى ذلك الضغائن والحقد الذى فى نفوسهم ضد الإسلام والمسلمين ، كل ذلك لتفريق الكلمة وتحقيق مآربهم وإشباع ميولهم .

---

(١) فتح البارى : ٤٧/٨ . والأخبار التى تعارض ما رواه مؤلف كتاب (أبو هريرة) وتثبت حب على رضى الله عنه للخلفاء الثلاثة ، وعدم إنكاره لخلافتهم أو اعتبار نفسه خصماً لهم يريد رد ظلامته ، أقول إن هذه الأخبار كثيرة جداً منها : ما ذكره السيوطى قال : « أخرج ابن عساكر عن الحسن قال : لما قدم على على البصرة قام إليه ابن الكواء ، وقيس ابن عبادة فقالا : ألا تخبرنا من مسيرك هذا الذى سرت فيه تتولى على الأمة تضرب بعضهم ببعض ؟ أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده إليك ؟ فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت فقال : أما أن يكون عندى عهد من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك فلا ، والله لئن كنت أول من صدق به ، فلا أكون أول من كذب عليه ، ولو عندى من النبى صلى الله عليه وسلم عهد فى ذلك ما تركت أخا تيم بن مرة ، وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما بيدى ولو لم أجد إلا بردى هذا ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ، ولم يمت فجأة ، مكث فى مرضه أياماً وليالى يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس وهو يرى مكانى ، ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس ، وهو يرى مكانى ، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبى بكر فأبى وغضب ، وقال : « أنتن صواحب يوسف . مروا أبا بكر يصلى بالناس » فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نظرنا فى أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه نبى الله لديننا . وكانت الصلاة أصل الإسلام وقوام الدين ، فبايعنا أبا بكر ، وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان . فلما قبض تولاها عمر ، فأخذنا بسنة صاحبه ، وما يعرف من أمره ، فبايعنا عمر ، ولم يختلف عليه منا اثنان ، فلما قبض تذكرت فى نفسى قرابتى وسابقتى وسالفتى وفضلى ، وأنا أظن أن لا يعدل بى . ولكن خشى ألا يعمل الخليفة بعده ذنباً إلا لحقه فى قبره ، فأخرج منها نفسه وولده ، ولو كانت محاباة منه لآثر بها ولده ، فبرئ منها إلى رهط من قريش ستة أنا أحدهم ، فلما اجتمع الرهط ظننت ألا يعدلوا بى ، فأخذ عبد الرحمن بن عوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ، ثم أخذ بيد عثمان ابن عفان ، وضرب بيده على يده فنظرت فى أمرى فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى ، وإذا ميثاق قد أخذ لغيرى ، فبايعنا عثمان فأديت له حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه فى جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطانى وأغزو إذا أغزانى وأضرب بين يديه الحدود بسوطى . فلما أصيب نظرت فى أمرى ، فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله إليهما بالصلاة قد مضيا ، وهذا الذى أخذ له الميثاق قد أصيب فبايعنى أهل الحرمين وأهل هذين المصرين ، فوثب فيها من ليس مثلى ولا قرابته كقرابتى ، ولا علمه كعلمى ، ولا سابقته كسابقتى ، وكنت أحق بها منه . اهـ » انظر تاريخ الخلفاء القائمين بأمر الأمة للسيوطى : ١١٩ .

ومعاذ الله أن يروى ابن عباس ذاك الخبر ، ولكن يد الوضع صنعته : لتثبت بالفقرة الأخيرة منه أحقية على رضى الله عنه بالخلافة . . ولتثبت ولايته العامة على الحج سنة براءة .

ثالثاً : إن هذا الخبر لم يرد فى كتاب موثوق به ، وقد نقله الكاتب عن كتاب (الموفقيات) للزبير بن بكار المشهور ، وهو ثقة قد ألف تاريخه هذا للموفق بالله بن المتوكل الخليفة العباسى . إلا أنه لم يذكر إسناده فسقط الاحتجاج به .

وهكذا تبين لنا ضعف هذا الخبر سنداً ومتناً : إلا أن المؤلف لم يأخذ ما ذكرناه مأخذاً سليما ولم يعتبره ، ورأى فى هذا الخبر ما يشفى غليله ، ويشبع رغبته بتوجيه الطعن ، لا إلى أبى هريرة وحده ، بل إلى الخليفتين الراشدين رضى الله عنهم جميعاً ، فعقب على تلك الرواية بقوله : (فلله أبوه ! كيف استظهر على الخليفة بهذه الحجة البالغة ، فأخذه من بين يديه ومن خلفه ومن جميع نواحيه حتى لم يبق فى وسعه أن يثبت فأعرض وأسرع . ولو أن صاحبه كان هو الأمير فى ذلك الموسم — كما زعم أبو هريرة — ما لاذ إلى الإسراع بل كانت له الحجة على ابن عباس ، وعمر كان مع أبى بكر إذ توجه ببراءة ، وإذ رجع من الطريق فهو من أعرف الناس بحقائق تلك الأحوال) (١) .

هذه إحدى النتائج التى يرمى إليها الكاتب من وراء ذاك الخبر ، ولكن ابن عباس لم يأخذ الخليفة من بين يديه ومن خلفه ومن جميع نواحيه ، لأن شيئاً من هذا كله لم يكن ، وإنى على يقين من عدم صحة ذاك الخبر الذى بينت ضعفه ، ومنافاته للذوق السليم والمنطق والمنهج العلمى ، لوجود روايات صحيحة ثابتة ترده ، وتقوم حجة على المؤلف ، وتبرىء ابن عباس مما ألصق به ، وتنزه الخلفاء الثلاثة عن تلك التهم الباطلة التى وجهت إليهم ، وتثبت مقام على رضى الله عنه وحبه لهم ، وتنفى كل افتراء عليه وعليهم ، وإن

---

(١) أبو هريرة لعبد الحسين : ١٦٨ .

هذا الروايات ستأخذ الكاتب من بين يديه ، وتسد عليه كل منفذ ، وتقوّض كل حجة يدعيها فى هذا الموضوع .

ثم يتابع الكاتب عرض بعض الأخبار ، ليدعّم ما ذهب إليه من ولاية أمير المؤمنين علي رضى الله عنه للحج سنة براءة ، وإن جميع ما استشهد به مطعون فى صحته ، والصحيح منه ينص فقط على إرسال أمير المؤمنين على رضى الله عنه بأول براءة . ثم يستنتج المؤلف بعد هذا ما يأتى فيقول : (ألا تراه كيف حرّف الحديث عن موضعه ، وصرف الفضل فيه عن أهله ، متقرباً فيما حرّف إلى أولياء الأمور ، ومتحبباً فيما صحّف إلى سواد الجمهور ، اختلق لهم ما يروقهم من تأمير أبى بكر الصديق . وما أدراك ما فعل ! ؟ إنه أخرس بذلك ألسنة الثقات الأثبات عن معارضته ، وألجم أفواههم أن تنبس فى بيان الحقيقة ببنت شفة ، خوفاً من تألب العامة رعاع الناس ، وإشفاقاً من نكال أولى الأمر ووبالهم يومئذ ؟ وما أدراك ما يومئذ ! ؟) (١) .

إنه يتهم أبا هريرة بتحريف الحديث عن موضعه ، لأنه لم يختلق حديثاً يتمشى مع هوى المؤلف ، ويوافق ميوله وما يصبو إليه ، ويدعى أنه انتقص الإمام ، وصرف عنه ذلك الفضل الذى ادعاه فى رواية الطبرسى ؛ كل هذا فعله أبو هريرة ليتقرب إلى الأمويين ؟ ! وليتقرب إلى سواد الجمهور بما يروقهم ؛ عجب من المؤلف كيف يدّعى هذا ! ! ؟ ولمَ يرض أبو هريرة الجمهور ، ويكذب على الرسول من أجل ذلك ؟ أيخشى أبو هريرة الجمهور ولا يخشى الله ورسوله ؟ هذا افتراء على أبى هريرة ، وافتراء على الحق ، واستخفاف بجمهور المسلمين ، وزعم واضح منه أنهم على غير صواب فيما يعتقدون ، وعلى غير هدى فيما يعرفون ، إنه يتهم الجمهور فى هذا ويجعلهم ممن عالئون السلطان . . وينساقون كما يريد . . ويتحامل على أولى الأمر فيصورهم بالمستبدين الغاشمين الطاغين . عجب من المؤلف

---

(١) أبو هريرة لعبد الحسين : ١٨٠ .

كيف يريد أن يقلب الحقائق التاريخية التى عرفها كل إنسان آنذاك ، وعاصرها كثير من المسلمين ، فيجعل أبا هريرة كذاباً يضع ما يروق للجمهور ! ! فهل الجمهور على خطأ فى معرفتهم أم أن بعض أهل الأهواء الذين دفعتهم ميولهم وأهواؤهم إلى الكذب والتلفيق وقلب الحقائق هم المخطئون ! ! ؟ إن الواقع والبحث العلمى شىء والانسياق وراء العاطفة والهوى شىء آخر ، فللمرء أن يميل إلى أى مبدأ أو إلى أى شخص ، وله أن يحبه أو يكرهه ، ولكن لا يجوز بأى شكل أن يحرف الحقيقة . ويخالف الواقع ، فأبو هريرة لم يكذب فى هذا الخبر ولا فى غيره ، والجمهور فى تأمير أبى بكر على الحج لم يختلقوا أخباراً من عندهم ، إنما كانوا على الحق والصواب ، لأنهم عاصروا ذلك وعرفوه ورفضوا كل خبر ينافى الحقيقة التاريخية الصادقة. وهم فى اعتقادهم هذا وأبو هريرة فى خبره لم يمنعوا أحداً من أن يقول ما يعرف وما يعتقد ، وقد كانت الحرية عامة . وكان المسلمون على جانب عظيم من الجرأة فى الحق ، حتى إن بعض النساء كن يناقشن الخلفاء ويستدركن عليهم ، والتاريخ يشهد بهذا ، ولو كان أبو هريرة غير صادق فى خبره لانبرت ألسنة الحق تقوّمه وترده إلى الصواب ، وقد كان فى الأمة أكابر الصحابة وعلماؤهم . ممن اعتزلوا الفتن ، فلم يرد قط رد أحد منهم على أبى هريرة ، وأكثر من هذا لم ينفرد أبو هريرة برواية هذا الخبر ، بل رواه كثيرون ، حتى إن ابن سعد عندما يروى ذلك يقول (قالوا) (١) وقد رواه ابن عمر (٢) وأبو جعفر محمد بن على رضوان الله عليهم (٣) وغيرهم ، فهل هؤلاء جميعاً وضعوا الخبر تقرباً إلى أولياء الأمور ! ! ؟ وأكثر من هذا اعتراف الإمام على رضى الله عنه بولاية أبى بكر العامة على الحج (٤) أفبعد هذا يحاول امرؤ أن يقلب الحقائق ويحرّف النصوص . ويطعن فى أكابر الصحابة وفى علمائهم ! ! ؟

---

(١) طبقات ابن سعد : ٢ : ١ / ١٢٠ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٢ : ١ / ١٢٥ .

(٣) سيرة ابن هشام : ٤ / ٢٠٣ . وانظر تاريخ الطبرى : ٢ / ٣٨٢ .

(٤) انظر سيرة ابن هشام ٤ / ٢٠٣ ، وتاريخ الطبرى ٢ / ٣٨٢ .

ثم يستنتج الكاتب ما يلي فيقول : (أراد أبو هريرة بحديثه هذا أن يجتاح المقام المحمود الذي رفع الله ورسوله يومئذ سمكه مقام أمير المؤمنين في ذلك الموسم ، إذا كان يرمى إلى أمرين . أحدهما أن المهمة التي جاء بها على إنما كان أمرها بيد أبي بكر الصديق بسبب إمارته على الحج وولايته العامة تلك السنة على الموسم ، وأن أبا بكر لم يكتف بعلى في أداء المهمة حتى بعث أبا هريرة (١) في رهط من أمثاله الأقوياء الأشداء . . وحسبك في تزييف هذا أن الله تعالى لم ير أبا بكر نفسه أهلا لأداء هذه المهمة فأرجعه عنها . .)(٢) هكذا أراد المؤلف أن يصوِّر الحادثة ، وهذا ما استنتجه منها ، وقد ظهر زيف ما ادعى وبطلان ما زعم .

تخيل المؤلف أن أبا هريرة كان يسير بتوجيه الأمويين ، وينزل على ما يحبون ويضع لهم الحديث ، وأدلى بحجته على ذلك فساق أخباراً لا ترقى إلى الصحة والحقيقة فقال :

(قال الإمام أبو جعفر الإسكافي : إن معاوية حمل قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ تقتضى الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله ، فاختلقوا له ما أرضاه ، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة ابن الزبير إلى آخر كلامه) .

وقال : (لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ، ثم

---

(١) يشير المؤلف إلى الحديث الذي ذكره في الصفحة ١٧٩ من كتابه عن أبي هريرة (بعثني أبو بكر في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع بسنة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى : أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ثم أردف رسول الله بعلى بن أبي طالب فأذن معنا يوم النحر) . يذكر هذا الحديث ويعلق عليه بأنه من تزوير أبي هريرة وتنميقه ليرضى رعاع الناس والسلطة الحاكمة . وأن هذا الحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه. انظر البخاري بشرح السندي : ٧٦/٣ وابن سعد في طبقاته انظر ٢ : ١٢٠/١ .

(٢) أبو هريرة : ١٧٠ .

ضرب صلعته مراراً ! ! وقال : يا أهل العراق .. أتزعمون أني أكذب على الله ورسوله (١) وأحرق نفسي بالنار ؟ والله لقد سمعت رسول الله يقول : «إن لكل نبي حرماً ، وإن المدينة حرمي ، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال : (وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها ! ! فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه ، وولاه إمارة المدينة . ص ٣٨ — ٣٩)

وروى في هامش ص ٣٩ (عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن قاسم عن عمر بن عبد الغفار : أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ، ويجلس الناس إليه فجاءه شاب من الكوفة — لعله الأصبغ بن نباته — فجلس إليه فقال: يا أبا هريرة.. أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي بن أبي طالب : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ؟ فقال : اللهم نعم . قال : فأشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ثم قام عنه وانصرف) (٢) .

هذه أخبار مختلفة استشهد بها المؤلف ليدعم زعمه أن أبا هريرة كان عميلا للأمويين ، وضاعاً للحديث . إلا أن هذه الأخبار مردودة سنداً ومتناً .

أولا : أما من حيث السند . فإن ابن أبي الحديد صاحب شرح نهج البلاغة نقل هذه الأخبار عن شيخه محمد بن عبد الله أبو جعفر الإسكافي (— ٢٤٠ هـ) وهو من أئمة المعتزلة المتشيعين . والعداء مستحكم بين المعتزلة وأهل الحديث من أواخر القرن الأول الهجري وأصبح متوارثاً . وأترك التعريف بأبي جعفر وتزكيته لتلميذه ابن أبي الحديد فيقول : ذكر

---

(١) إن صاحب كتاب «أضواء على السنة» ساق هذه الروايات في ص ١٩٠ — ١٩١ وعلق في الهامش على هذا الخبر فقال : (يدل هذا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي قد اشتهر حتى عم الآفاق لأنه قال ذلك وهو بالعراق وأن الناس جميعاً كانوا يتحدثون عن هذا الكذب في كل مكان . هامش ١٩٠) انظر إلى هذا المؤلف الذي أخذ عن أستاذه نبزه وتفرق عليه بالاستنتاجات الخيالية والأوهام الصورية . ولكن له وقفة بين يدي الله تعالى .

(٢) يعلق صاحب كتاب «أضواء على السنة» بعد هذا الخبر فيقول : (ثم قام عنه بعد أن صفعه هذه الصفعة الأليمة . .) إنه يريد أن ينتهز أية فرصة ليصب غضبه على أبي هريرة لبغضه إياه وحقده عليه .

شيخنا أبو جعفر الإسكافى رحمه الله تعالى وكان من المتحققين بموالاة علىّ عليه السلام والمبالغين فى تفضيله وإن كان القول بالتفضيل عاماً شائعاً فى البغداديين من أصحابنا كافة إلا أن أبا جعفر أشدهم فى ذلك قولا ، وأخلصهم فيه اعتقاداً) (١) .

هذه شهادة تلميذ لأستاذه لايرق إليها الشك ، ولايعتريها الظن والتأويل ، فالأستاذ من أهل الأهواء ، الداعى إلى هواه ، بل من المتعصبين فى ذلك ، بشهادة أقرب الناس إليه وأعرفهم به . فإذا سبق لأمثاله أن كذّبوا الصحابة فى الحديث بل فى نقل القرآن فليس بعيداً أن يكذبوا على أبى هريرة ويفتروا عليه وعلى بعض الصحابة والتابعين .

فروايته مردودة لسببين :

الأول : ضعف الإسكافى لعاملين : الأول لأنه معتزلى يناصب العداء لأهل الحديث ، والثانى ، أنه شيعى محترق . فقد اجتمع هذان العاملان فيه ، ويكفى أحدهما لرد روايته . وبعد هذا لا يعقل أن تقبل الجرح والتعديل أو الرواية من رجل مطعون فى عدالته ، مشكوك فى روايته يعادى أهل السنة ، فمن البداهة رفض روايته .

الثانى : لم تذكر هذه الروايات فى مصدر موثوق بسند صحيح . علماً بأن الإسكافى لم يذكر لها سنداً فلن أقول إنها موضوعة ، بل يكفى إنها ضعيفة لا يحتج بها .

ثانياً : وأما من حيث المتن — فلم يثبت أن معاوية حمل أحداً على الطعن فى أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة أنه تطوع فى ذلك ، أو أخذ أجراً مقابل وضع الحديث ، والصحابة جميعاً أسمى وأرفع من أن ينحطوا إلى هذا الحضيض ، ومعاذ الله أن يفعل هذا إنسان صاحب رسول الله وسمع حديثه وزجره عن الكذب ، وإن جميع ما جاءنا من هذه الأخبار الباطلة ، إنما كان عن طريق أهل الأهواء الداعين

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١/٤٦٧ طبعة بيروت .

إلى أهوائهم المتعصبين لمبادئهم ، فتجرأوا على الحق ، ولم يقيموا للصحبة حرمتها ، فتكلموا فى خيار الصحابة واتهموا بعضهم بالضلال والفسق ، وقذفوا بعضهم بالكفر ، وافتروا على أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم (١) ، وقد كشف أهل الحديث عن هؤلاء الكذبة ، لذلك ناصبت أكثر الفرق العداء أصحاب الحديث ، فاخترعوا الأباطيل وأرادوا أن تفقد الأمة الثقة بهم ، وتتبعوا أحوالهم ، من ذلك ما فعله المعتزله والروافض وبعض فرق الشيعة ،ومن أراد الاطلاع على بعض هذا فليراجع كتاب قبول الأخبار للبلخى . ولكن الله أبى إلا أن يكشف أمر هذه الفرق ، ويميط اللثام عن وجوه المتسترين وراءها ، فكان أصحاب الحديث هم جنود الله عز وجل ، بينوا حقيقة هؤلاء ، وأظهروا نواياهم وميولهم ، فما من حديث ، أو خبر يطعن فى صحابى ، أو يشكك فى عقيدة ، أو يخالف مبادىء الدين الحنيف إلا بين جهابذة هذا الفن يد صانعه ، وكشفوا عن علته .

فادعاء المؤلف مردود حتى يثبت زعمه بحجة صحيحة مقبولة . وكيف نتصور معاوية يحرض الصحابة على وضع الحديث كذباً وبهتاناً وزوراً ، ليطعنوا فى أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وقد شهد ابن عباس رضى الله عنهما لمعاوية بالفضل والعقل والفقه (٢) وقد ذكر ذلك البخارى فى صحيحه . فهل للمؤلف أن يتهم حبر الأمة وعالمها بالكذب ، أو بالتشيع لمعاوية (٣) ؟ هذا لا يمكن ، وشهادة ترجمان القرآن صحيحة ، وبذلك ننفى تهمة المؤلف الأمين ! ! وقد افترى الإسكافى على الصحابة الذين ذكرهم ، وبين ابن العربى فى « العواصم والقواصم » جانباً من أمرهم ومكانتهم وورعهم ، كما بينت كتب التراجم سيرتهم . ثم إن روايات أهل الأهواء تسربت إلى التاريخ الإسلامى ، وخاصة ما يتعلق بأخبار الأمويين

---

(١) انظر العواصم من القواصم : ١٨٢ — ١٨٣ .

(٢) فتح البارى : ٨/١٠٤ — ١٠٥ .

(٣) انظر أضواء على التاريخ : ص ١٩١ وما بعدها فللأستاذ محب الدين كلمة قيمة فى معاوية يجدر الاطلاع عليها .

لأن كتب التاريخ كتبت بعد بنى أمية فشوهت سيرتهم (١) ومع هذا لم يعدم التاريخ الرجال الأمناء المخلصين ، الذين دوّنوا حوادثه بأسانيدها حتى يتبين المطلع الصحيح من الباطل ، فليس كل خبر فى كتاب يقبل ويؤخذ به ، فلابد من دراسته دراسة علمية حسب منهج المحدثين الدقيق — سنداً ومتناً .

ثم إنا نستبعد صحة هذا الخبر : فإن عروة ولد سنة (٢٢ هـ) فكان عمره فى فتنة عثمان رضى الله عنه (١٣ سنة) ، وعندما استشهد أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه (١٨ سنة) ، فمن يتصور خليفة كمعاوية يحمل عروة ابن الزبير ليضع أحاديث تطعن فى على رضى الله عنه ؟ ثم إن عروة نفسه كان يافعاً على عتبة العلم لم يشتهر بعد . فكان أحرى بمعاوية — لو صح الخبر — أن يغرى من هو أشهر منه وأعلم من كبار الصحابة والتابعين . وإن قال قائل إنما استعان به أيام خلافته بعد استشهاد الخليفة الراشد الرابع ، فالجواب بدهى فى أن عروة كان حين وفاة معاوية ابن (٣٨) ثمان وثلاثين سنة ، فلِمَ يستفيد منه؟ وفى الأمة كبار الصحابة والتابعين . أيفيد منه ليضع له الحديث كما زعم الكاتب ؟ إن كلمة المسلمين اجتمعت سنة (٤٠) عام الجماعة حين بايع الحسن معاوية بالخلافة وثبتت دعائم الحكم ، فلم تبق أية ضرورة للدعاية للأمويين وهم الحكام وبيدهم الزمام . ولو سلمنا جدلا أن عروة قد قام بما ادعاه المؤلف ! ! فهل يسكت عنه علماء الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وبينهم الأبطال الشجعان وفيهم الأقوياء الأفذاذ ؟ ؟ لقد كانت الأمة الإسلامية واعية فى ذلك العصر ، عرف أبناؤها الحوادث جميعها وعاصروها واختبروها فلم تعد تخفى دقائقها على أحد ، وعرف المسلمون قادتهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن من السهل أن يغير وجهَ الحق بعضُ الصحابة والتابعين — كما زعم المؤلف — لإرضاء الخليفة وإشباع ميوله ورغباته . وإن من يحاول إثبات صحة هذا الخبر ليتجنى على الأمة جميعها ، ويجعل من عاصر

---

(١) العواصم من القواصم : ص١٧٧ .

تلك الحوادث بلهاً مغفلين ، يعمى عليهم الحق بالدعايات الكاذبة والأخبار الموضوعة ، والواقع يثبت خلاف ذلك ، ويثبت وضع الخبر وعدم صحته .

أما الخبر الثانى وهو قدوم أبى هريرة العراق ، فإنه من رواية الإسكافى وقد عرفناه وعرفنا منزلة أخباره ، ولو سلمنا — جدلا — بصحة هذه الرواية ، فإن أبا هريرة يدفع عن نفسه ما أشاعه بعض خصوم الأمويين . ثم إن الحديث الذى روى عن أبى هريرة ينفى نفياً قاطعاً صحة هذه الرواية ويبين زيفها . فقد روى مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المدينة حرم ، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يُقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف» (١) . فليس فيها تلك الزيادة التى اختلقتها أيدى الواضعين فى ذم الإمام علىّ لينال أبو هريرة أجره من معاوية رضى الله عنهم جميعاً .

والمؤلف الأمين يحذف من الرواية بعضها وهو « إن لكل نبى حرماً وإن حرمى بالمدينة ما بين عير وثور » لأن هذا القسم سينقض روايته وادعاءه لأن الثابت عن أبى هريرة أنه لم يذكر هذا بل ذكره أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه فى كلمة مشهورة له كما فى صحيح مسلم (٢) إلا أن الإسكافى ذكرها عن أبى هريرة (٣) وهذا دليل آخر على سوء نياتهم وموقفهم من أبى هريرة خاصة وبعض الصحابة عامة .

ثم إن المؤلف نفسه يناقض برواياته ما يزعمه ويدعيه . فقد زعم قبل قليل فى الصفحة (٢٥) من كتابه أن بسر بن أبى أرطأة ولى أبا هريرة المدينة حين قدم إليها . وفى الصفحة (٣٩) يقول : (فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة) ! ! فأى الخبرين يحب المؤلف أن نعتمد

---

(١) صحيح مسلم : ٢/٩٩٩ حديث ٤٦٩ .

(٢) انظر صحيح مسلم : ٢/٩٩٥ وما بعدها و ٢/١١٤٧ وقد نقل صاحب «أضواء على السنة » الرواية كاملة ظناً منه أنه يوفق لإثبات خطأ أبى هريرة ولم يفلح لأنها ليست من روايته . انظر صفحة (١٩٠) من كتابه .

(٣) شرح نهج البلاغة : ١/٤٦٧ .

ونأخذ به ؟ أم أن المؤلف يرى فى الخبر الثانى توكيداً لإمارته على المدينة ؟ إن له ما أراد وما اختار من الروايات المتعارضة ! ! .

وأما ما ذكره فى الهامش من صفحة (٣٩) رواية عن الثورى فقد نقلها إلينا أبو جعفر الإسكافى وجربنا عليه الكذب والطعن فى الصحابة فروايته هذه غير مقبولة من طريقه ، وهناك رواية عن أبى هريرة ليست فيها الزيادة ورد الشاب عليه (فأشهد بالله لقد واليت . .) التى ذكرها الإسكافى ، فالرواية عن داود بن يزيد الأودى عن أبيه قال : دخل أبوهريرة المسجد فاجتمع إليه الناس فقام إليه شاب فقال : أنشدك بالله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ؟ قال : فقال : إنى أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . رواه أبو يعلى والبزار بنحوه (١) .

إن هذه الرواية تثبت مكانة أبى هريرة عند أهل العراق ، إذ يستشهدونه عن سماعه لحديث فى مكانة علىّ رضى الله عنه ، بخلاف ما ذهب إليه الكاتب : وليس فيها تلك الزيادة التى ألحقت لحاجة فى نفس من صنعوها ، وحاول أن يدلس على الناس حقيقة الحديث . . وهكذا ينكشف أمر هؤلاء الذين خاضوا فى الصحابة وأعراضهم وعدالتهم ودينهم . . ولم تكن هذه الحادثة صفعة أبحة (٢) من ذلك الشاب لأبى هريرة ، بل كانت صفعة قاضية من الحق لأعدائه ! !

ويتابع المؤلف افتراءه على أبى هريرة ويتهمه بالولاء للأمويين حتى زعم أن أبا هريرة كان يرتجل الأحاديث يدافع بها عن مناقب بنى أمية (٣) الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

---

(١) مجمع الزوائد : ٩/١٠٥ وقال : (وفى أحد إسنادى البزار رجل غير مسمى ، وبقية رجاله ثقات فى الآخر . وفى إسناد أبى يعلى (داود بن يزيد وهو ضعيف) فالحديث صحيح فى إحدى روايتى البزار .

(٢) إشارة لما قاله مؤلف « أضواء على السنة المحمدية » فى الصفحة ١٩١ .

(٣) انظر كتاب « أبو هريرة » لعبد الحسين ص ٣٩ .

ولهذا عرف الأمويون فضله عندهم فعمل (مروان وبنوه فى تعداد أسانيده وتكثير طرقه أعمالا جارة ، لم يألفوا فيها جهداً ، ولم يدّخروا وسعاً . حتى أخرجه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد . ولمروان وبنيه فى رفع مستوى أبى هريرة وتفضيله على من سواه فى الحفظ والضبط والإتقان والورع أعمال كان لها أثرها إلى يومنا هذا . . ص ٤٠) ثم يسوق قصة كاتب مروان حين كتب ما حدّث به أبو هريرة ، ويستشهد بالمشادة التى قامت بين مروان وأبى هريرة يوم وفاة الحسن والخلاف فى مواراته فى حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . ويرى أن هذه مؤامرة للإشادة بحفظ أبى هريرة ، وأفضليته فى ذلك على كثير من الصحابة، ويرى أن هذه المؤامرة الممثلة انتهت بتسليم مروان وخنوعه واعترافه بفضل أبى هريرة ومكانته وفى هذا يروّج — كما يزعم المؤلف — بضاعة أبى هريرة (التى كان مروان ومعاوية وبنوهما يحاربون بها الحسن والحسين وأباهما وبنيهما . وكانت من أنجع الدعايات فى تلك السياسات . . ص ٤٢) .

لقد سبق أن بينت وجه الحق فى هذه الحقائق التاريخية ، وإنما نظر المؤلف إليها بمنظاره الأسود ، من خلال نفسه وآرائه ، فكانت صورة ناطقة عما يدور فى ضميره وتنطوى عليه سريرته .

* * *

٨ — كثرة حديثه (١) : (ص ٤٢ — ٥٥) :

قال المؤلف : (أجمع أهل الحديث — كما فى ترجمته من الإصابة وغيرها

---

(١) قديما أخذ النظام على أبى هريرة كثرة حديثه وتابعه بعض المعتزلة منهم أبو القاسم البلخى وتعرض لذلك فى كتابه قبول الأخبار ومعرفة الرواة ، وقد رد ابن قتيبة على النظام فى كتابه تأويل مختلف الحديث صفحة ٤٨ وبرأ أبا هريرة من تهمة النظام . ومن المتأخرين عبد الحسين شرف الدين فى كتابه « أبو هريرة » ونحن نناقشه ذلك ، وكذلك دائرة المعارف الإسلامية نقلا عن جولد تسيهر ، ومحمود أبو رية فى كتابه أضواء على السنة ص ١٦٢ ويجمعهم جميعهم فى ذلك هوى متبع ومآرب نفسية تخدم مبادئهم سواء أكانت طائفية أم تبشيرية . وقد تولى الدكتور مصطفى السباعى الرد على المستشرقين وعلى أبى رية فى كتابه « السنة ومكانتها فى التشريع =

ـــ على أنه أكثر الصحابة حديثاً : وقد ضبط الجهابذة من الحفظة الأثبات حديثه فكان خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين مسنداً ، وله فى البخارى فقط أربعمائة وستة وأربعون حديثاً .

وقد نظرنا فى مجموع ما روى من الحديث عن الخلفاء الأربعة فوجدناه بالنسبة إلى حديث أبى هريرة وحده أقل من السبعة والعشرين فى المائة ، لأن جميع ما روى عن أبى بكر إنما هو مائة واثنان وأربعون حديثاً ، وكل ما أسند إلى عمر إنما هو خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثاً ، وكل ما لعثمان مائة وستة وأربعون حديثاً ، وكل ما رووه عن علىّ خمسمائة وستة وثمانون مسنداً ، فهذه ألف وأربع مائة وأحد عشر حديثاً ، فإذا نسبتها إلى حديث أبى هريرة وحده ـــ وقد عرفت أنه ٥٣٧٤ ـــ تجد الأمر كما قلناه ، فلينظر ناظر بعقله فى أبى هريرة ، وتأخره فى إسلامه ، وخموله فى حسبه ، وأميته ، وما إلى ذلك مما يوجب إقلاله ، ثم لينظر إلى الخلفاء الأربعة ، وسبقهم ، واختصاصهم ، وحضورهم تشريع الأحكام ، وحسن بلائهم فى اثنين وخمسين سنة ، ثلاث وعشرين كانت بخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسعة وعشرين من بعده ، ساسوا فيها الأمة وسادوا الأمم . . فكيف يمكن والحال هذه أن يكون المأثور عن أبى هريرة وحده أضعاف المأثور عنهم جميعاً ؟ أفتونا يا أولى الألباب ؟ ! وليس أبو هريرة كعائشة وإن أكثرت أيضاً : فقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلام أبى هريرة بعشر سنين ، فكانت فى مهبط الوحى والتنزيل ومختلف جبرائيل وميكائيل أربعة عشر عاماً ، وماتت قبل موت أبى هريرة بيسير) .

ثم وازن بينهما فى الذكاء والفطنة ، ثم قال : (على أنها اضطرت إلى نشر حديثها إذ بثت دعاتها فى الأمصار ، وقادت إلى البصرة ذلك العسكر

ـــ الإسلامى » . وانظر كتاب « ظلمات أبى رية » : ص١٦٢ ، والأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة : ص ١٥٢ . والمنهج الحديث : ص ١٥٣ ، وكتاب الحديث والمحدثون ص ١٥٣ .

الجرار . ومع هذا فإن جميع ما روى عنها إنما هو عشرة مسانيد ومائتا مسند وألفا مسند ، فحديثها كله أقل من نصف حديث أبي هريرة .

ولو ضممت حديثها وحديث أم سلمة مع بقائها إلى ما بعد وقعة الطف وجمعت ذلك كله إلى حديث البقية من أمهات المؤمنين ، وحديث سيدي شباب أهل الجنة ، وسيدة نساء العالمين وحديث الأربعة من خلفاء المسلمين ما كان كله إلا دون حديث أبي هريرة وحده ! وهذا أمر مهول ألفت إليه أرباب العقول . .) .

ثم يطعن في حديث الوعائين ، ويستشهد بأقوال أبي هريرة في ذلك ، ثم يقول : (قلت : إن أبا هريرة لم يكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي عهده ، ولا خليفته من بعده ، ليؤثره بأسراره ، ويفضي إليه من العلوم ما لم يفض بها إلى أحد من خاصته . وما الفائدة بإفضاء تلك الأسرار إليه ؟ وهو رجل ضعيف ذو مهانة تمنعه أن ينبس في شيء منها ببنت شفة ، فإذا نبس رجم بالحجارة ، ورمي بالبعر وبالمزابل ، وإذا حدّث بشيء من تلك العلوم قطعوا منه البلعوم) .

ويستغرب كيف لا يفضي بها إلى الخلفاء من بعده ؟ ويرى قول أبي هريرة (إن أبا هريرة لايكتم ولايكتب) يعارض حديث حفظ الوعائين ، وهو صريح في أنه كان يكتم ؛ ثم يستهزىء بما كتم أبو هريرة ، ويتساءل : هل أحد الوعاءين من بابه الأسرار الإلهية . . . ثم يتساءل عن بعض أحاديث حدّث بها ، وقد وردت في الصحيحين ، وفهمهما الجمهور من غير لبس ، وجميع أهل السنة يعرفون صحتها ، ولكنه أراد أن يتهكم ويسخر من أبي هريرة(١) وإن ضيق تفكيره ، وتحامله على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله يفهم هذه الأحاديث فهماً خاطئاً ، ويحملها على غير مواضعها .

ثم يرى حديث أبي هريرة : (ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب) يعارض

(١) انظر (أبو هريرة) : ص ٥٠ — ٥٢ .

كثرة حديث أبي هريرة ، ويرى أنه إقرار صريح من أبي هريرة بأن ابن عمرو أكثر منه حديثاً . وقد بلغ مسند عبد الله بن عمرو (٧٠٠) حديثاً .

ثم يزعم أن العلماء حاروا في أمر أبي هريرة ولم يروا مخرجاً له ، اللهم إلا ما علله ابن حجر القسطلاني والشيخ زكريا الأنصاري ، بأن عبد الله ابن عمرو قطن مصر بينما سكن أبو هريرة المدينة مقصد المسلمين . ومع هذا يرى كلام أبي هريرة صريحاً يحبط تأويل واعتذار القسطلاني والأنصاري .

ويعود ليقارن بين مقام أبي هريرة في المدينة وعبد الله بن عمرو في مصر ويغمز جانب أبي هريرة ويجعله من المتهمين عند من يفد إلى المدينة ويقول : (وكثيراً ما كانوا ينقمون عليه إكثاره على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث ، ويقولون : ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل حديثه . .) .

وينتهي الباحث النزيه من تحقيقه هذا في كثرة أحاديث أبي هريرة إلى النتيجة الآتية حيث يقول :

(والحق أن أبا هريرة إنما اعترف (١) لعبد الله في أوائل أمره بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لم يكن مفرطاً هذا الإفراط الفاحش ، فإنه إنما تفاقم إفراطه وطغى فيه على عهد معاوية حيث لا أبو بكر ولا عمر ولا عليّ ولا غيرهم من شيوخ الصحابة الذين يخشاهم أبو هريرة) .

من الغريب أن يعجب الكاتب لكثرة حديث أبي هريرة ، ومن العجيب أن يثير هذا في القرن العشرين ! ! فهل يعجب من قوة ذاكرة أبي هريرة أن تجمع (٥٣٧٤) حديثاً ؟ أم يعجب أن يحمل هذه الكثرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث سنوات ؟ .

ـ إذا كان يعجب من قوة حافظة أبي هريرة فليس هذا مجالا للدهشة والطعن ، لأن كثيراً من العرب قد حفظوا أضعاف أضعاف ما حفظه أبو هريرة ، فكثير من الصحابة حفظوا القرآن الكريم والحديث والأشعار ،

---

(١) يشير المؤلف إلى حديث أبي هريرة : (ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني) .

فماذا يقول المؤلف فى هؤلاء ؟ ماذا يقول فى حفظ أبى بكر أنساب العرب ؟ وعائشة رضى الله عنها شعرهم ؟ وماذا يقول صاحبنا فى حماد الراوية الذى كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ؟ وماذا يقول فيه إذا علم أنه روى على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات ، من شعر الجاهلية دون الإسلام (١) ؟ وماذا يقول فى حفظ حبر الأمة عبد الله بن عباس ؟ فحفظ أبى هريرة ليس بدعاً وليس غريباً وخاصة إذا عرفنا أن تلك الأحاديث الـ (٥٣٧٤) مروية عنه ولم تسلم جميع طرقها . فأبو هريرة لا يتهم فى حفظه وكثرة حديثه من هذا الوجه .

— وإذا كان المؤلف يعجب من تحمل أبى هريرة هذه الأحاديث الكثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث سنوات ، فقد غاب عن ذهنه أن أبا هريرة صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم فى سنوات ذات شأن عظيم ، جرت فيها أحداث اجتماعية وسياسية وتشريعية هامة ، وفى الواقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفرغ فى تلك السنوات للدعوة والتوجيه بعد أن هادنته قريش ، ففى السنة السابعة وما بعدها انتشرت رسله فى الآفاق ووفدت إليه القبائل من جميع أطراف جزيرة العرب . وأبو هريرة فى هذا كله يرافق الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويرى بعينيه ، ويسمع بأذنيه ، ويعى بقلبه .

ثم إن ما رواه لم يكن جميعه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بل روى عن الصحابة رضى الله عنهم ورواية الصحابة عن بعضهم مشهورة مقبولة لا مأخذ عليها ، فإذا عرفنا هذا زال العجب العجاب الذى تصوره المؤلف .

ومن الخطأ الفاحش أن يقارن الخلفاء الراشدون وأبو هريرة فى مجال الحفظ وكثرة الرواية . لأسباب كثيرة أهمها :

أولا : صحيح أن الصديق والفاروق وذا النورين وأبا الحسن رضى الله عنهما سبقوا أبا هريرة فى صحبتهم وإسلامهم ، ولم يرو عنهم مثل ما روى عنه . إلا أن هؤلاء اهتموا بأمور الدولة وسياسة الحكم ، وأنفذوا العلماء

---

(١) انظر الأعلام : ٢/٣٠١ .

والقراء والقضاة إلى البلدان . فأدوا الأمانة التي حملوها ، كما أدى هؤلاء الأمانه في توجيه شئون الأمة . فكما لا نلوم خالد بن الوليد على قلة حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لانشغاله بالفتوحات لا نلوم أبا هريرة على كثرة حديثه لانشغاله بالعلم ، وهل لأحد أن يلوم عثمان رضى الله عنه أو عبد الله بن عباس لأنهما لم يحملا لواء الفتوحات ؟ فكل امرىء ميسر لما خُلق له .

ثانياً : انصراف أبي هريرة إلى العلم والتعليم واعتزاله السياسة ، واحتياج الناس إليه لامتداد عمره ، يجعل الموازنة بينه وبين غيره من الصحابة السابقين أو الخلفاء الراشدين غير صحيحة ، بل ذات خطأ كبير .

ثم إن الباحث يطعن عليه في هذا المجال في حسبه ونسبه وأميته ، فهل لهذه النواحي أثر في كثرة الرواية وقلتها ؟ لم يقل بهذا أحد .

وما رددنا به عليه بالنسبة لمقارنته بالخلفاء الراشدين ، يرد بالنسبة لمقارنته بالسيدة عائشة رضي الله عنها ، ونضيف أن السيدة عائشة كانت تفتى للناس في دارها ، وأما أبو هريرة فقد اتخذ حلقة له في المسجد النبوى ، كما كان أكثر احتكاكاً بالناس من السيدة أم المؤمنين بصفته رجلا كثير الغدو والرواح . وأضيف إلى هذا أن السيدة الجليلة كان جل همها موجهاً نحو نساء المؤمنين ، وكان يتعذر دخول كل إنسان عليها . ومع هذا فإن المؤلف النزيه لم يكفّ لسانه عنها ، بل رأى أنها أكثرت أيضاً ! ! ؟ وهو في هذا يناقض نفسه .

أما أنه يرى حديث أبي هريرة أكثر من حديث السيدة عائشة وأم سلمة وحديث بقية أمهات المؤمنين والحسنين وأمهما مع حديث الخلفاء الأربعة ، فقد سبق أن أجبت على ذلك ، وأضيف أن أم سلمة لم تكن مرجعاً للناس كالسيدة عائشة رضي الله عنهما ، وأما الحسنان فهما من صغار الصحابة ، وقد اشتغلا في الأمور السياسية ، فبدهي أن تكون مروياتهما قليلة ، ومثل هذا يقال في سيدة نساء العالمين أمهما ، التي توفيت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة شهور .

فالأمر ليس مهولا ، يحتاج إلى تفكير أرباب العقول كما ادعى ؟ ؟ وهل يقصد بأرباب العقول النظام والجاحظ ! ؟ .

إن نظرة مجردة عن الهوى تدرك أن ما روى عن أبى هريرة من الأحاديث لا يثير العجب والدهشة ، ولا يحتاج إلى هذا الشغب الذى اصطنعه أهل الأهواء ، وأعداء السنن ، وإن ما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء سمعه منه أو من الصحابة لا يشك فيه لقصر صحبته ؛ بل إن صحبته تحتمل أكثر من هذا ، لأنها كانت فى أعظم سنوات دولة الإسلام دعوة ونشاطاً وتعليما وتوجيهاً فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

أما طعن المؤلف فى حديث الوعاءين ، وتهكمه على أبى هريرة ، واستهزاؤه بما فى وعائه من العلم الذى لم ينشره ؛ وتساؤله عن ذلك العلم ، كل هذا قد طرقه العلماء قبله وبينوا أن ما عنده مما لم ينشر لا يتعلق بالأحكام أو الآداب ، وليس مما يقوم عليه أصل من أصول الدين ، بل بعض أشراط الساعة ، أو بعض ما يقع للأمة من الفتن(١) ويدل على ذلك حديثه الذى ذكر بعضه المؤلف الأمين ! ! ولم يذكر تعليق راويه الذى يبين قصد أبى هريرة ، قال أبو هريرة : (لو حدثتكم بكل ما فى جوفى لرميتمونى بالبعر . قال الحسن — راوى الحديث عن أبى هريرة — : صدق ، والله لو أخبرنا أن بيت الله يهدم أو يحرق ما صدقه الناس . ! !) (٢) .

وأبو هريرة ليس بدعاً فى قوله . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختص بعض أصحابه بأشياء دون الآخرين ، من هذا حديثه لمعاذ ابن جبل رضى الله عنه : « ما أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النار» . قال : يا رسول الله ، أفلا أُخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : « إذاً يتكلوا »(٣) وأخبر به معاذ عند موته تأثماً ، خوفاً من أن يكون قد كتم العلم . ولم يكن معاذ ولى عهده ولا خليفته من بعده ، فالأمر لا يحتاج إلى ولاية عهد ولا إلى وصاية . فلِمَ ينكر الكاتب مثل هذا على أبى هريرة ولا ينكره على غيره ؟ ؟ ثم ليعرف المؤلف الذى

---

(١) راجع ص ١١٩ وما بعدها من هذا الكتاب وراجع فتح البارى : ١ / ٢٢٧ والرد على المنطقيين : ص٤٤٥ — ٤٤٦ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢ / ٥٧ و ٢ : ٢ / ١١٩ .

(٣) فتح البارى : ١ / ٢٣٦ .

أساء كثيراً إلى أبي هريرة ، وشتمه وكال له السباب كيلا — أن كتمان أبي هريرة لهذا الوعاء لم يكن لخوفه ألا يسمع الناس له لمهانته وضعفه فيرموه بالبعر وبالمزابل . بل لأنه أراد أن يحدّث الناس على قدر عقولهم ، وأن يخاطبهم بما يفهمون ويعرفون ، وبذلك أوصى أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنه (١) .

أما قول أبي هريرة : إن أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب . فلا يتعارض مع حديث الوعاءين لأن أبا هريرة لا يكتم العلم النافع الضرورى ، وما كتمه أبو هريرة لم يكن من هذا ، بل كان بعض أخبار الفتن والملاحم وما سيقع للناس مما لا يتوقف عليه شيء من أصول الدين أو فروعه .

— وأما استشهاد المؤلف بحديث أبي هريرة: (ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب) . ومرويات ابن عمرو التي لا تتجاوز سبعمائة حديث — على أن ابن عمرو أكثر من أبي هريرة حديثاً ، وأن أبا هريرة بذلك يقر ويعترف بتقوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل — فهو استشهاد في غير موضعه ، بُني على تصور خاطيء ، وفهم للحديث على خلاف الواقع .

إن الحديث يدل على أن عبد الله بن عمرو كان أكثر أخذاً للحديث من أبي هريرة ، لأنه كان يكتب وأبو هريرة لا يكتب . ويحتمل أن يكون قول أبي هريرة هذا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يدعو له بالحفظ ، وكان يعيده في كل مناسبة تقع له . وإذا استبعدنا هذا الفرض فكل ما في الأمر أن عبد الله بن عمرو حمل من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أبي هريرة إلا أنه لم يتيسر له نشره لأسباب نبينها بعد قليل .

ولابن حجر رأى أبينه فيما يلي : قال : (قوله: فإنه كان يكتب ولا أكتب) هذا استدلال من أبي هريرة على ما ذكره من أكثرية ما عند عبد الله

---

(١) فتح البارى : ١/٢٢٥ .

ابن عمرو بن العاص ، على ما عنده : ويستفاد من ذلك أن أبا هريرة كان جازماً بأنه ليس فى الصحابة أكثر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم منه إلا عبد الله ، مع أن الموجود المروى عن عبد الله بن عمرو ، أقل من الموجود المروى عن أبى هريرة بأضعاف مضاعفة . فإن قلنا : الاستثناء منقطع فلا إشكال ، إذ التقدير : لكن الذى كان من عبد الله — وهو الكتابة — لم يكن منى ، سواء لزم منه كونه أكثر حديثاً لما تقتضيه العادة أم لا ، وإن قلنا الاستثناء متصل فالسبب فيه من جهات :

أحدها : أن عبد الله كان مشتغلا بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم فقلت الرواية عنه .

ثانيها : أن أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار كان بمصر أو بالطائف ، ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة ، وكان أبو هريرة متصدياً فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات ، ويظهر هذا من كثرة من حمل عن أبى هريرة ، فقد ذكر البخارى أنه روى عنه ثمانمائة نفس من التابعين ولم يقع هذا لغيره .

ثالثها : ما اختص به أبو هريرة من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له بأن لا ينسى ما يحدثه به .

رابعها : أن عبد الله كان قد ظفر فى الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب ، فكان ينظر فيها ويحدث منها فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين . ا هـ) (١) .

أضيف إلى هذا أن عبد الله بن عمرو كان يتنقل بين مصر والشام والطائف ، وكثيراً ما كان يتردد على الطائف ليشرف على الوهط (الكرم) الذى كان لأبيه ، وقد ساومه معاوية بن أبى سفيان من أجله على مال كثير فأبى أن يبيعه بشىء(٢) . وقد عزا بعضهم التنافر الذى كان بينهما إلى هذه الحادثة (٣) .

---

(١) فتح البارى : ٢١٧/١ .

(٢) الأموال : ٣٠١ وكان هذا الكرم عظيما على ألف ألف خشبة .

(٣) قد تكون هذه الحادثة أحد الأسباب للتنافر بينهما ، ومشهور عن عبد الله بن عمرو =

ولابد هنا من أن أبين أن عبد الله بن عمرو لم يفسح له مجال التحديث في عهد معاوية وابنه يزيد، لأنه لم يكن على وفاق دائم مع معاوية، وربما منعه معاوية وابنه ، من ذلك ما رواه الإمام أحمد من طريق شهر قال : أتى عبد الله بن عمرو على نوف البكالي وهو يحدّث ، فقال : حدّث . فإنا قد نُهينا عن الحديث ، قال : ما كنت لأحدّث وعندى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم من قريش (١) . وقول عبد الله ابن عمرو (إنا قد نُهينا عن الحديث) لا يريد به ما يظنه أعداء السنّة أن هذا النهى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . إنما يريد به نهى معاوية وابنه يزيد كما بينته رواية ثانية فيها : (فجاءه رسول يزيد بن معاوية أن أجب . فقال : هذا ينهانى (أن) أحدثكم ، كما كان أبوه ينهانى) (٢) فربما فعل ذلك يزيد أيضاً مخافة أن يؤلّب عبد الله الناس على بنى أمية. تلك أسباب هامة فى قلة روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، بالنسبة لما تحمله عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، تنفى ما زعمه المؤلف من (أن أبا هريرة إنما اعترف لعبد الله فى أوائل أمره بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين لم يكن مفرطاً هذا الإفراط الفاحش ، فإنه إنما تفاقم إفراطه وطغى فيه على عهد معاوية . .) وإن قلة مرويات عبد الله بن عمرو لم تعد تثير أى شك ، أو تدخل أية شبهة على مرويات أبى هريرة الكثيرة بالرغم من تصريحه عن كثرة حديث ابن عمرو ، بعد أن عرفنا تلك الأسباب التى كان لها أثر بعيد فى قلة مروياته . .

* * *

= أنه كان قد رد على معاوية بعد صفين رداً قوياً ، روى عن عبد الله بن الحرث أنه قال : إنى لأساير عبد الله بن عمرو بن العاص ومعاوية ، فقال عبد الله بن عمرو لعمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتله الفئة الباغية — يعنى عماراً ، فقال عمرو لمعاوية : اسمع ما يقول هذا ، فحدثه ، فقال : أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من جاء به ! ! راجع مسند الإمام أحمد : ١١/ ١٥٥ و ١٥٦ و ١٠/ ٦٤ بإسناد صحيح .

(١) مسند الإمام أحمد : ١١/ ١٧٢ رقم ٦٩٥٢ بإسناد صحيح .

(٢) المرجع السابق : ١١/ ١٧٢ رقم ٦٨٦٥ إسناده ضعيف .

موقف الصحابة من أبي هريرة :

ذكر إبراهيم بن سيار النظام أبا هريرة فقال : أكذبه عمر وعثمان وعلىّ وعائشة (١) رضوان الله عليهم أجمعين .

— وقال بشر المريسى عن عمر بن الخطاب أنه قال : (أكذب المحدّثين أبو هريرة) (٢) .

— وقال الأستاذ أحمد أمين : وقد أكثر بعض الصحابة من نقده — أبي هريرة — على الإكثار من الحديث عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وشكوا فيه ، كما يدل على ذلك ما روى مسلم فى صحيحه أن أبا هريرة قال : (إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله . .) وفى حديث آخر : (يقولون إن أبا هريرة قد أكثر . .) (٣) .

— وقال عبد الحسين شرف الدين : (أنكر الناس على أبي هريرة واستفظعوا حديثه على عهده .. وحسبك أن فى مكذبيه عظماء الصحابة..) (٤). ثم قال :

(وبالجملة فإن إنكار الأجلاء — من الصحابة والتابعين) — عليه واتهامهم إياه مما لا ريب فيه ما تورع منهم عن ذلك أحد حتى مضوا لسبيلهم ، وإنما تورّع الجمهور ممن جاء بعدهم إذ قرروا القول بعدالة الصحابة أجمعين أكتعين أبصعين ، ومنعوا من النظر فى شئونهم ، وجعلوا ذلك من الأصول المتبعة وجوباً ، فاعتقلوا العقول بهذا ، وسملوا العيون ، وجعلوا على القلوب أكنّة . وعلى الأسماع وقراً ، فإذا هم « **صم بكم عمى فهم لا يرجعون** » (٥) .

---

(١) انظر تأويل مختلف الحديث ص ٢٧ .
(٢) رد الدارمى على بشر المريسى : ١٣٢ .
(٣) فجر الإسلام : ٢١٨ .
(٤) أبو هريرة : ٢٦٢ — ٢٦٤ .
(٥) البقرة : ١٨ .

حاشا أئمة أهل البيت عليهم السلام فإنهم أنزلوا الصحابة حيث أنزل الصحابة أنفسهم . فرأيهم في أبي هريرة لم يعد رأى عليّ وعمر وعثمان وعائشة ، وتبعهم في هذا شيعتهم كافة : القدماء منهم والمتأخرون ، من عهد أمير المؤمنين إلى يومنا هذا ، ولعل جل المعتزلة على هذا الرأى . قال الإمام أبو جعفر الإسكافي ما هذا نصه : وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضى الرواية (قال) ضربه بالدرة . وقال : قد أكثرت من الرواية فأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم . .) (١) .

— رأى أبي ريّة : أورد أبو ريّة بعض الأقوال السابقة ، وساق بعض استدراكات الصحابة على أبي هريرة . واستشهد بفقرات لجولدتسهر و(شبرنجر) ، وسرد أقوالا مختصرة لبعض ما دار بين الصحابة وأبي هريرة ليكوّنا من ذلك رأيه في أبي هريرة ويجعله أول راوية اتهم في الإسلام (٢) .

مما سبق تتبين لنا الشبه التي أوردها بعضهم على موقف الصحابة من أبي هريرة ، وقد ساقوا تلك الشبه من غير أن يبينوا لنا أسبابها ، وإن بيّن بعضهم ذلك فإنما يحمل الحادثة على غير محملها .

لذلك سأبين موقف الصحابة من أبي هريرة وحديثه ، وقد اضطر إلى ذكر بعض الأحاديث والأخبار التي دارت بينهم ، أو اختلفوا من أجلها ، لأكشف عن حقيقة أمرهم من راوية الإسلام ، ولابد لي أن أشير إلى أن الصحابة لم يقفوا من أبي هريرة موقفاً خاصاً كما أنهم لم ينظروا إليه من زاوية معينة ، أو بمنظار الشك والريبة . ولن أطيل بأكثر مما يحدده المقام ويقتضيه البحث .

(أ) أبو هريرة وعمر بن الخطاب :

لم يثبت قط أن عمر رضي الله عنه ضرب أبا هريرة بدرته لأنه أكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما ما ذكره أبو ريّة

---

(١) أبو هريرة : ٢٦٧ — ٢٦٨ . وقد بينت في بحث «عدالة الصحابة» أدلة عدالتهم والآراء في هذا فلتراجع الصفحة ٣٠ وما بعدها .

(٢) انظر أضواء على السنة المحمدية : ١٦٦ — ١٧٢ .

فى صفحة (١٦٣) وما ذكره عبد الحسين فى (ص٢٦٨) من ضرب عمر لأبى هريرة فهى رواية ضعيفة لأنها من طريق أبى جعفر الإسكافى وهذا غير ثقة . وأما تهديد عمر رضى الله عنه لأبى هريرة بالنفى وهو ما رواه السائب بن يزيد إذ قال : (سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبى هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس ، وقال لكعب الأحبار لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة) (١) هذا ما جاء فى تاريخ ابن كثير ، بينما ذكر عبد الحسين وأبو ريّة أنه قال لأبى هريرة (لألحقنك بأرض دوس أو بأرض القردة) نقلا عن ابن عساكر ، وابن عساكر براء من هذه الرواية فكل ما فيه (عن السائب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبى هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لألحقنك بأرض دوس ، وقال لكعب : لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة) (٢) . فلم يحسن عبد الحسين النقل ! !

وأما أبو ريّة فقد أشار إلى البداية والنهاية وليس فيها هذا . ونهى عمر رضى الله عنه لم يكن خاصاً بأبى هريرة بل ذلك كان منهاجه خوفاً من الوقوع فى الخطأ .

ثم إن ابن كثير بعد أن ذكر هذه الرواية قال : وهذا محمول من عمر على أنه خشى من الأحاديث التى قد تضعها الناس على غير مواضعها ، وأنهم يتكلون على ما فيها من أحاديث الرخص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع فى أحاديثه بعض الغلط ، أو الخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك اهـ .

ونُقل إلينا أن عمر أذن له بعد ذلك فى التحديث ، بعد أن عرف ورعه وخشيته الخطأ . قال أبو هريرة : بلغ عمر حديثى فأرسل إلىّ فقال : كنت معنا يوم كنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى بيت فلان ؟ قال : قلت : نعم . وقد علمتُ لِمَ تسألنى عن ذلك ؟ قال : ولِمَ سألتك ؟ قلت : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال يومئذ : « من كذب علىّ متعمداً

---

(١) البداية والنهاية : ٨/١٠٦ .

(٢) ابن عساكر ص ٤٨٦ ج ٤٧ .

فليتبوأ مقعده من النار » . قال : أما إذاً فاذهب فحدِّث(١) . وفي رواية قال له عمر : (حدِّث الآن عن النبي صلى الله عليه وسلم ما شئت) (٢) ، وفي رواية (أما لي فاذهب فحدِّث) (٣) ، ونحن نرى في كل هذا أن عمر لم يطعن في أبي هريرة ، ولو أنه اتهمه بالكذب كما ادعى النظام وغيره ، لكان قال له (لتتركن الكذب على رسول الله) ، ولكنه لم يقل ذلك ، وكل ما صدر عن أمير المؤمنين إنما كان من باب سياسته في تطبيق منهجه في التثبت في السنة والإقلال من الرواية .

وأبو هريرة نفسه يروي تطبيق الفاروق لمنهجه . إلا أن أبا ريّة وأستاذه عبد الحسين لم ينقلا النص الكامل لروايته فبدت مشوهة وخاصة عند أبي ريّة ص (١٦٣) إذ يقول : (ومن أجل ذلك كثرت أحاديثه بعد وفاة عمر وذهاب الدرة إذ أصبح لا يخشى أحداً بعده ، ومن قوله في ذلك : إني أحدِّثكم بأحاديث لو حدَّثت بها زمن عمر لضربني (٤) بالدرة — وفي رواية — لشج رأسي . وعن الزهري عن أبي سلمة : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنا نستطيع أن نقول : قال رسول الله حتى قبض عمر ! ثم يقول : أفكنت محدِّثكم بهذه الأحاديث وعمر حي ؟ أما والله إذن لأيقنت أن المخفقة ستباشر ظهري فإن عمر كان يقول : اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله) .

لم ينقل أبو ريّة إلا ما يفيده في إثبات رأيه في أبي هريرة ، وترك ما ينقض كلامه ورأيه . فقد ذكر ابن كثير بعد قول أبي هريرة (حتى قبض عمر) رواية عن الزهري ، فيها قال : (قال عمر : أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فيما يُعمل به) قال : ثم يقول أبو هريرة : (أفكنت محدِّثكم بهذه الأحاديث وعمر حي ؟ إلخ) ثم قال : (ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له : إنك تأتي قوماً لهم في مساجدهم دوي بالقرآن

---

(١) البداية والنهاية : ٨/١٠٧ وسير أعلام النبلاء : ٢/٤٣٤ .

(٢ و ٣) ابن عساكر ص ٤٨٧ جـ ٤٧ .

(٤) هذه الأخبار جميعها وأمثالها ساقها أبو القاسم البلخي في كتابه «قبول الأخبار ومعرفة الرواة» للطعن في أبي هريرة فلم يفلح انظر : ٥٧ — ٥٨ وبعضها ضعيف وبعضها لا إسناد له .

كدوى النحل ، فدعهم على ما هم عليه ، ولا تشغلهم بالأحاديث ، وأنا شريكك فى ذلك)(١) . هذا معروف عن عمر رضى الله عنه .

فسياسة عمر هذه لم تكن خاصة لأبى هريرة وحده بل كانت عامة . وهناك ما يثبت أن عمر لم يكذبه ولم يطعن فيه ، ولم يهدده بالنفى إلى جبال دوس ، فقد سبق أن سقت رواية صحيحة للإمام أحمد وفيها أن عمر سأل من كان معه فى طريق مكة عن الريح عندما اشتدت فلم يجبه أحد ، وعندما علم أبو هريرة بسؤال أمير المؤمنين استحث راحلته حتى أدركه فقال : (يا أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الريح من روح الله ... الحديث)(٢) . هذه الحادثة تنفى كل ما روى من تكذيب عمر رضى الله عنه لأبى هريرة أو الطعن فى حديثه ، أو تهديده بالنفى . . وذلك من وجهين :

أولا — هل يعقل أن يستحث أبو هريرة السير إلى عمر ، ليحدثه لو كان قد صدر من عمر شىء مما ذكرت ؟ ، لو كان مثل هذا قد صدر — ما حدث أبو هريرة أمير المؤمنين ، إذ يكون قد اقتنع بأنه لن يسمع منه بل سيكذبه . وهل يعقل من مثل أبى هريرة أن يضرب بالدرة ويكذب ويهدد بالنفى ، ثم يرافق الفاروق فى حجه !! ؟ هذا بعيد جداً .

ثانيا — وأما بالنسبة لعمر رضى الله عنه فلا يمكن أن يهدده أو يكذبه بعد ذلك لأنه عرف حفظه حين نسى أصحابه ، أو عرف سماعه حين لم يسمع أصحابه من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومع هذا فإن تلك الأخبار محمولة على سياسة عمر العامة فى التحديث . وقد رد ابن قتيبة على من ادعى تكذيب الصحابة لأبى هريرة فى كتابه « تأويل مختلف الحديث » وبيّن أن ذلك إنما كان من سياسة عمر رضى الله عنه وتشدده على من أكثر الرواية(٣) .

وأما ادعاء بشر المريسى تكذيب الفاروق لأبى هريرة فهو باطل لا أصل له

---

(١) البداية والنهاية : ٨/١٠٧ .
(٢) مسند الإمام أحمد : ١٤/٥٢ رقم ٧٦١٩ بإسناد صحيح .
(٣) انظر تأويل مختلف الحديث : ٤٨

وما رواه عن عمر أنه قال : (أكذب المحدِّثين أبو هريرة) لم يذكر سنده وقد تصدى له عثمان بن سعيد الدارمي (٢٠٠ — ٢٨٠هـ) فرد عليه رداً قوياً أخمده وكشف عن جميع اتهاماته(١) .

***

(ب) أبو هريرة وعثمان بن عفان :

لم يذكر مصدر موثوق أن عثمان كذَّب أبا هريرة كما ادعى النظام وغيره ، كما لم يثبت أنه طعن فيه أو منعه من التحديث ، وكل ما هنالك رواية ذكرها ابن خلاد قال : حدثنا عبيد الله بن هارون بن عيسى — ينزل جبل رامهرمز — حدثنا إبراهيم بن بسطام ، حدثنا أبو داود ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن محمد ، قال : أظنه ابن يوسف قال : (سمعت السائب بن يزيد يحدِّث قال : أرسلني عثمان بن عفان إلى أبي هريرة فقال : قل له يقول لك أمير المؤمنين : ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد أكثرت ، لتنتهين أو لألحقنك بجبال دوس ، وايت كعباً فقل له : يقول لك أمير المؤمنين عثمان : ما هذا الحديث قد ملأت الدنيا حديثاً ، لتنتهين ، أو لألقينك بجبال القردة(٢) .

إلا أن الخبر روى عن عمر بن الخطاب ، ولم نر إلا هذه الرواية عن عثمان رضي الله عنه ، وقد كانت صلة أبي هريرة قوية بأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، مما لا يتصور أن يهدده بالنفي ، والمعقول أن ينصحه بالحسنى ، ولو صحت هذه الرواية ، فليس فيها طعن في أبي هريرة ، لأنه ينهاه عن الإكثار من الرواية عندما لا تكون هناك حاجة إلى الإكثار منها ، وأبو هريرة نفسه لم ير في هذا مطعناً ، ولم يترك كل هذا أثراً في نفسه ، فتراه يوم الدار يدافع عن الخليفة الراشد الثالث رضي الله عنهما .

***

---

(١) رد الدارمي على بشر : ١٣٢ وما بعدها .

(٢) المحدث الفاصل : ١٣٣ .

(ج) أبو هريرة وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما :

لم يحمل مصدر موثوق بين دفتيه ما يثبت أن علياً رضى الله عنه كذّب أبا هريرة أو نهاه عن التحديث ، إلا أن بعض أعداء أبى هريرة يستشهدون برواية عن أبى جعفر الإسكافى أن علياً لما بلغه حديث أبى هريرة قال : ألا إن أكذب الناس — أو قال أكذب الأحياء — على رسول الله أبو هريرة الدوسى(١) . هذه رواية ضعيفة مردودة لأنها من طريق الإسكافى وهو صاحب هوى داع إلى هواه غير ثقة .

ومنها ما أورده النظام على أبى هريرة أن علياً بلغه قول أبى هريرة : (قال خليلى ،وحدّثنى خليلى) فقال له علىّ : متى كان النبى خليلك يا أبا هريرة ؟)(٢) . ومن الغريب أن عبد الحسين ينقل هذا فى كتابه ويعزوه إلى ابن قتيبة(٣) ، بينما ينقله ابن قتيبة عن النظام ليرد عليه ، وهذا خطأ كبير ، إن لم يكن تدليساً لا يغتفر مثله ممن ادعى البحث العلمى والذوق الفنى .

ورد ابن قتيبة قول النظام بما ملخصه : أن الخلة بمعنى المصافاة والصداقة درجتان إحداهما ألطف من الأخرى ، فمن الخلة التى هى أخص قول الله تعـــالى : « **واتخذ الله إبراهيم خليلا** »(٤) .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » . وأما الخلة التى تعم فهى الخلة التى جعلها الله تعالى بين المؤمنين فقال : « **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** »(٥) .

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١/٤٦٨ وأبو هريرة : ٢٧٣ .

(٢) تأويل مختلف الحديث : ٢٧ و ٥١ .

(٣) أبو هريرة : ٢٧٣ . وما زاده ابن قتيبة فى الصحة (٥٢) من تأويل مختلف الحديث (إذ كان سيىء الرأى فيه) لا يضير أبا هريرة لأن ابن قتيبة إنما يبين للنظام سبب قول على رضى الله عنه ويرد عليه افتراءه على أبى هريرة .

(٤) النساء : ١٢٥ . (٥) الزخرف : ٦٧ .

فعلى رضى الله عنه يقصد النوع الأول فأنكر عليه قوله لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتخذ خليلا من هذا النوع ولو اتخذ لاتخذ أبا بكر رضى الله عنه ، وذهب أبو هريرة إلى الخلة التى جعلها الله تعالى بين المؤمنين ، والولاية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الجهة خليل كل مؤمن وولى كل مسلم(١) . وهل فى هذا تكذيب لأبى هريرة ! ؟ .

ومن أعجب ما رأيت فى هذا الباب ما ادعاه النظام إذ قال : (بلغ علياً أن أبا هريرة يبتدىء بميامنه فى الوضوء ، وفى اللباس فدعا بماء فتوضأ فبدأ بمياسره وقال لأخالفن أبا هريرة)(٢) . وقد نقل هذا الخبر عبدالحسين ، ومما يؤسف له أنه عزاه إلى ابن قتيبة(٣) ، وابن قتيبة برىء منه إنما أورده للرد على النظام ، وهكذا نعود ثانية فنكشف عن عدم الأمانة العلمية التى ثبتت على المؤلف فى أكثر من موضع .

هل يقبل إنسان يحب علياً رضى الله عنه ، ويرى فيه إمام أهل البيت وحامل راية الحق ، وأمير المؤمنين الذى (مع القرآن والقرآن مع علىّ لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله ، وعلىّ مع الحق والحق مع علىّ يدور معه كيف دار)(٤) . هل يقبل إنسان يؤمن بهذا أن يصدر عن إمامه مثل ذلك الخبر ؟ . بل هل يصدق مثل تلك الرواية ؟ . وأغرب من هذه وتلك أنه يورد هذه القصة ليستشهد بها على طعن أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه فى أبى هريرة وتكذيبه ، وهى طعن صريح فى السنة التى كان عليها علىّ رضى الله عنه ، وإن علياً برىء من هذه الحادثة ، وإنى لأؤكد أن هذه الرواية موضوعة وقد صنعتها يد أعداء أمير المؤمنين ، بل إن كل من يدعى صحتها نشك فى حبه لعلىّ رضى الله عنه . وهو الذى ثبت عنه فى الصحاح : أنه دخل على ابن عباس ، فدعا بوضوء ، .. فقال : يا ابن عباس ، ألا أتوضأ لك وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ — قال ابن عباس —

---

(١) انظر تأويل مختلف الحديث : ٥٢ .

(٢) المرجع السابق : ٢٧ وانظر قبول الأخبار : ٥٩ .

(٣) أبو هريرة : ٢٧٣ قال فى الهامش : العهدة فى هذه الرواية على ابن قتيبة .

(٤) هذا ما نص عليه مؤلف كتاب أبى هريرة فى الصفحة ٢٧٣ — ٢٧٤ .

قلت : بلى فداك أبي وأمي . قال : فوضع له إناء . . **ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً ، ثم يده الأخرى مثل ذلك**(١) . وهذا الخبر صحيح يعارض الخبر السابق الضعيف . وإن من الخطأ الذي لا يغتفر ، أن ينساق المرء وراء ميوله وأهوائه ، حتى ينتهي إلى ما يخالف به أصوله وسيرة قدوته . ويستشهد بما يطعن في مرشده ومعلمه ، لقد ثبت تمسك عليّ رضي الله عنه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل يعقل أن يخالف سنة الرسول الكريم ، لأنه يسيء الظن بأبي هريرة ؟ لا يقول هذا أحد قط وإن قاله فهو من أعداء عليّ رضي الله عنه لا من شيعته . فكان من الخير لعبد الحسين الذي يدعي أنه من أتباع أمير المؤمنين أن يعض على حجر ، أو على جمرة حتى يحترق لسانه من أن يستشهد بما يخالف الحقيقة والتاريخ .

* * *

(د) أبو هريرة وعائشة :

لقد طال العهد بعائشة أم المؤمنين وبأبي هريرة ، فاحتاج الناس إليهما كثيراً ، فروى عنهما من الحديث ما لم يرو عن غيرهما ، وقد كان أبو هريرة يحدّث ، فتستدرك عليه السيدة عائشة تارة ، وتصدّقه أخرى ، كما كان يحدث مع غيره من الصحابة ، فقد استدركت(٢) على أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعلى ابن عمر ، وعلى أبي هريرة . . وكل ذلك كان من باب التفاهم والسؤال عن الحديث ، أو الدليل في المسألة التي يفتي بها المسئول ، كما استدرك غيرها عليها ، كما أنها كانت توجه من يسألها أحياناً إلى من هو أعرف منها في تلك المسألة ، وقد ثبت أنها وجهت من سألها عن مسح الخف إلى عليّ رضي الله عنهما(٣) ، وفي كل هذا لم يشعر

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٢/٤٩ : رقم ٦٢٥ . بإسناد صحيح .

(٢) جمع الإمام بدر الدين الزركشي كتاباً في ذلك تحت عنوان : الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة .

(٣) قال شريح بن هانىء : سألت عائشة عن المسح (على الخفين) فقالت : ائت علياً فهو أعلم بذلك مني ، قال : فأتيت علياً فسألته عن المسح على الخفين ؟ قال : فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نمسح على الخفين يوماً وليلة ، وللمسافر ثلاثاً . انظر مسند الإمام أحمد : ٢/١٧٥ رقم ٩٠٦ ورواه الإمام مسلم .

الصحابة بغضاضة أو حرج ، لأن هدفهم واحد ، وهو تطبيق الشريعة . وما كان الصحابة يكذّب بعضهم بعضاً . إلا أن من جاء بعدهم من أهل الأهواء استغلوا ما دار بين الصحابة من النقاش العلمي ، أو التثبت في الحديث ، وجعلوا منه مادة طيبة ينفذون من خلالها إلى مآربهم ، ويحققون غاياتهم . ولكنهم لم يفلحوا ، لأن الأمة لم تعدم العلماء المخلصين ، والساهرين النابهين ، الذين بينوا الحق من الباطل ، ووضعوا كل شيء في موضعه .

ومما أخذه النظام على أبي هريرة حديث «من أصبح جنباً فلا صيام له »(١) . وإليكم الحديث كما رواه الإمام مسلم قال :

حدثني محمد بن رافع — واللفظ له — حدثنا عبد الرزاق بن همام أخبرنا ابن جريج ، أخبرني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي بكر(٢) قال : سمعت أبا هريرة يقص (و) يقول في قصصه : من أدركه الفجر جنباً فلا يصم . قال : فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث ، (فذكره)(٣) لأبيه فأنكر ذلك ، فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة ، فسألهما عبد الرحمن عن ذلك ، قال : فكلتاهما قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من غير طهر ثم يصوم ، فانطلقنا حتى دخلنا على مروان(٤) ، فذكر ذلك له عبد الرحمن . فقال مروان : عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددتَ عليه ما يقول . قال : فجئنا أبا هريرة ، وأبو بكر حاضر ذلك كله ، فذكر له عبد الرحمن فقال أبو هريرة : أهما قالتاه لك ؟ قال : نعم . قال : هما أعلم ، ثم رد أبو هريرة ما كان يقول إلى الفضل بن العباس ، فقال أبو هريرة : سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) تأويل مختلف الحديث : ٢٨ وقد استشهد به عبد الحسين شرف الدين في كتابه (أبو هريرة) : ٢٧٥ واستشهد بذلك أبو رية في كتابه : أضواء على السنة المحمدية : ١٦٥ و ١٧٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ٧/٢٢٠ وأبو بكر هو ابن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام .

(٣) في صحيح مسلم لم يذكر (فذكره) أثبتها من كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة وهو أسلم للسياق ، انظر صفحة : ١٢٤ من المرجع المذكور .

(٤) يتبين من عودتهم إلى مروان بن الحكم أن ذلك كان في إمارته على المدينة .

قال : فرجع أبو هريرة عما كان يقول فى ذلك . قلت لعبد الملك: أقالتا فى رمضان ؟ قال : كذلك كان يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم .

فهل هذا ينتقص من عدالة أبى هريرة ؟ إن عائشة وأم سلمة لم تقولا فيه شيئاً بل روتا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصومه .

ثم إن أبا هريرة عندما بلغوه قول عائشة وأم سلمة ، تأكد منهم (أهما قالتاه لك ؟) وعندما قالوا له (نعم) ، لم يتأخر عن أن يقول (هما أعلم) ويبين لهم ممن سمع ذلك . فأبو هريرة أمين فى ذلك كله ، إنه لم يصرح فى حديثه قط أنه سمع(١) ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل كان يقص على الناس ويفتيهم ، ومع هذا فإن لقول أبى هريرة وجهات يمكن أن أبينها .

أولا : أن يكون قوله محمولا على النسخ ، وذلك أن الجماع كان فى أول الإسلام محرماً على الصائم فى الليل بعد النوم كالطعام والشراب ، فلما أباح الله الجماع إلى طلوع الفجر جاز للجنب إذا أصبح قبل أن يغتسل أن يصوم ذلك اليوم ، لارتفاع الحظر ، وكان أبو هريرة يفتى بما سمعه من الفضل على الأمر الأول ، ولم يعلم بالنسخ . فلما سمع من عائشة وأم سلمة صار إليه(٢) .

ثانياً : أن يكون حديث أبى هريرة هذا خاصاً بمن تجنب من الجماع

---

(١) لقد روى هذا الحديث وما فى معناه من طرق أخرى عنه ، مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر فيها أنه سمعه من الفضل ، ولكنها بمعنى (من أدركه الفجر جنباً فلا يصم) . فتحمل تلك الروايات على أنها لا صوم كامل لمن أدركه الفجر وهو جنب ، أو أنه مما نسخ كما هو مبين فى المناقشة ، ورفعه تارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعدم رفعه أخرى لا يطعن فيه لأنهم أحياناً لا يذكرون الإسناد ، ولم يكن بعضهم يكذب بعضاً ، فإذا سئل صحابى عمن سمعت قول كذا ؟ عزاه من غير تردد . . . وإن كان رأياً بينه ، وكانوا أورع من أن يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة : ١٢٥ وهو قول ابن المنذر ، ويروى أنه أحسن ما سمع فى ذلك ، وانظر أخبار أهل الرسوخ فى الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث : ٢٩ .

بعد طلوع الفجر فإنه يؤمر بالإمساك ، ولا يعتد له بصوم ذلك اليوم(١) :

ثالثاً : حمل حديث أبي هريرة على كمال الصوم ، وأنه إرشاد إلى الأفضل وهو الاغتسال قبل الفجر ، وقد تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك في حديث عائشة وأم سلمة ، لبيان الجواز(٢) .

وبالرأى الأول أقول وإليه أذهب ، وإنى أراه أقوى الأوجه علماً بأن الرأى الثالث يوفق بين الحديثين من غير أن يكون هناك ناسخ ومنسوخ . ذلك هو الحديث ووجهه : إلا أن أبا ريّة ، بعد أن ذكر قول عائشة رضى الله عنها ، ورجوع أبي هريرة . قال : (فلم يسعه إزاء ذلك إلا الإذعان والاستخذاء !! وقال : إنها أعلم مني ، وأنا لم أسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما سمعته من الفضل بن العباس ، فاستشهد ميتاً ، وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث)(٣) .

نأخذ على أبي ريّة في هذا التعليق أمرين :

الأول : لم يستشهد أبو هريرة ميتاً بل ثبت أنه عزا الحديث إلى الفضل ابن العباس ، وإلى أسامة بن زيد(٤) ، في رواية . وأسامة بن زيد توفى في سنة (٥٤) وفي قول سنة (٥٨ أو ٥٩) والحادثة وقعت في ولاية مروان على المدينة ، وكانت قبل سنة (٥٧) ، فمن المحتمل أن تكون وقعت في حياة أسامة بن زيد قبل سنة (٥٤) ، وإن كانت وفاته على الرواية الثانية فإنها تؤكد لنا وقوع الحادثة في حياة أسامة ، فلا يكون أبو هريرة قد استشهد ميتاً ، كما قال أبو ريّة .

الثاني : أن أبا ريّة عزا الرواية إلى ابن قتيبة ، إلا أن القائل هو النظّام ،

---

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة . ص ١٢٦ ، وأخبار أهل الرسوخ : ٢٩ أى كمن طلع عليه الفجر وهو يجامع .

(٢) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة : ١٢٦ .

(٣) أضواء على السنة المحمدية : ١٦٨ .

(٤) شهد بذلك أبو رية نفسه انظر هامش صفحة (١٦٨) من كتابه أضواء على السنة .

وابن قتيبة برىء من أن يفترى على أبى هريرة ، إنما ساق قول النظّام ليرد عليه : (انظر تأويل مختلف الحديث : ٢٨) ومن يتهاون فى نسبة الآراء إلى أصحابها على هذا النحو — هل يؤتمن فى قول ؟ أو يقبل قدحه فى أبى هريرة ؟ ! .

وأما قول مروان لعبد الرحمن : (عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبى هريرة فرددت عليه ما يقول) . فإن مروان يريد أن ينتقم ويثأر لنفسه من أبى هريرة ، الذى رد عليه رداً مفحماً ، حين عارض فى دفن الحسن إلى جوار جده ، ولعله أراد أن يرده إلى الصواب والحق .

وليس فى كل ما سبق ذكره أى دليل على تكذيب أبى هريرة رضى الله عنه ، ومنها أنه روى حديثاً فى النهى عن المشى بالخف الواحد فبلغ ذلك عائشة فمشت بخف واحد ، وقالت : لأخالفن أبا هريرة(١) .

فالحديث احتج به النظام ليطعن فى أبى هريرة ، ورد ابن قتيبة عليه افتراءه . وقد ذكر أبو القاسم البلخى هذا الحديث عن عائشة رضى الله عنها : أنها دخلت فى خفها حسكة فمشت فى خف واحد وقالت : لأحنثن أبا هريرة .. إنه يقول لا يمشى فى نعل واحدة ولا خف واحدة(٢) .

هذه الرواية تبين سبب مشيها فى الخف الواحد . وأما قولها : لأحنثن أبا هريرة فإنه لا يتجاوز باب المزاح والمرح ، الذى عُرف به الصحابة .

وقد أخرج حديث (النهى عن المشى فى خف أو نعل واحدة) الشيخان ، كما رواه مسلم عن جابر . ورواه الإمام أحمد عن أبى هريرة(٣) .

ويروى عن عائشة من طريق مندل بن على بن ليث بن أبى سليم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ربما انقطع شسع(٤) نعله فمشى فى نعل واحدة . ومندل وليث ضعيفان لا حجة فيما نقلا منفردين(٥) .

---

(١) أبو هريرة : ٢٧٤ عن تأويل مختلف الحديث : ٢٧ .
(٢) قبول الأخبار : ٥٧ و ٥٩ .
(٣) مسند الإمام أحمد : ١٣ / ٦٩ رقم ٧٣٤٣ بإسناد صحيح وانظر الهامش .
(٤) الشسع : أحد سيور النعل .
(٥) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة : ١٤٠ .

وقد روى عنها أنها مشت فى خف واحد وقالت (لأخشن أبا هريرة)(١) فعائشة لم تكذب أبا هريرة ، وإن صح عنها ما روى من مخالفته فهو مجرد رأى ، والرأى لا يعارض السنن . ثم إن أبا هريرة لم يتفرد بالحديث :

ومن هذا ما رواه ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة قالت : ألا يعجبك أبو هريرة ؟ جاء فجلس إلى جانب حجرتى ، يُحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسمعنى ذلك ، وكنت أُسبِّح(٢) ، فقام قبل أن أقضى سبحتى ولو أدركته لرددت عليه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم(٣) كأنها تنتقد أبا هريرة فى سرعة إلقائه وعدم تريثه .

إن إنكار عائشة رضى الله عنها على أبى هريرة لم يكن موجهاً إلى ما يحدِّث به ، إنما أنكرت عليه أن يسرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويظهر هذا فيما روى عنها : (إنما كان النبى صلى الله عليه وسلم يحدِّث حديثاً لو عدَّه العاد لأحصاه)(٤) .

ولو أنكرت عائشة عليه غير سرده للحديث لقالت وبينت ، وهى الجريئة الصريحة ، فأبو هريرة لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يخطىء أثناء تحديثه حتى تُكذِّبه عائشة ، فكل ما كان منه أنه كان يسرد الحديث ويكثر منه فى مجلسه ، فأى شىء يضير أبا هريرة إذا كان متيقظاً متنبهاً عارفاً لما يروى ؟ ! .

قال أبو حاتم بن حبان : (قول عائشة « لرددت عليه » أرادت به سرد

---

(١) أخشن من خشنت فلاناً : شنأته ولمته فى شغفاه .

(٢) معنى أسبح : أى أصلى نافلة ، وهى السبحة ، قيل المراد هنا صلاة الضحى . انظر فتح البارى ص ٣٩٠ جـ ٧ .

(٣) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ١٣٥ وأخرجه مسلم فى باب ما يستحب للمرء من ترك سرد الأحاديث ص ١٩٤٠ حديث ٢٤٩٣ جـ ٤ وفتح البارى ص ٣٩٠ جـ ٧ .

(٤) فتح البارى : ٣٨٩/٧ .

الحديث ، لا الحديث نفسه)(١) . قال ابن حجر : (واعتذر عن أبى هريرة بأنه كان واسع الرواية : كثير المحفوظ ، فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث . كما قال بعض البلغاء : أريد أن أقتصر فتتزاحم القوافى على فى)(٢) .

ومن العجيب أن بعض الكتاب الذين ناصبوا أبا هريرة العداء ، يستشهدون ببعض الأخبار الضعيفة أو الثابتة التى تدل على خلاف بين أبى هريرة وبعض الصحابة ، ولا يتعرضون للروايات التى تبين صدقه وأمانته وثناء الصحابة عليه ، فهم دائماً ينظرون إليه من جانب واحد ويتناسون الجانب الآخر الذى يبين علمه ومنزلته بين أصحابه . وجميع ما استشكله هؤلاء قد أجيب عنه إجابة علمية مقنعة ، ولولا ضيق المقام ، لذكرت جميع ما دار بين عائشة وأبى هريرة رضى الله عنهما . فحديث « إنما الطيرة فى المرأة » حلله وأجاب عنه الزركشى وبيّن الأحاديث المروية فى ذلك وبيّن أن أبا هريرة لم يتفرد به، بل ذكر أيضاً ما يعارضه وبيّن أنه لا مأخذ على أبى هريرة(٣) كما بيّن قول أبى هريرة : (من غسّل ميتاً اغتسل ومن حمله توضأ)(٤) .

ولابد لى من أن أنهى هذه الفقرة عن موقف عائشة من أبى هريرة بمناقشة صاحب كتاب أضواء على السنة فيما قاله ، قال :

(ولما قالت له (لأبى هريرة) عائشة : إنك لتُحدِّث حديثاً ما سمعته من النبى صلى الله عليه وسلم أجابها بجواب لا أدب فيه ، ولا وقار : إذ قال لها — كما رواه ابن سعد والبخارى وابن كثير وغيرهم : شغلك عنه صلى الله عليه وسلم المرآة والمكحلة ! وفى رواية — ما كانت تشغلنى

---

(١) صحيح ابن حبان ص ٢٦١ جـ ١ ، وإلى هذا ذهب ابن كثير انظر البداية والنهاية ص ١٠٧ جـ ٨ .

(٢) فتح البارى ص ٣٩٠ جـ ٧ .

(٣) انظر الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ١٢٥ — ١٢٩ .

(٤) انظر الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ١٢٥ — ١٢٦ .

عنه المكحلة والخضاب ولكن أرى ذلك شغلك !!! على أنه لم يلبث أن عاد فشهد بأنها أعلم منه وأن المرآة والمكحلة لم يشغلاها)(١) .

إن القصة التي يشير إليها الكاتب رواها ابن سعد عن عمرو بن يحيى ابن سعيد الأموي عن جده قال : (قالت عائشة لأبي هريرة : إنك لتحدّث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً ما سمعته منه ، فقال أبو هريرة : يا أمّه طلبتها وشغلك عنها المرآة والمكحلة ، وما كان يشغلني عنها شيء)(٢) .

وروى الذهبي القصة من طريق إسحاق بن سعيد عن أبيه قال : (دخل أبو هريرة على عائشة ؛ فقالت له : أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله ! قال : أي والله يا أمّاه . ما كانت تشغلني عنه المرآة ، ولا المكحلة ، ولا المُدهن . قالت : لعلّه .

ورواه بشر بن الوليد عن إسحاق ، وفيه : ولكني أرى ذلك شغلك عما استكثرت من حديثي . قالت : لعله)(٣) . وروى نحو هذا ابن عساكر وابن كثير(٤) .

هل خرج أبو هريرة عن حدود الأدب مع السيدة عائشة رضى الله عنها ! ؟ إنه يدافع عن نفسه عندما استكثرت ما حدّث به ، فبيّن لها أنه كان يطلب الحديث وأنها شغلت عما استكثرته من أبي هريرة بحياتها المنزلية ، وهو شأن كل امرأة في بيت الزوجية ، عليها مسئوليات كثيرة لا تتيح لها أن تسير مع زوجها في كل مكان ، أو ترافقه في جميع أنواع حياته .

---

(١) أضواء على السنة المحمدية : ١٦٦ — ١٦٧ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٢ : ٢ /١١٩ وإسناده عن الوليد بن عطاء بن الأغر وأحمد بن محمد بن الوليد الأزرق المكيان . قالا أخبرنا عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جده . وهؤلاء كلهم ثقات: الوليد بن عطاء ذكره ابن حبان في الثقات تهذيب التهذيب : ١١ /١٤٢ ، وأحمد ابن محمد بن الوليد ثقة : تهذيب التهذيب : ١ /٧٩ عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد ابن العاص بن أمية روى عن جده (سعيد بن عمرو) ثقة : تهذيب التهذيب : ٨ /١١٨ ونحوه بإسناد آخر من طريق عمرو بن يحيى أيضاً : المحدث الفاصل ص ١٣٣ : ب .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٢ /٤٣٥ .

(٤) انظر تاريخ دمشق ص ٤٩٧ جـ ٤٧ ، والبداية والنهاية ص ١٠٨ جـ ٨ .

فلم تكذِّبه السيدة أم المؤمنين ، بل قالت : لعله . ونرى الروايات تعيد الضمير في قوله : (شغلك عنه) إلى كثرة الحديث ولكن أبا ريّة أعاده للرسول صلى الله عليه وسلم ، ليُصوِّر شناعة قول أبي هريرة وكيف رأى أدبه خروجاً على الأدب والوقار ؟ وهذا لا يليق بالبحث العلمي .

أما قوله بعد ذلك (على أنه لم يلبث أن عاد فشهد بأن أبا أعلم منه) . فهذا غير صحيح ولا يقوله إلا متحامل ، لأنه لا يوجد أي تعارض بين الروايتين ، فهذه القصة تتناول حفظ أبي هريرة وكثرة حديثه ، ولم يتراجع أبو هريرة عما رواه ، بل سمعت منه عائشة دفاعه عن نفسه واقتنعت بما قال .

وهناك ما يثبت أن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لم تنكر على أبي هريرة رضي الله عنه كثرة ما يروي بل صدقته ، فقد روى الرامهرمزي بسنده عن أبي سلمة قال : (قيل لعائشة إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت أدنوه مني ، فأدنوه ، فقالت : أذكرني شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحديث)(١) .

وأما القصة الثانية (من أصبح جنباً فلا صوم عليه) وتراجع أبي هريرة فقد بينت فيما سبق وجهها ، ولا شك أن عائشة أعلم بهذا منه ، لأن هذا خاص لم يطلع عليه أبو هريرة ، فهل في عودته عن رأيه تكذيب من عائشة له ؟ ثم من تعمق في البحث يجد أن أبا هريرة عاد عن فتواه التي بناها على ما أخبره به الفضل بن العباس في رواية وأسامة بن زيد في رواية أخرى . وأن رجوعه هذا لم يكن رجوعاً عن حديث حدَّث به(٢) .

---

(١) المحدث الفاصل بتحقيق ف ٧٤٨ .

(٢) ومما ذكره المؤلف ص (٢٧٦) والطاعنون على أبي هريرة : (أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « متى استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يضعها في الإناء فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده » فأنكرت عائشة عليه ، ولم تأخذ به وقالت : كيف نصنع بالمهراس ؟)وقال في هامش الصفحة (٢٧٦) إنكار عائشة في هذا على أبي هريرة إنما يكون متجهاً لعدم وثاقته . لقد بين العلماء أن الذي سأل أبا هريرة : (كيف نصنع بالمهراس) ؟ ليست عائشة بل أحد أصحاب عبد الله بن مسعود واسمه (قين الأشجعي) وقد ذكر الدكتور السباعي تحقيقه في ذلك وأورد أقوال العلماء في كتابه «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» الصفحة : ٢٨٥ — ٢٨٧ .

وهذا فضيلة لأبي هريرة يشكر عليها ، لأنه تمسك بالحق وعدل عن رأيه . ثم إن السيدة عائشة لم تكن معارضة لأبي هريرة دائماً بل ناصرته في مواقف كثيرة ، قالت : صدق أبو هريرة ، وقد مر بنا شيء من هذا في ترجمته وسيمر بعض ذلك فيما يلي .

❋ ❋ ❋

(هـ) أبو هريرة وعبد الله بن عمر :

عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه : أنه كان قاعداً عند عبد الله بن عمر ، إذ طلع خبّاب صاحب المقصورة فقال : يا عبد الله ابن عمر ، ألا تسمع ما يقول أبو هريرة ؟ إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ، ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر ، كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد . فأرسل ابن عمر خباباً إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع إليه فيخبره بما قالت ، وأخذ ابن عمر قبضة من حصى المسجد يقلّبها في يده ، حتى رجع إليه الرسول . فقال : قالت عائشة : (صدق أبو هريرة) فضرب ابن عمر بالحصى الذي كان في يده الأرض وقال : (لقد فرطنا في قراريط كثيرة)(١) .

وضاق أهل الأهواء ذرعاً بحديث أبي هريرة ، وحاولوا جرحه بكل وسيلة إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك . من هذا ما رواه أبو القاسم البلخي عن ابن عمر (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب إلا كلب ماشية أو كلب صيد) فقيل لابن عمر : إن أبا هريرة يقول أو كلب زرع قال : (إن لأبي هريرة زرعاً)(٢) . واستشهد بهذا صاحب كتاب (أبو هريرة) (٣) مستدلاً به على نقد الصحابة لأبي هريرة .

---

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة : ١١٧ . رواه الشيخان . وفي رواية البخاري فقال ابن عمر : أكثر علينا أبو هريرة ، فبعث إلى عائشة فسألها فصدقت أبا هريرة . .

(٢) قبول الأخبار : ٥٧ أورده طعناً على أبي هريرة فلم يوفق .

(٣) أبو هريرة : ٢٧٧ .

وذكر الأستاذ أحمد أمين هذا الحديث فى معرض كلامه عن عدم توسع المحدِّثين فى النقد الداخلى للأحاديث ، وعدم تعرضهم كثيراً لبحث الأسباب السياسية التى قد تحمل على الوضع ، وعدم تعرضهم كثيراً لبيئة الراوى الشخصية ، وما قد يحمله منها على الوضع وهكذا . . ثم قال : ومن هذا القبيل(١) ما يروى عن ابن عمر وساق الحديث (« من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو ماشية انتقص من أجره فى كل يوم قيراطان » . قالوا : كان أبو هريرة يروى الحديث هكذا : « إلا كلب صيد أو ماشية أو كلب زرع » فيزيد كلب الزرع . فقيل لابن عمر إن أبا هريرة يقول « أو كلب زرع » . فقال ابن عمر : « إن لأبى هريرة زرعاً » وهو نقد من ابن عمر لطيف فى الباعث النفسى . وهناك أشياء منثورة من هذا القبيل ، ولكنها لم تبلغ من الكثرة والعناية مبلغ النقد الخارجى)(٢) .

لقد تسرَّع هؤلاء فى الحكم على أبى هريرة وعلى حديثه ، وحملوا كلام ابن عمر على أنه طعن فى أبى هريرة ، والواقع غير ما ذهبوا إليه ، وليس فى قول ابن عمر تكذيب لأبى هريرة ، فكل ما فى الأمر أن أبا هريرة حفظ هذا الحديث لأن عنده زرعاً . وهذا ما ذهب إليه النووى فى شرحه للحديث .

وقال ابن عساكر : (قول ابن عمر هذا — « إن لأبى هريرة زرعاً » — لم يرد به التهمة لأبى هريرة ، وإنما أراد أن أبا هريرة حفظ ذلك لأنه كان صاحب زرع ، وصاحب الحاجة أحفظ لها من غيره ، وقد أخبرنا .. أبو سليمان أحمد بن إبراهيم ، قال : قد زعم بعض من لم يسره فى قوله ، ولم يوفق بحسن الظن بسعة — أن ابن عمر إنما أخرج قوله هذا مخرج الطعن على أبى هريرة ، وأنه ظن به التزيد فى الرواية لحاجة كانت إلى حراسة الزرع . قال : وكان ابن عمر يرويه لا يذكر فيه كلب الزرع ، قال أبو سليمان : . . وإنما ذكر

---

(١) أى من قبيل النقد الداخلى الذى تعرض له بعض المحدثين . لقد بينت فى كتابى « السنة قبل التدوين » اهتمام المحدثين بدراسة المتن والسند .

(٢) ضحى الإسلام : ٢ / ١٣١ — ١٣٢ .

ابن عمر هذا تصديقاً لقول أبي هريرة ، وتحقيقاً له ، ودل به على صحة روايته وثبوتها ، إذ كان كل من صدقت حاجته إلى شيء كبرت عنايته به ، وكثر سؤاله عنه ، يقول : إن أبا هريرة جدير بأن يكون عنده العلم ، وأن يكون قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، لحاجة كانت إليه ، إذ كان صاحب زرع ، يدل على صحة ذلك فتيا ابن عمر بإباحة اقتناء كلب الزرع بعد ما تبعه خبر أبي هريرة) (١) .

وإذا أبى الباحثون هذا التفسير ، فماذا يقولون في رواية ابن عمر نفسه التي ذكر فيها كلب الزرع ؟ ؟ ! !

روى الإمام أحمد عن أبي الحكم البجلي عن عبد الله بن عمر ، قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اتخذ كلباً غير كلب زرع أو ضرع أو صيد نقص من عمله كل يوم قيراط » . فقلت لابن عمر : إن كان في دار وأنا له كاره ؟ قال : هو على رب الدار الذي يملكها) (٢) .

وفي رواية فقيل لابن عمر : إن أبا هريرة يقول : (وكلب حرث) ؟ فقال — ابن عمر — : أنى لأبي هريرة حرث ! ؟ (٣) فابن عمر لم يتهم أبا هريرة بأنه كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن عنده زرعاً ، بل هذه الرواية تنفي ما ذهب إليه الأستاذ أحمد أمين ، ومع هذا فقد ثبت عن ابن عمر قوله : (إن لأبي هريرة زرعاً) ولكنه لم يذهب بقوله مذهب الطاعن المكذب بل ثبت روايته برواية أبي هريرة لأن أبا هريرة حفظ تلك الرواية التي تشمل بعض أحواله .

وهذا الحديث رواه الإمام مسلم من طريق الإمام مالك ، ورواه أيضاً من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، وفي آخره « قال عبد الله (يعني ابن عمر) : قال أبو هريرة : أو كلب حرث » ورواه من طريق

---

(١) ابن عساكر ص ٤٩١ وص ٤٩٢ ج ٤٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٩/٧ ، رقم ٤٨١٣ بإسناد صحيح ، وأبو الحكم البجلي هو عبد الرحمن بن أبي نعيم كوفي عابد ثقة .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٢٢/٦ ، رقم ٤٤٧٨ .

سالم عن أبيه وفى آخره : قال سالم : (وكان أبوهريرة يقول : أو كلب حرث ، وكان صاحب حرث) وروى أيضاً حديث أبى هريرة من طريق الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة : وفى آخره : (قال الزهرى : فذكر لابن عمر قول أبى هريرة فقال : يرحم الله أبا هريرة كان صاحب زرع) .
فهذه الروايات تدل على أن ابن عمر لم يكن ينكر على أبى هريرة روايته ، وإنما كان يروى كل منهما ما سمع ، بل إن ابن عمر روى عن أبى هريرة الزيادة التى (جاءت) فى روايته ، ولم يكن هؤلاء الرجال الصادقون المخلصون يكذّب بعضهم بعضاً ، بل كانت أمارتهم الصدق والأمانة رضى الله عنهم (١) ولم تكن هذه الزيادة نتيجة دافع نفسى أو عامل شخصى كما ظن وذهب إليه الأستاذ أحمد أمين ، وما كان أبو هريرة ليكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان فى ذلك نجاته .

❋ ❋ ❋

(و) أبو هريرة وابن عباس :

ذكر عبد الحسين مؤلف كتاب (أبو هريرة) من الأحاديث التى عارض فيها الصحابة أبا هريرة ، أن أبا هريرة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أن من حمل جنازة فليتوضأ) فلم يأخذ ابن عباس بخبره وردّه صريحاً ، قال : (لا يلزمنا الوضوء من حمل عيدان يابسة) (٢) .
وذكر نحوه أبو ريّة عن ابن مسعود(٣) وقال : (يا أيها الناس لا تنجسوا من موتاكم) قال الإمام الزركشى : (وأما ما روى عن أبى هريرة أنه قال : (من غسّل ميتاً اغتسل ، ومن حمله توضأ وأن عائشة أنكرت ذلك وقالت : « أو نجس موتى المسلمين ؟ وما على رجل لو حمل عوداً » .
قال البيهقى فى ذلك : (الروايات المرفوعة فى هذا الباب عن أبى هريرة غير قوية ، لجهالة رواتها ، وضعف بعضهم) . والصحيح أنه موقوف

---

(١) مسند الإمام أحمد هامش الصفحة ٢٢٢ من الجزء السادس ، تعليق العلامة الأستاذ أحمد محمد شاكر .

(٢) أبو هريرة : ٢٧٦ .   (٣) أضواء على السنة : ١٦٩ .

على أبي هريرة(١) . اهـ . فإن صح عنه ذلك فهو رأى وليس في ذلك كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ليس في ذلك تكذيب من الصحابة له .

❋ ❋ ❋

(ز) أبو هريرة والزبير :

ذكر أبو رية جزءاً من خبر الزبير مع أبي هريرة وهو قوله : (صدق ، كذب) ولم ينقل بقية الرواية التي تكشف عن وجه الحق ، لذلك أسوق ما رواه أبو القاسم البلخي الذي حاول الطعن في أبي هريرة قال : قال ابن أبي خيثمة وحدثنا هارون بن معروف حدثنا محمد بن سلمة حدثنا محمد ابن إسحاق عن عمر — أو عثمان بن عروة عن أبيه يعني عروة بن الزبير قال : قال أبي الزبير : (يا بني ادنني من هذا اليماني — يعني أبا هريرة — فإنه يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأدنيته منه فجعل أبو هريرة يحدث بينما جعل الزبير يقول صدق ، كذب ، صدق كذب ، قال : قلت : يا أبت ما قولك صدق كذب قال : يا بني .. أما أن يكون سمع هذه الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا شك ، ولكن منها ما وضعه على مواضعه ، ومنها ما لم يضعه على مواضعه) (٢) هل في هذا الخبر تكذيب لأبي هريرة كما ظن البلخي وأبو رية ؟ .

والزبير لم يعترض على سماع أبي هريرة أو عدم سماعه ، بل سلّم بالسماع ، ولم يشك فيه ، إنما قال عندما سمع أحاديث أبي هريرة الكثيرة إنه يضع بعضها على غير ما يجب أن يوضع ، ولا ضير على أبي هريرة في ذلك ،

---

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة : ١٣٥ — ١٣٦ .

(٢) قبول الأخبار : ١٨ ونحوه في البداية والنهاية : ٨/١٠٩ وفي الإصابة : ٧/٢٠٥ في سند الرواية المذكورة محمد بن سلمة ، فإن كان محمد بن سلمة بن قرباء البغدادي أو محمد ابن سلمة بن كهيل أو محمد بن سلمة البناني أو ابن فرقد فهؤلاء كلهم متروكون وضعاف فإن كان من جهة واحد منهم فالخبر ضعيف ، ولو كان واحداً غير هؤلاء فهو مجهول . وإذا عرفت عدالته وسلمنا بصحة الخبر فليس فيه تكذيب لأبي هريرة كما ذكرت .

ولا سبيل للطعن فى صدقه . لأنه لم يتقول على رسول الله ما لم يقل ؛ ومعنى قوله: صدق ، كذب (أصاب ، وأخطأ) كما سأبينه بعد قليل وليس فى الخطأ كذب وخاصة فى هذا المقام .

* * *

(ح) أبو هريرة ومروان بن الحكم(١) :

عن عثمان بن شماس قال : سمعت أبا هريرة ومرّ عليه مروان ، فقال : بعض حديثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو حديثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم رجع (مروان) فقلنا الآن يقع به ، قال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على الجنائز ؟ قال : سمعته يقول : « أنت خلقتها وأنت رزقتها . . » الحديث . اهـ(٢) قال مروان لأبى هريرة: بعض حديثك — أو حديثك ، يريد به الإنكار على أبى هريرة فى كثرة روايته .

وكان بعض الصحابة ، وبعض الولاة ينكرون عليه ، ثم يضطرون إلى علمه وحفظه ، فيسألونه أو يقرون له بما روى ، كما صنع مروان هنا ، وغيره فى روايات كثيرة ، وما كانوا يظنون بصدقه الظنون ، ولا كانوا يتهمونه فى حفظه وأمانته رضى الله عنه (٣) .

تلك صورة حقيقية لما دار بين أبى هريرة وبعض الصحابة ، وهى لا تعدو ما كان يحصل بين الصحابة من نقاش حول تحرى الحق ، ومعرفة الصواب ، إذ لم يكن الصحابة يكذّب بعضهم بعضاً ، بل يبين بعضهم خطأ بعض ، وكانوا سرعان ما يعودون إلى الحق ويدورون معه حيث دار . وإذا صدر عنهم ألفاظ (الكذب) فإنما يقصدون بها الخطأ والغلط ، لا التكذيب والافتراء ، وكان هذا يقع كثيراً بين الصحابة ولا يرون فيه

---

(١) لم تثبت لمروان صحبة .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢١٣/١٣ ، رقم ٧٤٧ بإسناد صحيح .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢١٣/١٣ الهامش تعليق الأستاذ أحمد محمد شاكر .

جرحاً ولا إهانة ، ولا يخرجون من قيل له ذلك من العدالة والصدق ، من ذلك ما قالته أسماء بنت عميس لعمر بن الخطاب : كذبت يا عمر (١) ، وكان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل يتصور من أسماء أو غيرها أنها تعني التكذيب بمعنى الافتراء ؟ إنها تعني الخطأ ولا شك .

وقد بيّن ابن قتيبة معنى إنكار الصحابة على أبي هريرة فيما ذكره من الأخبار والوقائع : فلم يكن قط بمعنى الإكذاب . ولم يقولوا له إنك تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو تضع أو تفترى أو تختلق ، إنما خالفوه أحياناً وليس هذا من باب التجريح . ومما قاله ابن قتيبة عن الصحابة وأحوالهم : « . . فأعلمك أنهم كانوا يخطئون لا أنهم كانوا يتعمدون ، فلما أخبرهم أبو هريرة ، بأنه كان ألزمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لخدمته وشبع بطنه ، وكان فقيراً معدماً ، وأنه لم يكن ليشغله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس الودى ، ولا الصفق بالأسواق ، يعرّض أنهم كانوا يتصرّفون في التجارات ويلزمون الضياع في أكثر الأوقات وهو ملازم له لا يفارقه ، فعرف ما لم يعرفوا وحفظ ما لم يحفظوا أمسكوا عنه »(٢).

وبعد هذا ، فإن عبد الحسين ينكر إمساك الصحابة عن أبي هريرة عندما عرفوا منزلته كما روى ابن قتيبة ويرى أن دفاعه إنما كان جزافاً لا يصغى إليه(٣). هذا ما يريده مؤلف كتاب (أبو هريرة) لأن الحق لا يوافق هواه . ولا يعجبه إلا أن يستشهد بروايات الإسكافي المتروكة ، التي يجرح فيها أبا هريرة .

ويدّعي بعد ذلك أن الإمام أبا حنيفة وأصحابه كانوا يتركون حديث أبي هريرة إذا عارض قياسهم كما فعلوا في حديثه عن المصراة وهي البقرة أو الشاة أو الناقة يجمع اللبن في ضرعها . . إذ روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصروا الإبل والغنم ، من ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين من بعد أن يحلبها ، فإن رضيها أمسكها ، وإن سخطها ردها وصاعاً

---

(١) صحيح مسلم : ٤ / ١٩٤٦ رقم ٢٥٠٣ .
(٢) تأويل مختلف الحديث : ٥٠ .
(٣) أبو هريرة : ٢٦٦

من تمر » فلم يأبهوا بحديثه هذا وقالوا : أبو هريرة غير فقيه وحديثه هذا مخالف للأقيسة بأسرها ؛ فإن حلب اللبن من التعدى ، وضمان التعدى يكون بالمثل أو القيمة ؛ والصاع من التمر ليس واحداً منهما إلى آخر كلامهم (١) .

وهذا ما ذكره الأستاذ أحمد أمين(٢) كما استشهد أبو ريّة بنحو هذا عن الحنفية ، وذكر مسألة المصراة (٣) .

وقد انتصر ابن عساكر لأبي هريرة ورفض قبول ذلك الادعاء وأكد أنه غير مقبول وغير مرضي وقال : (فقد قدمنا ذكر من أثنى عليه ووثقه ، وذكرنا من روى عنه وأصدقه) (٤) .

وقد ذكر الذهبي مسألة المصراة ودافع فيها عن أبي هريرة . وأوجب العمل بحديثه ، وبيّن أن عمل الحنفية وسائر الأئمة بخلاف هذه الرواية عن الحنفية ، وبيّن أن الحنفية قدّموا خبر أبي هريرة على القياس ، وكذلك فعل الإمام مالك ، وبيّن أن أبا حنيفة قد ترك القياس لما هو دون حديث أبي هريرة في مسألة القهقهة، لذاك الخبر المرسل(٥) . وأنهم لم يتركوا هذا الخبر لخصوص أبي هريرة بل لدليل أقوى منه . وقد فنّد الدكتور مصطفى السباعي ما ادعاه الأستاذ أحمد أمين من تقديم الحنفية القياس على الخبر إذا عارضه ، وأنهم فعلوا هذا في أحاديث أبي هريرة ، وأنهم يعدونه غير فقيه ، ورد على ذلك رداً علمياً جليلا كشف فيه عن الحق ، ودحض هذه الرواية بالحجة القوية والأدلة الواضحة ، ولولا ضيق المقام لذكرت ذلك هنا (٦) .

---

(١) المرجع السابق : ٢٧٠   (٢) انظر فجر الإسلام : ٢٦٩ .

(٣) انظر أضواء على السنة المحمدية : ١٦٩ و ١٧١ .

(٤) ابن عساكر ص ٥٠٧ جـ ٤٧ .

(٥) انظر سير أعلام النبلاء : ٤٤٤ — ٤٤٥ .

(٦) راجع كتاب «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» : ٢٩٩ — ٣٠١ . ولإتمام الموضوع راجع صفحة : ٣٠٢ — ٣٠٣ . ومن ذلك يتبين لنا دس ما روى عن محمد بن الحسن عن أبي حنيفة والذي ذكره صاحب كتابه «المؤمل» في الصفحة ٣١ ، لأنه يخالف ما طبقه الأحناف .

لقد تبين لنا مما عرضناه أن أبا هريرة لم يكن محل تكذيب من الصحابة والتابعين ، ولم يثبت قط أن أحداً اتهمه بالكذب ، والوضع واختلاق الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بخلاف ما ادعاه أهل الأهواء وبعض المستشرقين أمثال (جولد تسيهر) و (شبرنجر) وكل ما كان بينه وبين بعض الصحابة لم يعد باب التحقيق العلمي ، ولم يتناول قط عدالته وصدقه وأمانته ، وإذا رد عليه بعضهم فإنما ردوا بعض ما كان يفتي به ، مما علمه من حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكان خلافهم في فهم الحديث ، لا في الحديث نفسه من حيث نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو عدم نسبته ، وكان اعتراضهم على (فتواه) لا على (حديثه) ولم يكن هذا خاصاً بأبي هريرة ، بل حدث كثيراً بين الصحابة . وهناك فرق كبير بين رد (الفتوى) ورد (الحديث) ، و (الخطأ) و (التكذيب) ، فشتان ما هما .

وقد ثبت أن أبا هريرة أفتى في مسائل دقيقة في حضرة ابن عباس وغيره ، وعمل الصحابة ومن بعدهم بحديثه في مسائل كثيرة — تخالف القياس — كما عملوا كلهم بحديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها » (١) .

فلو شك أحد في صحة حديثه أو في صدقه لتركوا حديثه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل .

هذا وقد عرفت الأمة مكانته ومنزلته ، وقبلوا حديثه ، وظهر لنا ذلك واضحاً كالشمس في رابعة النهار . وقد سبق أن بينت ثناء الصحابة والتابعين والأئمة عليه وأكرر هنا قول الإمام الذهبي فيه : (وقد كان أبو هريرة وثيق الحفظ ما علمنا أنه أخطأ في حديث) (٢) .

إلا أن مؤلف كتاب (أبو هريرة) لم يأبه بكل هذا ، واستنتج من تلك المناقشات العلمية كذب أبي هريرة ، ورأى ما دار بينه وبين بعض الصحابة

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٢/٤٤٥ .
(٢) المرجع السابق : ٢/٤٤٦ .

دليلا قاطعاً على تجريحه ، فقال : (وناهيك تكذيب كل من عمر وعثمان وعلى وعائشة له ، وقد تقرر بالإجماع تقديم الجرح على التعديل فى مقام التعارض . على أنه لا تعارض هنا قطعاً ، فإن العاطفة بمجردها لا تعارض تكذيب من كذّبه من الأئمة .

أما أصالة العدالة فى الصحابة فلا دليل عليه ، والصحابة لا يعرفونها ؛ ولو فرض صحتها فإنما يعمل على مقتضاها فى مجهول الحال ، لا فيمن يكذّبه عمر وعثمان وعلى وعائشة ، ولا فيمن قامت على جرحه أدلة الوجدان ، فإذا نحن من جرحه على يقين جازم) (١) .

إلا أن زعمه هذا رددناه بالحجج الدامغة ، فانهار ما ادعاه أمام الصرح الشامخ الذى يحمى عدالة أبى هريرة ، وتحطمت سهامه الواهية على الحصن المنيع الذى بناه أبو هريرة بصدقه وأمانته واستقامته ، فلم يجد ثغرة ينفذ منها ، أو ثلماً ينفس فيه هواه ، فراح يشكك الناس فى مرويات أبى هريرة . ويستشهد ببعض الأحاديث التى وردت فى الصحيحين عنه ، متخذاً طعنه فى أبى هريرة وتجريحه إياه ، مطية وذريعة للتشكيك فى ما ورد فى الصحيحين عامة ، يريد من قرائه بل من الناس جميعاً أن لا يثقوا بالكتب التى أجمعت الأمة على صحتها ، وتلقتها بالقبول ، ولم يجد إلى ذلك سبيلا . إلا أن يذكر بعض الأحاديث التى تتعلق بالأمور الغيبية ، ويحاول أن يحكم العقل البشرى فيها ، يوازن بينها وبين الواقع ، من ذلك حديث خلق آدم (ص٥٦) فيحمل ألفاظه ما لا تحتمل ، ويفسره تفسيراً لا يقبله العقل والذوق السليم ، ويسوق غيره من الأحاديث التى تتناول بعض أحوال يوم القيامة ، كرؤية الله تعالى (ص ٦٤) ، والنار (ص ٧٠) ، وينكر ما جاء فى حديث استجابة الله تعالى الدعاء فى الثلث الأخير من كل ليلة (ص ٧٢) ويحمل ألفاظه ما لا تحتمل ، فالحديث (عن أبى هريرة مرفوعاً قال : ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير يقول : من يدعونى فأستجيب له .. الحديث)اهـ

---

(١) أبو هريرة : ٢٧٩ .

ويثور الكاتب قائلا : (تعالى الله عن النزول والصعود والمجيء والذهاب والحركة والانتقال . . وقد كان هذا الحديث والثلاثة التي قبله مصدراً للتجسيم في الإسلام ، كما ظهر في عصر التعقيد الفكري ، وكان من الحنابلة بسببها أنواع من البدع والأضاليل ولا سيما ابن تيمية . . ص ٧٣) . ويذكر قصته على منبر دمشق .

إن المؤلف حمل ألفاظ هذه الأحاديث على ظاهرها حتى وصل إلى نتيجة التجسيم ، كما فعل (المشبهة) ؛ ولما كان التشبيه مخالفاً لعقيدة جمهور المسلمين ، أنكر صحة الحديث وهو رأى (الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة)(١) ويقول ابن العربي : (حكى عن المبتدعة رد هذه الأحاديث ، وعن السلف إمرارها ، وعن قوم تأويلها وبه أقول . . والحاصل أنه تأوله بوجهين : إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره ، وإما بأنه إستعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه) (٢) . أقول إن حمل ألفاظ هذا الحديث على حقيقته تعنت ومكابرة بلا دليل ، والأصل أنه إذا امتنع حمل ألفاظ اللغة على الحقيقة صرفت إلى المجاز ، وهذا كثير في اللغة ، فكما تقول : خرجت المدينة تستقبل الحجاج ، وتقصد بذلك أكثر أهل المدينة ، كذلك يجب أن تقول في مثل هذا الحديث وفي الآيات التي استدل بها (الشبهة) على رأيهم كآية (الاستواء) وغيرها . ويلزم من إنكار هذه الأحاديث لما فيها من التجسيم والتشبيه — على رأى المؤلف — إنكار جميع الآيات التي بهذا المعنى ، ولا يقول بهذا مسلم ، فكما صرفت ألفاظ تلك الآيات إلى المجاز تصرف ألفاظ بعض الأحاديث أيضاً إلى ذلك ؛ لأن بعض الأحاديث جاءت على سنن ونهج القرآن الكريم . وإذا أبى أن تصرف هذه الألفاظ إلى المجاز قلنا له : يلزم من هذا أن تسير المدينة — في مثالنا — بأبنيتها ومساجدها وبيوتها وأشجارها ، وهذا لا يعقل ولا يتصور ، وهو خلاف العادة والعرف ؛ لذلك وجب صرفه إلى المجاز ، من غير أن نرد ذلك الأصل اللغوي ، الذي

---

(١) فتح الباري ٣/٢٧٢ .   (٢) فتح الباري : ٣/٢٧٢ .

عليه العرب ، أدباؤهم وفصحاؤهم وعامتهم منذ عرفهم التاريخ . وعلى هذا الأصل نحمل بعض آيات القرآن الكريم وبعض أحاديث الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم .

وبمثل هذه الاعتراضات يرد بعض الأحاديث ، التي تتعرض لأحوال الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، والملائكة ؛ وفي كل هذا لا يكف أذى لسانه عن أبي هريرة ، فيستهزىء به تارة ، ويزدريه أخرى ، ويشتمه حيناً ، ويتهكم عليه أحياناً . . ويتهمه بالتزوير مرة(١) ، وبالهراء والهذر مراراً (٢) ، وذهب المؤلف إلى التشكيك في الأحاديث التي ساقها ؛ والتي لم يخف منها على العلماء شيء ، فبينوا صحتها ، ومعانيها ومناسباتها ، وقارنوا ما روى منها عن أبي هريرة بمرويات غيره — ولم يكن هذا خاصاً لحديث أبي هريرة ، بل عاماً لجميع الأحاديث — ولم يثبتوها في كتبهم إلا بعد تحقيق ودراسة علمية عميقة .

ثم إن المؤلف خلال بحثه وعرضه لأكثر تلك الأحاديث ، لم يتخل عن هواه ، فكان يرى أن بعضها من وضع أبي هريرة ليرضى به الأمويين ؛ من ذلك ما رواه عنه فقال في (ص ١١٨) : (أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً : اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر ، وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه ، فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته ، فاجعلها له كفارة ، وقربة تقربه بها إليك — الحديث) ويرى أن أبا هريرة (وضع هذا الحديث على عهد معاوية تزلفاً إليه ، وتقرباً إلى آل أبي العاص ، وسائر بني أمية ، وتداركاً لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، من لعن جماعة من منافقيهم ، وفراعنتهم إذ كانوا يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، فسجل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلعنه إياهم في كثير من مواقفه المشهودة خزياً مؤبداً ، ليعلم الناس أنهم ليسوا من الله ورسوله في شيء فيأمن على الدين من نفاقهم . . ص ١٢٣ — ١٢٤) .

---

(١) انظر ص ٧٧ من كتابه . (٢) انظر ص ٩٦ من كتابه .

هذه إحدى الروايات المطلقة (١) . التي ورد فيها إيذاء أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد وردت روايات أخرى مقيدة بينت المراد من الروايات المطلقة ، فقد جاء في رواية عنه عليه الصلاة والسلام : « . . فأيما أحد دعوت عليه من أمتى بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهوراً وزكاة وقربة » (٢) ، ولم يذكر أحد من العلماء أن أبا هريرة وضع هذا الحديث إرضاء لمعاوية . وماذا يقول عندما يعلم أن عائشة أم المؤمنين وجابر بن عبد الله الأنصارى ، وأنس بن مالك (٣) رضى الله عنهم قد رووا هذا الحديث أيضاً ؟ فهل وضعوه أيضاً إرضاء لمعاوية ! ! أظن أنه لا يقول هذا أحد يعرف للصحابة منزلتهم وفضلهم وجليل قدرهم .

ثم إن هذا الحديث ورد فى حديث طويل ، حين داعب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمة عند أم أنس بن مالك ، وقال لها « لقد كبرت ، لا كبر سنك » فظنت اليتيمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليها ، فاستفهمت أم أنس من الرسول عن ذلك فقال فيما قاله « . . فأيما أحد دعوت عليه من أمتى بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها الله له طهوراً وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة » (٤) .

فإن دعاءه عليه الصلاة والسلام أو سبه لمؤمن ليس بأهل لذلك — يكون أجراً وطهراً له ، وهذا من باب تلطف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمته . وقد ذكر الإمام النووى بعض المقصود من هذا الحديث ، فقال : (إن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود ، بل هو مما جرت به عادة العرب فى وصل كلامها بلا نية ، كقوله « تربت يمينك » وعقرى حلقى . وفى هذا الحديث « لا كبرت سنك » وفى حديث معاوية « لا أشبع

---

(١) انظر صحيح مسلم ، ص ٢٠٠٧ — ٢٠١٠ ، ج ٤ .
(٢) صحيح مسلم ، ص ٢٠١٠ ، ج ٤ من حديث طويل رقم (٩٥) .
(٣) انظر صحيح مسلم ، ص ٢٠٠٧ ، و ٢٠١٩ ، ج ٤ .
(٤) صحيح مسلم ، ص ٢٠٠٩ ، حديث ٩٥ ، ج ٤ .

الله بطنه » (١) ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء ؛ فخاف صلى الله عليه وسلم أن يصادف شيء من ذلك إجابة . فسأل ربه سبحانه وتعالى ، ورغب إليه أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وطهوراً وأجراً وإنما كان يقع هذا منه فى النادر والشاذ من الأزمان . ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً) (٢) . وإلى جانب هذا ، فإن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا يطمئن السامع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقصد بما يجرى على لسانه مما اعتاده العرب فى كلامهم — أذى ولا شتما ، وإنما يرجوه أن يكون رحمة وأجراً .

هذه إحدى الصور التى يعلل بها سبب وضع أبى هريرة لحديث روى فى الصحيحين ، وهو الذى ادعى فى كتابه أكثر من مرة (التجرد العلمى والذوق الفنى) ، يكذّب الصحابة ، ويفسق بعض المسلمين ، بل يكفرهم من غير دليل ولا برهان ، فأى تجرد هذا ؟ وأى تحقيق وبحث نزيه فى مثل هذا ! ! ؟

ثم يقول المؤلف : (وقد كان صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه كأن بنى الحكم بن أبى العاص ينزون على منبره كما تنزو القردة ، فيردون الناس على أعقابهم القهقرى ، فما رؤى بعدها مستجمعاً ضاحكاً حتى توفى ، وقد أنزل الله تعالى عليه قرآناً يتلوه آناء الليل وأطراف النهار :

« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ، ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً وكفراً »(٣) .

قال فى الهامش هى الآية (٦) من الإسراء ص ١٢٤) .

وعزا حديث (المنام) إلى الحاكم الذى صححه على شرط الشيخين ؛ إلا أن الحاكم متساهل فى تصحيحه ، ولو سلمنا صحة (المنام) فما هى علاقته

---

(١) انظر تفصيل هذه الأخبار ومناسباتها فى صحيح مسلم بشرح النووى ، ص ١٥٤ — ١٥٥ ، ج ١٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، ص ١٥٢ ، ج ١٦ .

(٣) الإسراء : ٦٠ ، بلفظ « طغياناً كبيراً » .

بالآية ؟ ثم إن القرآن الكريم كله لا يحمل بين دفتيه آية كاملة بهذا اللفظ ، والآية الستون (٦٠) فى سورة الإسراء ، لا السادسة كما ذكر ، تختلف فى ختامها ، فليس فيها (طغيانا وكفراً) بل « طغياناً كبيراً » ، فحسنا الظن به وقلنا من المحتمل أن يكون هذا خطأ مطبعياً ، إلا أنه لم يشر إلى شىء فى جدول الخطأ والصواب من كتابه ؛ فلم يعد ينفع حسن الظن به ، فتأكد لنا أنه يثبت هذا متيقناً من صحته ؛ فهو يحرّف الكلم عن مواضعه ، ويبدل كلام الله تعالى كما يشاء ؛ وأغرب من هذا أنه يستشهد بالآية الكريمة على أنها نزلت من أجل ذلك (المنام) ، وأن الشجرة المعلونة فى القرآن هى الأسرة الأموية أخبره الله تعالى بتغلبهم على مقامه وقتلهم ذريته وعتيهم فى أمته . . ! ! لا نعلم مصدراً موثوقاً يروى هذا ! ! فمن الأمين الذى نقل لعبد الحسين ذلك المنام ؟ ومن الذى أخبره عن الشجرة الملعونة ؟ ؟ وكل ما يذكره المؤلف عن مصادره فى هذا قوله (والصحاح فيه متوافرة ولا سيما من طريق العترة الطاهرة) ! !

شهد الله أنى أحب علياً وأهله وعترته حباً لا ينازعنى فيه كثير ممن يزعمون حبه من شيعته فى هذا العصر ، لا أقول هذا متعصباً لنسبنا المتصل به ، ولا تحزباً إليه ، بل لأنه من أفضل الصحابة والخلفاء الراشدين ولحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه ، وليده الكريمة الطيبة فى الدفاع عن الإسلام . . فأى شىء عند عترته الطاهرة يخفى على المسلمين جميعاً ، وأى علم اختص الله به علياً رضى الله عنه أو عترته الطاهرة ! ؟ وقد قال رضى الله عنه : (من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة ، صحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات ، فقد كذب . .) (١) .

بعد هذا لا يمكننا أن نقبل هذا التأويل للآية الكريمة ، ولا يمكننا أن نثق بذلك الإخبار عن الشجرة الملعونة التى ذكرها المؤلف . وكل ما جاء فى هذا الموضوع فى أشهر التفاسير : أن هذه الآية الكريمة تتناول جانباً مما جاء فى ليلة المعراج المبارك ، والرؤيا المقصودة هنا (ما عاينه عليه الصلاة

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٢/ ٤٤ ، رقم ٦١٥ بإسناد صحيح ونحوه كثير فى المسند بهذا المعنى .

والسلام ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء حسبما ذكر فى فاتحة السورة الكريمة) (١) (« والشجرة الملعونة فى القرآن » عطف على الرؤيا ..)(٢) ولم يذكر أحد قط أن هذه الشجرة هى الأسرة الأموية — اللهم إلا ما ذكره عبد الحسين — والشجرة تلك التى (تنبت فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة ، أى وما جعلناها إلا فتنة لهم حيث أنكروا — (المشركون) — ذلك وقالوا إن محمداً يزعم أن الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ، ولقد ضلوا فى ذلك ضلالا بعيداً . .) (٣) .

فماذا نقول فى مؤلف ينتحل على الله عز وجل ما لم يسمع به إنسان ، ويفسر الآيات بهواه ، ويزعم أن هذا مما أخبر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ! وبعد هذا يتهم راوية الإسلام أبا هريرة ! ! أن جميع ما وجهه من الطعون إلى أبى هريرة ، لو وجهت إليه أضعافا مضاعفة ، ما وقفت رداً على دعواه فى تلك الصفحة من كتابه .

ويتابع المؤلف سرده بعض الأحاديث التى رواها أبو هريرة ، ويحاول الطعن فيها والتشنيع على راويها ، وينتهى به تحقيقه واستنتاجه ، إلى أن مسند أبى هريرة فى حكم المرسل لا يصلح حجة ولا يقوم دليلا ، (ص ٢٥٠) ضارباً عمل الأمة بحديث أبى هريرة من لدن عهد الصحابة إلى عهدنا عوض الحائط ، مخطئاً العلماء والفقهاء ، بل مخطئاً الصحابة أنفسهم الذين حملوا عنه حديثه وعملوا به . فكان مخطئاً فى بحثه ، ضالا فى نتائجه غير دقيق فى استنباطه واستنتاجه . وقد أداه إلى ذلك هواه وتعصبه واعتماده على الروايات الضعيفة (٤) ، والكتب غير الموثوقة ، ونظرته الضيقة التى جعلته يرى فى أبى هريرة الرجل المتهم دائماً بل الرجل المتلبس بالجرم الثابت . لذلك كانت نتائجه أحياناً تسبق بحثه واستنتاجه وحكمه ، وكثيراً ما كان يتأول بعض النصوص ويحملها ما لا تحتمل حتى انتهى إلى أن رسول الله قد أخبر عنه بأنه

(١و٢و٣) تفسير أبى السعود : ٢٢٣/٣ .

(٤) لذلك لم أتعرض إلى بعض ما ذكره المؤلف لأنه استقاه من كتب غير موثوقة ، أو من كتب موثوقة نصت على ضعفه ، من ذلك ما رواه عن مزود أبى هريرة الذى قال فى روايته الترمذى حسن غريب . وغيره . انظر سير أعلام النبلاء : ٤٥٢/٢ .

من أهل النار (انظر صفحة ٣١٠ و ٣١٥ من كتابه) ، ويفسر بعض الأخبار بما تمليه عليه عواطفه ، وقد أشرت إلى هذا فيما سبق ، كما أنه حمَّل أبا هريرة وزر الوضَّاعين الذين استغلوا كثرة حديثه ، ووضعوا بعض الأخبار على لسانه ، وكل ذلك بينه رجال النقد .

وإنى أدعو العلماء المنصفين إلى استقراء مرويات أبى هريرة — وأجمع ما لدينا مسند الإمام أحمد — فإنهم لن يجدوا له حديثاً يخالف فيه الأصول العامة للشريعة ، أو يتفرد بحديث شاذ ينكر عليه ، وما من حديث استشهد به الكاتب إلا عرف المحدِّثون والنقاد قيمته ، وما من شبهة أوردها على أبى هريرة أو على مروياته إلا ردها الحفاظ ، وأزالوا أشكالها وبينوا حقيقتها ، حتى أسفر وجه الحق ، ونجا أبو هريرة من تلك الأعاصير المصطنعة التى عصفت حوله ، ومن تلك الأمواج الغدَّارة التى تلاطمت على قدميه . فبقى صامداً أبد الدهر يحترمه الجمهور ، ويعرفون مكانته ومنزلته ، وارتدت تلك الهجمات الضالة على أعقابها خامدة مكتومة الأنفاس تجر وراءها ذيول الخزى والانكسار ، ولم تزل بعض بقايا هؤلاء تحمل لواء مهاجمة أبى هريرة واتهامه ، إلا أنهم قلة لا يذكرون ، ولن يستطيعوا أن يخدشوا من عدالة أبى هريرة ، أكثر مما يخدش طفل صغير فى جبل شامخ بظفره .

ولابد لى من أن أشير هنا إلى ما كتبه مؤلف (كتاب أضواء على السنة المحمدية) حول أبى هريرة زيادة على ما جاء فى كتاب عبد الحسين شرف الدين .

لقد ذكر الكاتب أكثر ما كتبه صاحب كتاب (أبو هريرة) إذ كان من مراجعه الأساسية ، وقد أثنى عليه فى كتابه فى أكثر من موضع (١) ، ودعم آراءه وأقواله بما جاء فى دائرة المعارف الإسلامية (٢) عن (شبرنجر) و (جولدسيهر) . وكان أكثر طعناً فى أبى هريرة من أستاذه ، وأسلط لساناً ، وأشد منه فى استهزائه وازدرائه إياه . فلم ير صحبته للرسول صلى الله

---

(١) انظر هامش الصفحة (١٥٧) من كتابه .

(٢) انظر صفحة ١٧١ — ١٧٢ من كتابه : أضواء على السنة المحمدية .

عليه وسلم إلا من أجل أكله وشربه ، وقد صوره طفيلياً جشعاً نهماً ، يقف على الأبواب ، ويتصدى لأصحابه فى الطريق حتى إنهم لينفرون منه أحياناً ، ولقبه بـ (شيخ المضيرة) اعتماداً على ما استقاه من كتب الندماء والظرفاء ، وكتب الأدب التى رآها مصدراً حسناً للسنة ! ! ! (١) ويجمع من الأخبار صحيحها وسقيمها من غير أن يمحص فيها ، مثال ذلك ما رواه (أبو نعيم فى الحلية ، قال : كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول : ويل لى .. بطنى إذا أشبعته كظنى ، وإن أجعته سبنى) (٢) . ذكر هذه الرواية دون أى تعليق لأنها تؤيد ما زعم . إلا أن راوى هذا الخبر عن أبى هريرة هو (فرقد السبخى) والخبر ضعيف مردود ، لأن فرقد هذا ليس من أصحاب الحديث . وإليكم أقوال العلماء فيه :

قال أيوب السختيانى عنه : ليس بشىء ولم يكن صاحب حديث .

قال ابن المدينى عن يحيى القطان : ما يعجبنى التحديث عنه .

قام الإمام أحمد : إنه رجل صالح ليس بقوى فى الحديث لم يكن صاحب حديث .

قال يحيى بن معين : ليس بذاك ، وقال مرة ثقة . .

قال البخارى : فى حديثه مناكير .

قال النسائى : ليس بثقة .

قال يعقوب بن شيبة : رجل صالح ضعيف الحديث جداً .

قال أبو حاتم الرازى : ليس بقوى فى الحديث . .

وأما ابن حجر فلم يذكر سماعه من أبى هريرة (٣) وأقول إن سماعه غير محتمل لأنه توفى سنة إحدى وثلاثين ومائة وأبو هريرة توفى فى أبعد الأقوال سنة تسع وخمسين فتى سمعه ووعى عنه ، ولو سلمنا سماعه ، فإنه غير ثقة .

---

(١) انظر صفحة ١٥٦ من كتابه : أضواء على السنة المحمدية .

(٢) انظر صفحة ١٥٧ من كتابه : أضواء على السنة المحمدية . والحلية : ١/٣٨٢ .

(٣) تهذيب التهذيب : ٨/٢٦٣ .

وقال ابن حبان : فيه غفلة ، ورداءة حفظ ، فكان يرفع المراسيل وهو لا يعلم ويسند الموقوف من حيث لا يفهم ، فبطل الاحتجاج به (١) .

وأمثال هذه الرواية كثير في كتابه سأتعرض لبعضها بعد قليل .

❋ ❋ ❋

هل كان أبو هريرة تلميذاً لكعب الأحبار(٢) ؟ :

وكما اتهمه عبدالحسين(٣) بالأخذ عن كعب الأحبار اتهمه أيضاً أبو ريّة بذلك ، وهوّل هذا الزعم ، وصوّره مؤامرة دبرها كعب الأحبار لبث الإسرائيليات في الدين الإسلامي ، وجعل أبا هريرة مطية له من أجل ذلك ، ويرى أبو رية أن كعباً (قد سلط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه وينيمه ليلقنه كل ما يريد أن يبثه في الدين الإسلامي من خرافات وأوهام ، وكان له في ذلك أساليب غريبة وطرق عجيبة ص ١٧٢) ويرى أبو ريّه أن كعباً كان يثني على أبي هريرة وعلى معرفته لما في التوارة ، ليثق الناس به ويأخذوا عنه حديثه الذي يلقنه إياه كعب . هكذا يتصور أبو ريّة ، ويرى أبا هريرة ألعوبة في يد كعب يأخذ عنه ويدعي أنه سمع من الرسول !!! ما كان لكعب ولا لغير كعب أن يشتري ضمير أبي هريرة الذي عرفناه في أمانته وصدقه وإخلاصه . وحاول أن يستشهد ببعض الأحاديث ليدعم زعمه إلا أنه لم يوفق في واحد منها (٤) .

---

(١) المرجع السابق : ٢٦٤/٨ وميزان الاعتدال : ٢٢٧/٢ ، ترجمة ٢٦١٤ .

(٢) انظر أضواء على السنة المحمدية : ١٢٥ . فقد ذكر المؤلف رواية أبي هريرة وعبد الله بن عمرو حديث « حدثوا عن بني اسرائيل ... » . ثم قال : وأبو هريرة وعبد الله ابن عمرو من تلاميذ كعب الأحبار .

(٣) أبو هريرة ، ص ٥٧ .

(٤) فقد رد عليه كل ما ادعاه الأستاذ عبد الرحمن المعلمي اليماني في كتابه : الأنوار الكاشفة ، ومدير دار الحديث بمكة الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة في كتابه : ظلمات أبي رية ، وفضيلة الأستاذ محمد محمد السماحي أستاذ علوم الحديث في كلية أصول الدين في كتابه : المنهج الحديث . ثم نشر رده في كتاب سماه (أبو هريرة في الميزان) . وهذه الردود تفصيلية . وكان الدكتور مصطفى السباعي رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق يطبع كتابه (السنة) فتعرض للرد على أبي رية (ص ٣٠٥ — ٣٦٤) رداً قوياً ، إلا أن سوء أحواله الصحية ومرضه حال بينه وبين الرد التفصيل عليه .

والمشهور عن أبي هريرة أنه كان يعزو كل ما يحدث به عن غير النبي صلى الله عليه وسلم إلى قائله ، فبالأحرى أن يبين حديث كعب ، وما يقوله له كعب ، ولا يمكن لإنسان أن يتصور أبا هريرة الذى روى حديث « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يكذب على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام ، وينسب ما يقوله كعب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وخاصة أن كعب الأحبار لم يلق النبي عليه الصلاة والسلام . فإن كان أبو هريرة وابن عباس قد سمعا من كعب ورويا عنه فإنما رويا أخبار الأمم الماضية وعزواها إليه . وربما يكون بعض السامعين قد خلط بين ما يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما يرويه من القصص عن كعب ، ويثبت ذلك ما قاله بشر بن سعيد : (اتقوا الله ، وتحفظوا من الحديث ؛ فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة ، فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثنا عن كعب (الأحبار) ثم يقوم ، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ، ويجعل حديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

فليس فى تحديث أبي هريرة عن كعب أى حرج أو مانع وقد سمح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » ، ولكن ليس لأحد أن يزعم أنه كان ينسب ما يحدث به عن كعب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد بان وجه الحق فيما رويناه من أن بعض من كان يسمع ذلك كان يخطىء فى نسبة ما سمع من أبي هريرة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . . فما جريرة أبي هريرة فى ذلك ؟ .

والغريب من أمر المؤلف أنه يتعجب من بعض الأحاديث التى يرويها أبو هريرة ويوافقه عليها كعب ، ويستشهد بما يؤيدها من التوراة . مثال ذلك ، قوله : (وإليك مثلا من ذلك نختم به ما ننقله من الأحاديث التى رواها أبو هريرة عن النبي وهى فى الحقيقة من الإسرائيليات حتى لا يطول

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٤٣٦/٢ عن بشر بن سعيد وأخرجه مسلم عن بشير وهو الأصح .

بنا القول : روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله قال : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ، اقرأوا إن شئتم : وظل ممدود » . ولم يكد أبو هريرة يروى هذا الحديث حتى أسرع كعب فقال : صدق والذى أنزل التوراة على موسى ، والفرقان على محمد . .) (١) .

ما وجه الإنكار لهذا الحديث ، وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم عدد من الصحابة ، وأخرجه الأئمة الأعلام فى الصحاح والسنة والمسانيد والمصنفات ، ورواه عن هؤلاء الصحابة خلق كثير من التابعين ، فهل خدع كعب أولئك الصحابة والصحابيات الذين رووه أيضاً ، وما هى غاية كعبٍ فى قوله هذا ؟ أم أن هناك غايات وراء الميول والأهواء التى حملت أمثال هؤلاء على النيل من السنة ورواتها للتشكيك فيها بعجانبة البحث العلمى حيناً وبالتدليس والكذب أحياناً .

هذا الحديث الذى أنكره ، حديث الشجرة التى يسير الراكب فى ظلها مائة عام فى الجنة ولا يقطعها ، رواه الأئمة الأعلام وسأذكر أكثرهم لا على سبيل الحصر :

رواه أحمد عن أبي هريرة فى مسنده .

ورواه مسلم عنه فى صحيحه .

ورواه البخارى عنه فى صحيحه .

ورواه عبد الرزاق عنه فى مصنفه .

ورواه ابن جرير الطبرى عنه فى تفسيره .

ورواه الترمذى عنه فى كتابه الجامع الصحيح .

وسمعه من أبي هريرة الأعرج ، وعبد الرحمن بن أبي عمرة ، وهمام ابن منبه ، ومحمد بن زياد ، والمقبرى ، ومحمد بن سيرين ، وأبو الضحاك ،

---

(١) أضواء على السنة المحمدية : ١٧٧ ، وروى هذا الحديث الإمام مسلم .

ومحمد بن عمرو بن أبى سلمة ، وعبد الرحيم بن سليمان ، وزيادة مولى بنى مخزوم .

وروى هذا الحديث أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم . وأخرجه البخارى عنه فى الصحيح ، وأبو داود الطيالسى فى المسند ، وأبو يعلى الموصلى فى المسند أيضاً .

وروى هذا الحديث أيضاً أبو سعيد الخدرى وسهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وأخرجه عنهما البخارى ومسلم فى صحيحهما (١) .

قال ابن كثير : فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلوات الله عليه ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد ، لتعدد طرقه ، وقوة أسانيده ، وثقة رجاله . (تفسير ابن كثير ط المنار ص ١٨٧ و ١٨٨ جـ ٨) .

وأخرج حديث أبى هريرة أيضاً :

ابن أبى شيبة فى المصنف ، وهناد فى المسند ، وعبد بن حميد فى المسند ، وابن المنذر فى تفسيره ، وابن مردويه فى تفسيره .

وأخرج حديث أنس أيضاً :

أحمد فى المسند ، والترمذى فى جامعه ، وابن جرير فى التفسير ، وابن المنذر فى التفسير ، وابن مردويه فى التفسير .

وأخرج حديث أبى سعيد الخدرى أيضاً ابن مردويه فى تفسيره .

وروى ابن عباس الحديث موقوفاً عليه ، وأخرجه ابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفسيريهما (٢) .

وروت أسماء بنت أبى بكر الصديق هذا الحديث وأخرجه الترمذى (٣)

---

(١) انظر جامع الأصول ، ص ١٣٨ ، جـ ١١ .

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطى ، ص ١٥٧ ، جـ ٦ .

(٣) انظر جامع الأصول ، ص ١٣٨ ، جـ ١١ . وينظر حديث أبى هريرة أيضاً فى مجمع الزوائد ، ص ٤١٤ ، جـ ٨ .

بعد كل هذا هل من سبيل لاتهام أبى هريرة رضى الله عنه ؟ أيتهمه الكاتب لأنه روى بكل أمانة ما سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم كما سمع غيره وروى ! ! ؟

أصبح واضحاً لكل ذى لب أن الطعن فى أبى هريرة مقصود لذاته ، وفى سبيل توهين السنة وزعزعة ثقة الناس برواتها . . . وكل هذا لا يستقيم على منهج البحث ، ولن يتحقق شىء منه لمن أبغض الصحابة إشباعاً لميله وهواه . . . .

لم يبق سبيل لإنكار الكاتب هذا الحديث على أبى هريرة ، أم أنه ينكره لضخامة الشجرة ، أو لسير الراكب مائة عام فى ظلها ؟ أم أنه أنكر عليه كل هذا لأنه لم يعهد فى حياته مثلها ؟ .

هل يريد الكاتب أن ينفى كل ما لم يتصوره عقله وتفكيره ؟ إن أراد هذا وجب عليه أن ينفى كثيراً من المخترعات التى نسمع بها ولا نراها ، أو ينفى كثيراً مما جاء فى القرآن الكريم . بل عليه أن يترك جانباً عظيما من اللغة العربية ، ذلك لأن بعض ما جاء فى السنة من ألفاظ وعبارات ، إنما جاء على نسق وسنن ما حكاه القرآن الكريم من عبارات سيقت من باب المجاز لا من باب الحقيقة ، تخاطب الإحساسات النفسية والنفوس البشرية لتتصور عظمة ما يمثله القرآن الكريم من الثواب والعقاب . . لذلك وجب علينا أن نصرف الألفاظ والعبارات التى لا تطابق الحقيقة إلى المجاز ، فللعدد معنى خاص لا يتناول غيره ، وقد أجمع المفسرون على أن بعض ما ذكر من الأعداد فى القرآن الكريم إنما جاء للتكثير لا للحصر ، وكذلك ما جاء فى السنة — فى مثل هذا المقام — من العبارات الكثيرة التى لا تتناول حقيقة العدد . وهنا إنما ورد للتكثير وبيان إتساع ذلك الظل الذى أعده الله تعالى للمؤمنين ، فمن الخطأ أن يجعل المؤلف الحقيقة والواقع ميزاناً لتلك الألفاظ التى وردت من باب المجاز ، لأنه فى ذلك سيجانب القواعد المسلمة فى اللغة ، ويقع معها فى أخطاء فادحة ، لا يقره عليها أحد ، ويلزم من هذا عدم فائدة الاستعارات والكنايات ، والمجازات العقلية ، التى

تشكل جانباً عظيماً فى تراثنا الأدبى ، ما دام المؤلف سيصرف كل لفظ إلى حقيقته ! !

ثم إن العلم الحديث يرجح أن لفظ هذا الخبر من باب الحقيقة لا من باب المجاز ، فإذا عرفنا أن سرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف كيلو متراً فى الثانية ؛ وأن ضوء كثير من الكواكب والنجوم يستغرق وصوله إلينا ساعات ضوئية ، ومنها ما يستغرق أياماً بل عشرات السنين الضوئية . . . وإذا تذكرنا إلى جانب هذا قوله تعالى : « .. **وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم** » (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى وصف الجنة : « فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » (٢) إذا تذكرنا كل هذا — أدركنا أنه ليس فى هذا الحديث ما يثير العجب العجاب ، ولا ما يستدعى الإنكار على راويه ، بل نزداد إيماناً بصحة هذا الخبر الذى أيده النقل والعقل والمقاييس العلمية . . .

ولن أطيل فى هذا مع أبى ريّة ، بل أترك للدكتور طه حسين أن يبين رأيه فى بعض ما ذكره المؤلف فى كتابه ، علماً بأن كلمة الدكتور طه حسين كلمة ثناء على المؤلف وعلى كتابه ، وقد نشر المؤلف بعض هذه الكلمة — بعد أن رفع منها سقطاته التى أخذها عليه الدكتور طه حسين — فى كراسة صغيرة كشهادة قيمة فى كتابه (٣) ! ! !

---

(١) الحديد : ٢١ .

(٢) صحيح مسلم ، ص ٢١٧٥ ، ج ٤ ، حديث ٥ . أخرجه عن سهل بن سعد الساعدى .

(٣) لقد ثارت ضجة علمية حول كتاب (أضواء على السنة المحمدية) لأبى رية ، لما فيه من انحراف عن الصواب ، ومخالفة للعلم وطعون فى بعض الصحابة والتابعين ، واستخفاف بالمدونات الحديثية ، وأخطاء علمية واضحة تخالف الواقع التاريخى ، وما ذكره الدكتور طه حسين من مآخذ عليه لا يساوى عشر ما ورد فيه ، إلى جانب التحريف فى بعض النصوص ، وعزو بعض الأقوال إلى غير أصحابها . وقد ذكرت بعض ذلك فى مواضعه ، كما بينت الكتب التى صدرت رداً على الكتاب المذكور .

ومن العجيب أن ينشر هذا الخطل فى القول، وينتقل إلى مختلف الطبقات على ما فيه من=

فبعد أن تكلم الدكتور عن الكتاب وموضوعه وجهود مؤلفه قال (١) :
(وهذا كله سجله المؤلف في كتابه ولكنه لم يبتكره من عند نفسه وإنما هو شيء كان المتقنون من علماء المسلمين يقولونه ويذيعونه في كتبهم كما فعل ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما . .

ولكن المؤلف مع ذلك قد أسرف على نفسه في بعض المواطن ، ولست أريد أن أذكر هذه المواطن كلها تجنباً للإسراف في الإطالة ، وإنما أكتفي بضرب الأمثال : فمنها مثلا هذه المؤامرة التي دبّر فيها مقتل عمر ابن الخطاب رحمه الله ، وشارك فيها كعب الأحبار وهو يهودي أسلم أيام عمر ، والرواة يحدثوننا بأن كعباً هذا أنبأ عمر بأنه مقتول في ثلاث ليال ، فلما سأله عمر عن ذلك زعم أنه يجده في التوراة ، فدهش عمر لأن اسمه يذكر في التوراة ولكن كعباً أنبأه بأنه لا يجد اسمه في التوراة وإنما يجد صفته . ثم غدا عليه في اليوم الثاني لهذا الحديث فقال له : بقي يومان . ثم غدا عليه في اليوم الثالث فقال له : مضى يومان وبقي يوم وإنك مقتول من غد ، فلما كان الغد في صلاة الصبح أقبل ذلك العبد الأعجمي فطعنه وهو يسوي الصفوف للصلاة ، والمؤلف يؤكد أن عمر إنما قتل نتيجة لمؤامرة دبرها الهرمزان وشارك فيها كعب ، ويؤكد أن هذه المؤامرة ثابتة لا يشك فيها إلا الجهلاء .

وأريد أن أؤكد أنا للمؤلف أني أنا أحد هؤلاء الجهلاء ، لأني أشك في

= أخطاء فادحة ، وطعون صريحة ، مما يدخل الشك في نفوس الذين لم يؤتوا نصيباً كافياً من الاطلاع على هذا العلم العظيم الواسع .

فقد نشرت مجلة (روز اليوسف) في عددها ١٧٢٢ — السنة السادسة والثلاثون — (يوم الاثنين ١٢ يونيو سنة ١٩٦١) مناقشة لأبي رية مع أحد محرريها ، تحت عنوان (العقل والدين) . تدور تلك المناقشة حول ما جاء في كتاب أبي رية والأحاديث النبوية ، وقد طعن في السنة على الملأ وفي كتب الصحاح ، وفي تدوين السنة ، فأعطى صورة مشوهة لتاريخ السنة ورجالها ، وهاجم أبا هريرة ، وأقل ما قاله فيه : إنه هو الذي أفسد الحديث ، وإنه لم تكن له أية مكانة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة ، وادعى أن بعض الأحاديث تتنافى مع العقل والقرآن والعلم ، وشهد الله أني لولا الإطالة ، لأثبت كلمته ، وبينت فريته .

(١) جريدة الجمهورية ، عدد الثلاثاء ، ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٥٨ ، تحت عنوان : أضواء على السنة المحمدية .

هذه المؤامرة أشد الشك وأقواه ، ولا أراها إلا وهماً ، فقد قتل ذلك العبد المشئوم نفسه قبل أن يسئل ، وتعجل عبيد الله بن عمر فقتل الهرمزان دون أن يسئل ، وعاش كعب الأحبار هذا سبعة أعوام أو ثمانية دون أن يسأله أحد أو يتهمه أحد بالاشتراك فى هذه المؤامرة ، وكان كثيراً ما يدخل على عثمان ، ثم ترك المدينة وذهب إلى حمص فأقام فيها حتى مات سنة اثنتين وثلاثين للهجرة فمن أين استطاع المؤلف أن يؤكد وقوع هذه المؤامرة أولاً ، ومشاركة كعب فيها ثانياً ، مع أن المسلمين قد غضبوا حين تعجل عبيد الله ابن عمر حين قتل الهرمزان جهلا عليه ، ولم يقدمه إلى الخليفة ولم يقم عليه البينة لأنه شارك من قريب أو من بعيد فى قتل أبيه .

وقد ألح جماعة من المسلمين من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام على عثمان أن يقيم الحد على عبيد الله لأنه قتل مسلماً دون أن يقاضيه إلى الإمام ، ودون أن يثبت عليه قتل عمر بالبينة . فعفا عنه عثمان مخافة أن يقول الناس : قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم .

وعدّ الثائرون على عثمان هذا العفو إحدى أغلاطه ، وكان على حين تولى الخلافة مزمعاً معاقبة عبيد الله على فعلته تلك ، ولكنه هرب من علىّ ولجأ إلى معاوية ، فعاش فى ظله ، وقُتل فى موقعة صفين . ولم يسأل عثمان كعباً عن شىء . ولم يتهمه أحد بشىء وقد ذهب من المدينة إلى الشام ومعاوية أمير عليها فعاش فيها حتى مات فلم يسأله معاوية عن شىء ، فمن أين يأتى هذا التأكيد الذى ألحّ فيه المؤلف حتى لعن كعباً ولم يكن له ذلك فالمعروف من أمر كعب أنه أسلم ، والمعروف كذلك أن لعن المسلمين غير جائز .

ومثل آخر فى الصفحة ١٥٤ حين زعم أن أبا هريرة رحمه الله لم يصاحب النبي محبة له أو طلباً لما عنده من الدين والهدى ، وإنما صاحبه على ملء بطنه ، كان مسكيناً وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطعمه . والمؤلف يروى لإثبات ذلك حديثاً رواه أحمد بن حنبل ورواه البخارى ولكن مسلماً نفسه روى هذا الحديث نفسه عن أبى هريرة ونص الحديث عند مسلم أصرح وأوضح من نصه عند البخارى وابن حنبل . فقد كان

أبو هريرة يقول فيما روى مسلم أنه كان يخدم النبي على ملء بطنه ، وفرق بين من يقول إنه كان يخدم ومن يقول إنه كان يصاحب ، وحسن الظن فى هذه المواطن شر من سوئه ، وما أظن أبا هريرة أقبل من اليمن مع من أقبل منها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لا ليؤمن به ولا ليأخذ عنه الدين بل ليملأ بطنه عنده .

هذا إسراف فى التأويل وفى إساءة الظن .

والمؤلف شديد على أبى هريرة شدة أخشى أن يكون قد أسرف فيها شيئاً . فنحن نسلّم أن أبا هريرة كان كثير الحديث عن النبي ، وأن عمر شدّد عليه فى ذلك ، وأن بعض أصحاب النبي أنكروا بعض حديثه ، وأنه أخذ كثيراً عن كعب الأحبار ، وكان المؤلف يستطيع أن يسجل هذا كله تسجيلا موضوعياً كما يقال ، دون أن يقحم فيه غيظاً أو موجدة ، فهو لا يكتب قصة ولا يكتب أدباً فيظهر شخصيته بما ركب فيها من الغضب والغيظ والموجدة ، وإنما يكتب علماً يتصل بالدين ، وأخص مزايا العلماء ولا سيما فى هذا العصر أنهم ينسبون أنفسهم حين يكتبون العلم أنهم يبحثون ويقررون بعقولهم لا بعواطفهم .

فمن الظلم لأبى هريرة أن يقال إنه لم يصاحب النبي إلا ليأكل من طعامه والذى نعلمه أنه أسلم وصلى مع النبي وسمع منه بعض أحاديثه ، فليقل فيه المؤلف أنه لم يصاحب النبي إلا ثلاث سنين ، وقد روى من الحديث أكثر مما روى المهاجرون الذين صحبوا النبي بمكة والمدينة ، وأكثر من الأنصار الذين صاحبوا النبي منذ هاجر إلى المدينة حتى آثره الله بجواره ، وهذا يكفى للتحفظ والاحتياط بإزاء ما يروى عنه من الحديث .

وأخرى أريد أن أثبتها هنا وهى أن المؤلف يقول فى حديثه الطويل عن أبى هريرة أنه لحرصه على الأكل ورغبته فى الطيبات كان يأكل عند معاوية ويصلى مع علىّ ويقول : إن الأكل مع معاوية أدسم أو بعبارة أدق إن المضيرة عند معاوية أدسم — والمضيرة لون من الحلوى — وإن الصلاة مع على أفضل .

وأريد أن أعرف كيف كان يجتمع لأبي هريرة أن يأكل عند معاوية ، ويصلي مع علي ، وقد كان أحدهما في العراق والآخر في الشام ، أو أحدهما في المدينة والآخر في الشام إلا أن يكون قد فعل ذلك أثناء الحرب في صفين ، وما أحسبه كان يسلم لو فعله أثناء الحرب ، إذن لاتهمه أحد الفريقين بالنفاق والتجسس . وإنما هذا كلام قيل في بعض الكتب وكان يجب على الأستاذ المؤلف أن يتحقق منه قبل أن يثبته .

فهذا أيسر ما يجب على العلماء .

وبعد .. فالمؤلف يطيل في تأكيد ما اتفقت عليه جماعة المسلمين من أن الأحاديث التي يرويها الأفراد والآحاد كما يقول المحدثون لا تفيد القطع وإنما تفيد الظن وحده ومن أجل ذلك لا يستدل المسلمون بهذه الأحاديث على أصول الدين وعقائده وإنما يستدلون بها أحياناً على الأحكام الفرعية في الفقه ، وعلى فضائل الأعمال ويستعان بها على الترغيب في الخير والتخويف من الشر . وكل الأحاديث التي اعتمد عليها المؤلف في المواضع التي ضربنا لها الأمثال إنما هي أحاديث رواها الأفراد والآحاد فهي لا تفيد قطعاً ولا يقيناً ، فما باله يرغب عن الإفراط في الثقة بهذه الأحاديث ، ثم يستدل بها هو ليتهم الناس بأشياء لا سبيل له إلى إثباتها .

وملاحظة أخيرة أختم بها هذا الحديث الذي أراه على طوله موجزاً ، وهي أن المؤلف قد أخذ في كتابه وهو مؤمن فيما يظهر بأنه لن يظفر برضا الناس عنه ولن يظفر برضا فريق من رجال الدين خاصة ، فعرّض بهم أحياناً ، واشتد عليهم أحياناً أخرى ، ووصفهم بالجمود حيناً وبالتقليد حيناً ، وبالحشوية أحياناً ، فأغرى هؤلاء الناس بنفسه وسلطهم على كتابه ، وخيّل إليهم أنه يبغضهم ، ولا يراهم أهلا للبحث القيم ، والمحاولة لاستكشاف حقائق العلم ، ولو أنه صبر حتى يخرج كتابه ويقرأه الناس ، ويسمع رأيهم فيه ونقدهم له لكان هذا الصبر خيراً له وأبقى عليه .

ويثني على جهوده بكلمات معدودة ثم يقول : ولا بأس عليه من هذه

الهنات (١) التي أشرت إلى بعضها ، فالذين يبرؤون من النقص والتقصير أو الهفوات أحياناً لا يكادون يوجدون وصدق بشار حين قال :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القــذى   ظمئت وأى الناس تصفو مشاربـه

طه حسين

❋ ❋ ❋

وأختم هذا البحث بكلمة لابن خزيمة (٢) يدافع فيها عن أبي هريرة ويبين أصناف الطاعنين فيه . فتظهر من خلالها منزلة أبي هريرة ومكانته ، وفي هذا مسك الختام .

قال ابن خزيمة :

(وإنما يتكلم في أبي هريرة ، لدفع أخباره ، من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معاني الأخبار :

❋ **إما معطل جهمي** ، يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم — الذي هو كفر — فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه تمويهاً على الرعاء والسفل ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة ؟

❋ **وإما خارجي** ، يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، خلاف مذهبهم الذي هو ضلال ، لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة ، كان مفزعه الوقيعة في أبي هريرة ! .

---

(١) أو بعد هذه الهنات لا بأس عليه !! ؟ .

لقد أراد الدكتور طه حسين أن يضمد الجروح التي أحدثتها بعض سهام نقده ، ويكفكف من دموع أبي رية ، ويخفف من آلامه ، بعد أن أصابه في صميم فؤاده ، وبين خطأه في لب موضوعه ، بل في مخ عظمه ، لقد أراد أن يمسح على رأسه بشيء من أدبه الرقيق اللطيف كعادته ، ولكن أنى يكون هذا ؟؟ وأي شيء يجديه وقد كثرت الطعنات ، ونزفت الدماء !!؟ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة السلمي (٢٢٣ — ٣١١هـ) ، أحد مشايخ شيوخ الحاكم . كان إمام نيسابور في عصره ، جمع بين الفقه والاجتهاد ، عالم بالحديث ، رحل إلى بلاد كثيرة منها : العراق والشام والجزيرة ومصر ، لقبه السبكي بإمام الأئمة ، له مصنفات كثيرة تربو على (١٤٠) ، طبقات السبكي : ٢/١٣٠ .

❋ أو قدري ، اعتزل الإسلام وأهله ، وكفّر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية ، التي قدّرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها ؛ إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة ، التي قد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات القدر ، لم يجد بحجة تؤيد (١) صحة مقالته التي هي كفر وشرك ، كانت حجته (عند نفسه) (٢) : أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها !.

❋ أو جاهل ، يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه واختاره (٣) ، تقليداً بلا حجة ولا برهان — تكلم (٤) في أبي هريرة ، ودفع أخباره التي تخالف مذهبه ، ويحتج بأخباره عن مخالفيه ، إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه ! !

وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخباراً لم يفهموا معناها ! ! أنا ذاكر بعضها بمشيئة الله عز وجل . .) (٥) .

❋ ❋ ❋

---

(١) في الأصل (يريد) وما أثبتناه أصوب .

(٢) هكذا في الأصل .

(٣) في الأصل (أخباره) ، وما أثبتناه أكثر مناسبة للمعنى .

(٤) في الأصل (كلم) . وما أثبتناه أصوب .

(٥) مستدرك الحاكم : ٥١٣/٣ .

خاتمة

بعد هذا العرض لحياة أبي هريرة ، عرفنا أنه من أسرة عربية يمنية ، أسلم قديماً في اليمن على يد الطفيل بن عمرو ، وكان يتتبع أخبار المسلمين ، ويطمئن عنهم ، ثم هاجر ليالي فتح خيبر ، ولازم الرسول صلى الله عليه وسلم وخدمه ، وسعى ما بوسعه لإرضاء الله ورسوله ، وتخلق بأخلاق النبي الكريم ، وعرف الرسول صلى الله عليه وسلم فيه الذكاء والنشاط ، فجعله عريف أهل الصفة ، وتمسك أبو هريرة بالسنة الطاهرة ، وكان شديداً في هذا ، لا يخشى في الله لومة لائم ، يحمل الناس على اتباعها بالحكمة والموعظة الحسنة ، لا يفرّق بين أمير وحقير ، وغني وفقير ، ورأينا قوته في الحق في موقفه من مروان بن الحكم حين رأى في بيته ما يخالف السنة ، وحين تأخر مروان على الناس في صلاة الجمعة .

وعرفنا حرصه الشديد على طاعة الله ورسوله ، وخوفه من الزلل ، حتى إنه خاف على نفسه العنت — وهو شاب في مقتبل العمر ، لا يجد طولا يتزوج — فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم « هل أختصي » ؟ ، أراد أن يضحي بشهوته وبنفسه إرضاء لله عز وجل . . وعرفنا عبادته وورعه ، وكثرة صيامه وقيامه ، وزهده في الدنيا ، وأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر .

وعرفنا نشأته العصامية المشرقة ، وصبره وتحمله الفاقة ، وهو في كل هذا الإنسان الأبي العفيف ، كريم النفس عزيزها ، لم تخفض الحاجة رأسه ، ولم تغمض منّة الأغنياء عينه ، كان ضيف رسول الله والمسلمين ، زهد في الدنيا فأحبه الله تعالى ، واستغنى عما في أيدي الناس ، فأحبه الناس ، وعرفنا حبه للرسول الكريم ، وبذله وفناءه في خدمته ، وعرفنا عظيم سروره بالإسلام والقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم .

ورأينا أبا هريرة حين أنعم الله عليه ، فكان أخا الفقراء والمساكين ،

طيباً كريماً ، مبسوط الكف ، فياض اليد ، حتى إنه كان أحياناً لا يبيت على مال يأتيه قبل أن يتصدق به . وكان يحب الكسب الطيب من عمله وجهده .

ثم عرفنا حقيقة ولايته البحرين لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأدركنا أمانته وإخلاصه ، وتجلى إباؤه وكرامة نفسه حين عرض عليه أمير المؤمنين الإمارة ثانية فأبى ، ثم عرفنا موقفه من فتنة عثمان رضى الله عنه ، وكيف أبى أن ينقض بيعة فى عنقه ، فكان يوم الدار يدافع عن أمير المؤمنين مع أعيان الصحابة وأولادهم ، ثم عرفنا حياده التام فى عهد علىّ رضى الله عنه ، وانتهينا إلى أنه لم يشترك فى تلك الفتن والخلافات .

وعرفنا أبا هريرة فى إمارته على المدينة ، فكان الأمير المتواضع ، الذى لم ترفعه الإمارة عن إخوانه ، ولم تنسه أنه مسئول عن رعيته ، فكان يخالطهم ، ويجالسهم ، مؤكداً للمسلمين زهده فيها وفى الدنيا ، حتى إنه كان يحمل حزمة الحطب على ظهره وهو أمير المدينة ، يشق طريقه بين الناس .

وعرفنا حبه الجهاد فى سبيل الله وحرصه عليه ، وانتهينا إلى أنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أواخر غزوة خيبر ، كما شهد معه جميع الغزوات بعدها ، وعرف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الجرأة ، فأرسله فى بعض البعوث والسرايا ؛ وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، قاتل المرتدين ، وشهد وقعة اليرموك . وإلى جانب هذا رأينا فى أبى هريرة جانب المرح والمزاح اللطيف المستحب ، الذى يدخل السرور إلى نفوس إخوانه ، إلى جانب منزلته ووقاره ، وعرفنا فهمه لنفسية الأطفال ، وعطفه عليهم ، ورعايتهم وإسعادهم ، بحيث كلتهم حيناً ، ومداعبتهم أحياناً .

ولمسنا حسن أخلاقه ونبله ، وبره بأمه ، وحث الناس على التخلق بالأخلاق الفاضلة الحميدة ، والعمل على التآخى والتعاون وصلة الأرحام ؛ وتجلى لنا فى مرضه حبه للقاء الله عز وجل ، وخشيته منه ؛ وعرفنا من وصيته قبل وفاته ، زيادة حرصه على التمسك بالسنة الطاهرة .

وأما الجانب العلمى من أبى هريرة فقد عرضنا ما يؤكد حرصه على طلب العلم ، وتعلقه به ، وحبه لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ،

وعرفنا وجوهاً مختلفة لتحمله الحديث عن الرسول الكريم فكان تارة يسأله ، وأخرى يراه ، وحيناً يعرف الرسول تطلعه إلى العلم فيحدّثه ، وأحياناً يلازمه فى حلقاته ومجالسه ، وأكدت لنا سيرته فناءه فى خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل حكمة يعلمه إياها ، وكان كل أمله أن يتعلم علماً لا ينساه أبداً ، ودعا بذلك ، وأمّن الرسول صلى الله عليه وسلم على دعائه ، فحقق الله له ما تمنى ، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرصه على الحديث .

ثم رأينا حرصه على تبليغ العلم ونشره ، فعقد لذلك حلقات الحديث فى الحجاز ، والشام ، والعراق ، والبحرين . . وقد عرف الناس علمه وفضله ، وأمانته ومكانته ، فكثروا عليه ، ونهلوا من معينه ، فكان يحدثهم فى بيته وفى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقوم فيهم فى أوقات عينها لهم يحدّثهم ويفتيهم ، وكان لا يترك فرصة تسنح للنشر العلم إلا أفاد منها ، ولم يبخل قط بتبليغ ما ينفع الناس فى دينهم ودنياهم ، وكان يحضهم على طلب العلم ، كما أملى الحديث أحياناً على طلابه ، كإملائه على همام بن منبه ، وبشير بن نهيك . .

وقد عرفنا إتقانه وضبطه ودقيق حفظه ، فلم نستغرب كثرة حديثه ، بعد أن عرفنا صحبته وملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم ، وحرصه على طلب العلم ، وجرأته فى سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عما لا يسأله غيره ، وقد شهد له الصحابة بذلك ، كما شهد كثير منهم بأنه سمع ما لم يسمعوا ، ولإتقانه وسعة علمه وحفظه — حدّث عنه بعض الصحابة كأبى أيوب الأنصارى ، وعبد الله بن عباس ، وأنس بن مالك وغيرهم .

وعرفنا أنه كان يحفظ علماً كثيراً نشر بعضه ، وهو ما يلزم الأمة فى جميع أحوالها ، الخاصة والعامة ، وأمسك عن نشر بعضه الآخر ، وانتهينا إلى أن العلم الذى لم ينشره لم يكن مما يتعلق بالأحكام والآداب والأخلاق ، وإنما يتناول بعض أشراط الساعة ، وبعض ما سيقع للأمة من فتن ، وما يليها من أمراء السوء . وأكدنا أنه كان حريصاً حذراً لا يحدّث

إلا بما يحتاج إليه الناس ، لأنه كان يخشى أن يضع السامعون ما يحدث به في غير مواضعه ، وعرفنا أن علمه الغزير ، وكثرة حديثه ، وسعة إطلاعه ، دعمها حفظه القوى ، وضبطه وإتقانه ومذاكرته ، وفصلنا أسباب ذلك الحفظ الخاصة بأبي هريرة .

وبينا أنه مع كثرة تحديثه ونشره العلم كيف حرص على حفظ السنة وصيانتها من الكذب ، وكيف كان يحض الناس على التمسك بالسنة واحترامها وصيانتها عما يشوبها . ثم بينا أن سعة علم أبي هريرة جعلته مرجعاً للناس نيفاً وعشرين سنة ، يستفتونه فيفتيهم ، ويسألونه فيجيبهم ، وعرضنا نماذج من فتاواه ، وبينا منزلة آرائه من آراء الصحابة وبعض الأئمة ، وأكدنا أنه كان يقتدى في فتاواه بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحرص على تتبع حديثه وأحكامه وفتاواه .

وأما بالنسبة لقضاء أبي هريرة ، فإنا لم نعلم أنه ولى القضاء لأحد ، ومع هذا لابد أنه نظر في بعض القضايا حين ولى البحرين وإمارة المدينة ، وعرضنا بعض ما يدل على أنه فصل في بعض القضايا .

ثم ذكرنا شيوخه ، ومن روى عنه ، فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير الطيب ، كما روى عن كبار الصحابة ، وروى عنه نحو ثمانمائة رجل بين صاحب وتابع .

وذكرنا عدة ما روى عنه من الحديث ، في الكتب الستة ، وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد ، وبينا أن أحاديثه ، تناولت معظم أبواب الفقه ، ثم عرضنا نماذج من مروياته ، مما أخرجه له الإمام مالك ، والإمام أحمد ، وأصحاب الكتب الستة ، وتوخينا في ذلك تناول عدة أبواب من تلك الكتب .

ثم ذكرت بعض من أثنى عليه قديماً وحديثاً ، فكان موضع الثقة ، والإجلال والاحترام والتقدير ، مما أكد لنا منزلته وفضله . وبعد هذا عرفنا أصح الطرق عن أبي هريرة .

وبعد هذا ناقشنا الشبهات ، التي أثيرت حوله ، وقوضناها جميعها بالحجج والبراهين العلمية ، وتبين لنا من خلال المناقشة افتراء أهل الأهواء ،

وتحاملهم السافر عليه . محاولين إضعاف مروياته . لأنه كان يروى ما يخالف أهواءهم .

وتبين لنا أيضاً أن بعض الباحثين ، لم يكونوا أمناء فى نقلهم الأخبار ، فحرّفوا بعضها ، واستشهدوا بالأخبار الضعيفة الواهية ، ونسبوا بعض ما قيل فيه إلى غير قائليه . وزادوا على بعض الأخبار ما ليس فيها — إمعاناً فى الإساءة إلى أبى هريرة . لإضعاف ثقة أهل السنة به ، ورفض مروياته .

وصححنا ما وقع من خطأ لبعض الباحثين فى فهم بعض ما روى عنه ، وبينا وجه الحق ، وظهر لنا أن جميع ما دار بينه وبين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لا يعدو باب المناقشة العلمية ، والاستيثاق للحديث ، حرصاً منهم جميعاً على حفظه . وتبين لنا إقرار الصحابة له بحفظه وضبطه وإتقانه ، كما تأكد لنا أنه لم يفهم أحد — من المنصفين — مما دار بينه وبين الصحابة طعناً فى أبى هريرة أو غيره ، بل ازددنا إيماناً براوية الإسلام ، ووقفنا على حقيقة تاريخية علمية ، حاول بعض أعداء الإسلام ، وبعض أهل الأهواء إخفاءها وتشويهها ، ولكن الله أبى إلا أن يظهر الحق واضحاً جلياً ، يؤكد أن أبا هريرة أكثر الصحابة حفظاً ، ومن أحسنهم فضلا وأخلاقاً ، وقد حفظ على المسلمين دينهم ، بحفظه وضبطه وإتقانه ، فبقى أحد أعلام الصحابة الرواة . الذين ساهموا فى حفظ الشريعة الحنيفية ونشرها ، وخلد التاريخ ذكره فى مصاف العلماء العظام ، رضى الله عنه وأرضاه .

* * *

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه ، فلله الحمد فى الابتداء والانتهاء . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين .

محمد عجاج الخطيب

أهم المصادر والمراجع

١ — القــرآن الكريم .

٢ — ابن حزم : للأستاذ محمد أبو زهرة ، طبع مصر .

٣ — أبو هريرة : لعبد الحسين شرف الدين العاملى . الطبعة الأولى — صيدا .

٤ — الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة : لبدر الدين الزركشى . بتحقيق محمد سعيد الأفغانى — طبع دمشق ، المجمع العلمى .

٥ — أخبار أهل الرسوخ فى الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث ، لابن الجوزى طبع مصر ، سنة ١٣٢٢هـ .

٦ — الأدب المفرد : لمحمد بن إسماعيل البخارى ، استوفى تخريج أحاديثه محب الدين الخطيب . المطبعة السلفية بالقاهرة ، سنة ١٣٧٩ هـ .

٧ — الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : لأبى عمر يوسف بن عبد البر ، بتحقيق على محمد البجاوى ، طبع بمطبعة نهضة مصر — بالفجالة .

٨ — أسد الغابة فى معرفة الصحابة : لعز الدين أبى الحسن بن الأثير الجزرى ، طبع القاهرة سنة ١٢٨٦هـ .

٩ — الإصابة فى تمييز الصحابة : لشهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى طبع مصر ، سنة ١٣٢٣هـ .

١٠ — أصول التشريع الإسلامى : لفضيلة الأستاذ على حسب الله ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بالقاهرة ١٣٧٩هـ — ١٩٥٩م .

١١ — أضواء على التاريخ الإسلامى : لفتحى عثمان ، طبع دار الجهاد ، سنة ١٣٧٦هـ — ١٩٥٦م .

١٢ — أضواء على السنة المحمدية (*) : لمحمود أبو رية ، طبع دار التأليف بمصر ١٣٧٧هـ — ١٩٥٨م

١٣ — أعلام الموقعين عن رب العالمين : لشمس الدين محمد بن أبى بكر (ابن قيم الجوزية) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد — الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ١٣٧٤هـ — ١٩٥٥م .

١٤ — الأعــلام : لخير الدين الزركلى ، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ — ١٩٥٤م .

١٥ — الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : لمحمد بن عبد الرحمن السخاوى ، طبع دمشق ١٣٤٩هـ .

١٦ — أقدم تدوين فى الحديث النبوى : (صحيفة همام بن منبه) للدكتور محمد حميد الله ، طبع المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٧٢هـ — ١٩٥٣م .

١٧ — الأمــوال : للقاسم بن سلام ، طبع مصر سنة ١٣٥٣هـ .

١٨ — البارع الفصيح فى شرح الجامع الصحيح : لأبى البقاء محمد بن خلف الأحمدى ، مخطوط دار الكتب المصرية .

(*) رجعنا إليه للرد على ما جاء فيه من شبهات .

١٩ — البداية والنهاية : لأبى الفداء عماد الدين إسماعيل (ابن كثير) ، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢م .
٢٠ — تأويل مختلف الحديث : لعبد الله بن مسلم (ابن قتيبة الدينورى) ، مطبعة كردستان العلمية بمصر ، سنة ١٣٢٦هـ .
٢١ — تاريخ الإسلام : للدكتور حسن إبراهيم حسن ، مطبعة لجنة البيان العربى بالقاهرة الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٥٧ م .
٢٢ — تاريخ الإسلام : الحافظ شمس الدين الذهبى ، مكتبة القدسى بالقاهرة ، سنة ١٣٦٧هـ — ١٩٤٧م .
٢٣ — تاريخ الأمم والملوك : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، طبع مصر ١٣٥٧هـ-١٩٣٩م
٢٤ — تاريخ بغداد : لأبى بكر أحمد بن على (الخطيب البغدادى) طبع مصر : ١٣٤٩هـ-١٩٣١م
٢٥ — تاريخ جرجان : لأبى القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمى ، طبع الهند .
٢٦ — تاريخ دمشق : لعلى بن الحسن هبة الله (ابن عساكر) ، مخطوط دار الكتب المصرية ، النسخة التيمورية ، المجلد (٣٧ و ٤٧) تحت الرقم (تاريخ تيمورية : ١٠٤١) .
٢٧ — التاريخ الكبير : وهو (تهذيب تاريخ ابن عساكر) لعبد القادر بدران ، طبع دمشق ، مطبعة روضة الشام ، ١٣٢٩هـ .
٢٨ — تدريب الراوى : لجلال الدين السيوطى ، بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة القاهرة بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٩هـ — ١٩٥٩م .
٢٩ — تذكرة الحفاظ : لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ، طبع الهند ١٣٣٣هـ .
٣٠ — تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل : لعبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ، طبع الهند ، سنة ١٩٥٢م .
٣١ — تهذيب التهذيب : لشهاب الدين أحمد بن على (ابن حجر) العسقلانى ، الطبعة الأولى بالهند ، حيدر آباد ، سنة ١٣٢٥هـ .
٣٢ — توضيح الأفكار لمعانى تنقيح الأنظار : لمحمد بن إسماعيل الأمير الحسنى الصنعانى ، بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ .
٣٣ — تيسير الوصول : لعبد الرحمن (ابن الديبع) الشيبانى ، طبع مصطفى الحلبى ، ١٣٥٢هـ — ١٩٣٤م .
٣٤ — جامع بيان العلم وفضله : لأبى عمر يوسف بن عبد البر ، مصر ، إدارة المطبعة المنيرية .
٣٥ — الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع : الخطيب البغدادى . مخطوط — دار الكتب المصرية.
٣٦ — الجرح والتعديل : لعبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ، طبع الهند ، سنة ١٣٧١هـ — ١٩٥٢م .
٣٧ — الجمع بين رجال الصحيحين : لمحمد بن طاهر المقدسى ، طبع الهند ، سنة ١٣٢٣هـ .
٣٨ — جمهرة أنساب العرب : لأبى محمد على بن سعيد بن حزم الأندلسى بتحقيق ليفى بروفنسال . دار المعارف بمصر .
٣٩ — حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : لأبى نعيم الأصبهانى ، طبع مصر سنة ١٣٥١هـ-١٩٣٢م
٤٠ — ذخائر المواريث : للشيخ عبد الغنى النابلسى ، طبع مصر ، سنة ١٣٥٢هـ — ١٩٣٤م .

٤١ — رسالة أبي داود إلى أهل مكة : لأبي داود السجستاني ، بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري .
٤٢ — روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : الحافظ أبي حاتم البستي . طبع مصر سنة ١٣٢٨هـ .
٤٣ — الرد على الجهمية (رد الدارمي على بشر المريسي) : لعثمان بن سعيد الدارمي ، مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٥٨هـ .
٤٤ — الرسالة : للإمام محمد بن إدريس الشافعي بتحقيق أحمد محمد شاكر ، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ — ١٩٤٠م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
٤٥ — الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم : محمد بن إبراهيم الوزير اليماني ، المطبعة المنيرية بمصر .
٤٦ — الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة : ليحيى العامري اليمني ، طبع الهند ، سنة ١٣٠٣هـ .
٤٧ — سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ، بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع مصر .
٤٨ — سنن أبي داود : للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، طبع مصر سنة ١٣٧١هـ — ١٩٥٢م مصطفى البابي الحلبي .
٤٩ — سنن الترمذي : لأبي عيسى محمد عيسى بن سورة الترمذي ، بتحقيق وشرح العلامة أحمد محمد شاكر . طبعة البابي الحلبي ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦هـ — ١٩٣٧م .
٥٠ — سنن النسائي : بحاشية السندي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، المطبعة الميمنية ، سنة ١٣١٢هـ .
٥١ — السنن الكبرى : لأحمد بن الحسين البيهقي ، طبع الهند — حيدر آباد .
٥٢ — السنة قبل التدوين : لمحمد عجاج الخطيب ، مكتبة وهبة بمصر ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م .
٥٣ — السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : للدكتور مصطفى السباعي ، دار العروبة بالقاهرة ، سنة ١٣٨٠هـ — ١٩٦١م .
٥٤ — سير أعلام النبلاء : لشمس الدين الذهبي ، الجزء (١ و ٢ و ٣) ، طبع دار المعارف بالقاهرة ، وبقية الأجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية .
٥٥ — سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : لعبد الملك بن هشام بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بالقاهرة ، سنة ١٣٥٦هـ — ١٩٣٧م .
٥٦ — شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلي ، طبع القدسي بالقاهرة ، سنة ١٣٥٠هـ .
٥٧ — شرح الأربعين النووية : ليحيى بن شرف الدين النووي ، الطبعة الثانية شركة الشمرلي بمصر
٥٨ — شرح مسلم الثبوت : (فواتح الرحموت) لعبد العلي محمد اللكنوي ، طبع الهند .
٥٩ — شرح نهج البلاغة : لعز الدين أبي حامد الشهير بابن أبي الحديد بتحقيق نور الدين شرف الدين ، والشيخ محمد خليل الزين . بيروت — دار الفكر .
٦٠ — شرف أصحاب الحديث : للخطيب البغدادي ، مخطوط دار الكتب المصرية .
٦١ — شروط الأئمة الستة : للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي . طبع مصر ، مكتبة القدسي ، سنة ١٣٥٧هـ .

٦٢ — **شروط الأئمة الخمسة** : للحافظ أبي بكر محمد بن موسى الحازمي ، طبع مكتبة القدسي سنة ١٣٥٧هـ .

٦٣ — **صحيح البخاري** : بحاشية السندي لمحمد بن إسماعيل البخاري ، طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .

٦٤ — **صحيح ابن حبان** : لأبي حاتم محمد بن حبان البستي ، طبع دار المعارف سنة ١٩٥٢ .

٦٥ — **صحيح مسلم** : بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م .

٦٦ — **صحيح مسلم بشرح النووي** : للإمام يحيى بن شرف الدين النووي ، المطبعة المصرية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٩هـ .

٦٧ — **ضحى الإسلام** : لأحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة الطبعة الخامسة سنة ١٩٥٦م .

٦٨ — **الطبقات الكبرى** : لمحمد بن سعد كاتب الواقدي ، مطبعة بريل بليدن ، سنة ١٣٢٢هـ .

٦٩ — **العقد الفريد** : لأحمد بن محمد بن عبد ربه بتحقيق محمد سعيد العريان ، الطبعة الثانية مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٢هـ — ١٩٥٣م .

٧٠ — **العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ** : لصالح بن مهدي ، طبع مصر سنة ١٣٢٨هـ.

٧١ — **العواصم من القواصم** : لأبي بكر بن العربي بتحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة ، سنة ١٣٧١هـ .

٧٢ — **فتح الباري لشهاب الدين (ابن حجر) العسقلاني** : مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ، سنة ١٣٧٨هـ — ١٩٥٩م .

٧٣ — **الفصل في الملل والأهواء والنحل** : لابن حزم .

٧٤ — **قبول الأخبار ومعرفة الرجال** : لأبي القاسم عبد الله بن أحمد البلخي . مصور — دار الكتب المصرية .

٧٥ — **الكامل في التاريخ** : لعلي بن محمد عز الدين (ابن الأثير) الجزري . المطبعة المنيرية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٨هـ .

٧٦ — **كتاب العلم** : لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي . مخطوط ، المكتبة الظاهرية بدمشق .

٧٧ — **الكفاية في علم الرواية** : للخطيب البغدادي ، طبع الهند ، سنة ١٣٥٧هـ .

٧٨ — **لسان العرب** : لأبي الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٠٢هـ .

٧٩ — **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : لنور الدين الهيثمي ، طبع القدسي بالقاهرة ، سنة ١٣٥٣هـ .

٨٠ — **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي** : الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي ، مصور دار الكتب المصرية .

٨١ — **مختصر كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول** : لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل (أبو شامة) ، طبع مصر ضمن مجموعة ، سنة ١٣٢٨هـ .

٨٢ — **المستدرك على الصحيحين** : لأبي عبد الله (الحاكم) النيسابوري ، طبع حيدر آباد ، سنة ١٣٤١هـ .

٨٣ — **مسند الإمام أحمد** : للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، بتحقيق العلامة أحمد محمد شاكر ، طبع دار المعارف بالقاهرة .

٨٤ — **مسند إسحاق بن راهويه** : مخطوط دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٥٢٢ حديث) .

٨٥ — **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** : للأستاذ عمر رضا كحالة ، المطبعة الهاشمية بدمشق ، سنة ١٣٦٨هـ — ١٩٤٩م .

٨٦ — **مقدمة التمهيد** : لأبي عمر يوسف بن عبد البر ، مخطوط ، مصورة معهد المخطوطات بالجامعة العربية .

٨٧ — **المنتقى من منهاج الاعتدال** : لتقي الدين أحمد بن تيمية . اختصره الذهبي من منهاج السنة بتحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة ، سنة ١٣٧٤هـ .

٨٨ — **الموطأ** : للإمام مالك بن أنس ، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع مصر . عيسى الحلبي ، سنة ١٣٧٠هـ .

٨٩ — **الموافقات في أصول الشريعة** : لأبي إسحاق الشاطبي بشرح الشيخ عبد الله دراز ، المكتبة التجارية بالقاهرة .

٩٠ — **ميزان الاعتدال** : للحافظ شمس الدين الذهبي ، مطبعة السعادة بالقاهرة . الطبعة الأولى ، سنة ١٣٢٥هـ .

٩١ — **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب** : لأبي العباس أحمد القلقشندي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٥٩م .

٩٢ — **نور اليقين** : لمحمد الخضري بك ، طبع دار الأدب العربي بالقاهرة ، الطبعة الثانية عشرة سنة ١٣٧٤هـ — ١٩٥٥م .



محتويات الكتاب

الباب الأول : أبو هريرة

(٦٣ — ١٥٥)

الفصل الأول : حياته العامة

(٦ — ١٠٢)

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الثاني : حياته العلمية

(١٠٣ — ١٥٥)

الموضـــوع	الصفحة

الباب الثانى

الرد على الشبه التى أثيرت حول أبى هريرة

(١٥٧ — ٢٥٧)

الموضـــوع	الصفحة

مطبعة التقدم

رقم الإيداع ٣٨٠٨ / ١٩٨٢
ترقيم دولى ٣ — ٠٠١ — ٣٠٧ — ٩٧٧

للمـــــؤلف

١ ـ السنة قبـــل التدوين

٢ ـ أصـول الحديث ومصطلحه

٣ ـ المحدث الفاصل بين الراوى والواعى

٤ ـ قبسات من هـــدى النبــوة

٥ ـ زيد بن ثابت الأنصـــارى

٦ ـ لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر